

أحمد حاطوم

اللغة ليست عقلاً

من خلآل لسان العربي

دروس
جزء
طایف

ذی

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

دار الفكر اللبناني

أَمْرُدْ جَنَاطُوم

اللِّغَةُ لَيْسَتْ عَقْدًا
(من خِلَالِ الْسِّانِ الْعَرَبِيِّ)



مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

دار الفكر اللبناني



لِسَانُ الْأَرَبِ

الله

إلهي :
من ألهـي بـيعـي ،
دـاتـ يومـ منـ آلامـ سـنـةـ الـفـيـضـانـ وـسـيـعـ وـنـارـيـنـ ،
وـذـخـلـيـ أـهـمـ كـتـابـيـ اـشـيـاعـ ،
كـلـهـ الـزـرـىـ الـراـدـعـ الـيـ أـهـمـ أـنـفـاسـهاـ مـذـيـئـ الـبـاطـرـنـ الـقـلـعـةـ ،
وـأـنـافـ لـيـ ،
يـنـ تـلـهـ الشـرـقـ الـبـلـدـةـ ،
أـنـ أـفـرـاـ الرـقـانـ ،
وـأـنـ أـلـجـ ،
يـنـ خـروـصـ الـغـيـزةـ ،
حـرـمـ الـإـسـانـ الـمـرـحـىـ الـشـرـيفـ ،
يـلـقـتـهـ الـفـخـمـ الـمـوـجـمـةـ ،
وـأـنـ يـكـونـ لـيـ ،
يـنـ الشـارـكـةـ يـمـانـيـاـ ،
مـاـ أـتـرـىـ بـيـ إـلـىـ اللهـ ،
إـلـىـ أـخـيـ حـمـيلـ ،
أـفـريـيـ كـتـاخـيـ .

أـصـ



فهرس المحتويات

المقالة الأولى / مدخل الكتاب: اللغة ليست عقلاً	صفحة ٧
المقالة الثانية مصطلحات للبحث اللغوي	١١٢
المقالة الثالثة نظرات في نظام الكتابة بالحرف العربي	١٥٩
المقالة الرابعة الاقتباس اللغوي بمستوياته الثلاثة من خلال تجربة التعرّب	١٧٩
المقالة الخامسة «من ينقد عليك هو كمن يزلف معك»	٢١١
المقالة السادسة تحليل العبارة العربية إلى قطع كلامية مقلقة	٢٢٣
المقالة السابعة جوانب من الشأن اللغوي	٢٥٥
المقالة الثامنة متى هيكتابنا اليومي المفتوح	٢٦١
المقالة التاسعة مشكلاتنا اللغوية بمنظار المستويات	٢٧٣
المقالة العاشرة نائب الفاعل، مظهراً من مظاهر الانفراق بين منطق اللغة ومنطق العقل	٣٠١
- قاموس المصطلحات	٣١١
- فهرس تفصيلي للموضوعات	٣٤٩

★ ★ *

المقالة الأولى / مدخل المكتاب

اللغة ليست عقلاً (عن خبرات الكتاب العربي)

غير منشورة

١ تمهيد

هذا عنوان لمجموعة المقالات اللغوية التي يتضمنها كتابنا. وعنوان، في الوقت نفسه، لمقالتنا هذه التي نستطيع، من جهة أولى، أن نعدّها تمهدًا للكتاب، أو مدخلًا إليه، أو سياقًا عاماً يساعدُ في عملية قراءته. ونستطيع، من جهة ثانية، أن نعدّها فصلاً من فصوله، فائضاً بذاته، مستقلًا بموضوعه.

ولقد كان الهدفُ الأساسي من كتابتها الإشارة إلى خطٍّ دقيق، خفيٍّ أو ظاهر، يربطُ بين مقالات الكتاب؛ أو الإشارة إلى الروح التي كانت من جملة ما أملأى مضامينه، أو حركتها، أو واكبتها.

فإنْ قدرَ هذا الهدفُ أنْ يتحقق، واستطاع قارئنا أن يلمعَ ما تودُ الإشارة إليه، كان لنا، من جملة ما يكون، تفسيرٌ بسيطٌ لعنوان الكتاب. وإن كانت الأخرى، فإن التسمية بهذا العنوان تُصبح من باب تسمية الكل باسم الجزء. وهي، في تسمية الكتب، أمر معروف.

* * *

٢ اللغة ليست عقلاً

قولنا عن اللغة، «إنها ليست عقلاً»، يتضمن مقوله النسية واسعة، تفسر لنا كثيراً من الفواهر اللغوية، وتتطلب معالجتها، من الكلام عليها، ما يجاوز حدود الفصول المهددة، إلى الأبحاث المستقلة أو المصيغات، لأن موضوعها، من الجوانب، ما لا تكون دراسته دراسة مكتملة إلا بالتناول الشامل الذي من شأنه أن يقدم لنا نظرة كلية عن الموضوع..

إن تناولنا لهذه المقوله، أي اكتناء الفانرة التي تعبر عنها بها، أن اللغة البحث عقلاً، وكشف حقيقتها للناس، أو كشف جوانب من هذه الحقيقة، إنما يفضي، في رأينا، إلى إحداث تعديل في التصور اللغوي، أنه تعديل للموقف اللغوي المبدئي لأبناء اللسان العربي بلغته الفصحى، كتاباً كانوا يهاطبون الناشر بعباراتهم ويقتدي الناس بعباراتهم، أم منشئين عاديين تبقى عبارتهم في نطاق محدد محدود. وهو تعديل إيجابي فاعل من شأنه أن يخلص العبارة مما يشوبها من آثار اخضاعها لرقابة العقل وسلطانه.

ولأن مقولتنا هي، كما نقول، مقوله واسعة لما جوانبها المتعددة،
ولأن للموضوع مستويات من النظر تفرزها لنا مستويات غوية - تركيبة، من الفانرة نفسها التي تقوم بدراستها، ظاهرة أن اللغة ليست عقلاً،
فقد رأينا، في فصلنا هذا المحدد، أن نكتفي، من النظر إلى الموضوع، بما تتيحه لنا حدود هذا الفصل، وأخترنا، بهذه الحدود، أن تمثل مستوى عينيه من

مستويات التركيب التحوي* الذي تتجسد به الظاهرة، مستوى البنية التركيبية*(*Les structures syntaxiques*) أو مستوى العبارة**، بكلمة أبسط (وهو، كما نعلم، أعلى المستويات المبنية وأكثرها غثيلًا لغة* واللسان*)، وأن تتمثل، من هذا المستوى، بصور من العبارة أردنا أن تكون، للمسألة التي تقوم بدرسها، كالنماذج الدالة.

* * *

كشف لنا تأملنا المستمر في عبارة أدباتنا وكتابنا وسائر منشئنا، واستقرأونا لمذاج هذه العبارة، والنظر في سويتها النحوية متى ممدوٍ ارتباطها بها، أن في هذه العبارة صوراً (تركيبة) تخضع لسلطان العقل ورقابته الصارمة، مثلما تخضع لسلطان الحدس اللغوري***، أو أكثر، خصوصاً أدى بها إلى ما يمكن اعتباره نوعاً من السوية اللغوية - العقلية**، الواقعة خارج ما نسميه، في سياقها هذا، نقاء لغويًا**** يبلغه أبناء اللسان، أو ينبغي أن يبلغوه - ولو كان النقاء، في حالتنا، مطلوبًا للغة الكتابة، وكان بين لغة الكتابة ولغة التخاطب الشفهي، من الفرق الذي يُؤدي إلى طبيعة اللسان الذي يعنيها، للبيان العربي ما يوهم غير المدقق، أو المغرض، بأجنبيّة لغة الكتابة عندنا، أي يتعذر بلوغ النقاء فيها، أو صدوره بلوغه*****.

(*) إن ورود خيمتنا الخامسة هذه على كتف الكلمة المفردة، أو المركب غير الإسنادي** إنما يعني أن الكلمة، أو المركب، مضموناً اصطلاحاً تستعمل الكلمة به، في الموضع الذي ترد فيه، أو في بحث الكتاب، ويمكن الرجوع إلى تحدideه، تحديد المضمون الاصطلاحي، أو التعريف به إنما في موضع من الكتاب، وإنما في قاموس المصطلحات في آخر الكتاب.

(**) «النقاء اللغوري»، هذا، يقصد خلو العبارة خلوة بعيداً من المأثر بالتل والتعليق، أي خصوصها، في مفرداتها وبنائها التركيبية وصورها النحوية العامة، لقوانيتها هي، أي لقوانين لسانها، وليس لقوانين العقل التي تكون الألستة عرضة لها في نزارات معينة من تاريخها، وفي حالات ليس منها مجال الخوض فيها.

(****) تتلولنا شبهة الأجنبيّة هذه في القسم ٣ - ٤ من هذا المفصل.

وقد استوقفنا، في لساننا العربي بمستواه الكثافي، من هبة المصوّر ومقدارها اللافت، ما يشكّل ظاهرة عامةً جديرةً، في رأينا، بأن تُوصَف وتُعالَج.

وكنا، في نطاق تبعتنا لهذه الظاهرة، وتأمّلنا لمصوّرها النحوية المتّوّعة، ندوّن ما يتيسّر لنا من شواهد الدالة. وكنا، بهذه الشواهد، نزدادُ اكتناهاً لها؛ حتى تكون لنا عنها نصّورٌ يلْعَنُ مِنْ رُسُوخِهِ عِنْدَنَا أَنَّهُ أَصْبَحَ هَذَا مِنْ هَمُونَا الْغَوْيَةِ، نقصد مِنْهُ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الْمَوْضِعَاتِ الْعَامَةِ (*l'usage courant*)، التي تتمخّرُ حولَهَا جوانبُ من تفكيرنا اللغوي الشخصي، أو تطّلعُ هذا التفكير بطريقها.

أما المعيار الذي استندنا إليه في اختيار الشواهد، فكان دلالةً لها، أي مقدار ما تدل عليه من الظاهرة، ومصداقية ما تدل عليه، ولم يكن الأديب، أو الكاتب، أو المنشي، الذين تصدّرُ عنهم العبارة؛ ولا المكانة اللغوية أو الأدبية لصاحب العبارة؛ ولا العصر الذي ينتمون إليه؛ لأن طبيعة موضوعنا لا تتطلّب شيئاً من ذلك.

وهذا يعني أننا، في عملية اختيارنا للشواهد، لم نميز أدبياً كبيراً، أو لغويًا معروفاً، من مجرّد مجهول (أو معلوم)، في صحيفَة يومية، أو مجلة، أو كتابٍ مدرسيٍّ، الخ...، ما دام المعيار هو الدلالية التي ذكرنا (وإن كنا، في بعض الحالات، نرى، لصدر الشاهد، عن اللغوي والأديب، من المعنى، ما يُعبرُ عن نفسه).

ولقد حرصنا على إبراد هذه النقطة في هذا الموضع من البحث، كابيضاخر، أو كردا^(۲) مُسبق، هل اهتراض ربياناً تناولها، وانساق مبديه وراء ما كان قداماً، وما

(۲) ربما اعتقد بعض المعنين باللسان العربي، المترمّلين، أن إدخال الكاف على اسم مُغَرب نكرة؛ لتكون ما يمكن اعتباره حالاً («وَأَنَا، كَمَوْاطِنٍ»، لا يُمْكِن أن أظل متفرجاً)، هو تركيب غير عربي تسرّب إلينا، مثلاً، من اللسان الفرنسي، ترجمة لكلمة *comme* وما تتركب منه في ما ناظر التركيب العربي الذي يعن في صده: أي أنا لا أقول، مثلاً: «وَأَنَا، كَكَاتِبٍ مُلْزَمٍ»، في الحق أن أقول: لا، كما يقول الفرنسي: «Et, comme écrivain engagé»، le droit de dire quoi، وأن الصواب أن نقول: «وَأَنَا، كَاتِبٌ مُلتزمٌ»، في الحق...،

زالوا^(١)، يطلبونه لشواهدهم من نقاط لا معنى لها في موضوعنا.

و قبل الشروع في تناول الفاشرة، نود أن نقف قليلاً أمام المرجع الأول من مراجع الحكم في المسألة التي تعنينا، الحكم في **غمبية الصور التخيالية** - التوكيبية للسان عامة، و غمبية الصور التي سنستعرضها بصورة خاصة، و غمبية الصور الثلاث التي ستتوسع في درسها بصورة أختصر، نود أن نقف أمام السليقة، أو المدرس **اللغوي**^(٢)، أو **الكفاية اللغوية** (*Compétence linguistique*) ؛ إذا أردنا مصطلحاً أكثر فنية. و نود ، على التحديه ، أن نبين معنى **المرجعية** التي جعلتناها للكفاية اللغوية في الحكم على **غمبية الكلام**.

○ و مع تسلينا بالشبه الظاهر بين التركيبين، و بيان من غير المتبدع حصول الترتب بينهما، فإننا من جهة أخرى، نرى أن التركيب الذي أخن لي صدمة يمكن أن بعد تركيباً عربية، ويمكن أن يكون مقبولاً حق بانتظار المعودين المتزمتين. ذلك أن الكاف الإسمية هذه ترافق كلية مثل كافا نعلم (الكاف الإسمية هي التي لا تكون حرف جر، بل تكون اسمياً من حرف واحد يعني « مثل »، ويكون ما تدخل عليه مضافاً إليه. منها، مثلاً، الكاف الواردۃ في آيت المشي المشهور: وما قتل الأحرار كالقفوع عليهم...).

و بما أن في رسالتنا أن نقول مثلاً، « و أنا، حتى كاتب ملتزم، أعلن حتى في مناصرة بكل قضية عادلة »، كما نقول، « و أنا، ككاتب ملتزم، أعلن حتى في مناصرة كل قضية عادلة »، فإن التركيب الذي تدخل به الكاف يصبح تركيباً عربياً سائغاً، و يصبح هو التركيب المفضل، لأن المعنى الذي يزدوجه لا يزدوجه، بالمعنى الدلالي نفسه، تركيب نجد لهه إلى في موقف لا يغير من الترتيب... .

(١) يقولوا عن القوامين: « وما زالوا »، و يريد أن تشير إلى بعض المعنى عندنا بالسان العربي، الذين ما زالوا يدورون في تلك القوامين، حتى في عملية اختيار الأمثلة لمؤلفاتهم التعليمية، والذين، بهذا الدوران، عدّناهم في القوامين، وإن كانوا يعيشون في مصرنا. ذكر من هؤلاء « القوامي »، الأستاذ سعيد الأفغاني الذي، حول مسألة الأمثلة بالذات التي يسميها شواهد، وفي نطاق تأليفه كتاب « حدیث »، في النحو، إنما يحصر شواهد، أي أمثلة، في ما يسميه، هو والقديم، عصر الاستجاج، أو عصر اللامة. (سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠). انظر كلامه حول « عصر اللامة »، في الصفحة ٤، ثم راجع تناولاً موسعاً للموضوع الذي تشير إليه في مدخل الكتاب (عنوان: « حول الشواهد وقواعد الاستجاج » بهاء، من ٥ وما بعدها).

اذا علمنا :

- أن الكفاية اللغوية، لأبناء اللسان، هي النظام النحووي^{*} المتكامل (Le système grammatical intégral)، الذي أتيح لهؤلاء الأبناء، في فترة محددة من حياتهم، أن يكتسبوه أو يستبطئوه^(٥)، (بتعبير الألسنيين المحدثين)، نتيجة لتمرسهم الطبيعي بنماذج اللسان الكلامية^(٦) الشخصية، وتعريضهم اليومي العشوائي الكثيف لهذه النماذج، والذي^(٧) عنه تتصدر عبارتهم، وبه يفهمون عبارة مواهم، وإليه تعود أحكامهم (الضمنية المواكبة لعملية الفهم، والصربيعة التي يبدوتها كلها دعت الحاجة)، حول نحوية^{*} ما يسمعونه من عبارات لسانهم أو يقرأونه،

- وأن الوصف التحوي "للسان" من الألسنة، أي تعقيد هذا اللسان، إنما يتناول مركباته التحوية "التي يتضمنها شتم تعقيد درجاته صعوداً من الكلمة، إلى ما نسميه شخصياً المركب غير الاستادي"، إلى المركب الاستادي البسيط، أو الجملة، إلى المركب الاستادي المركب، أو العبرة،

- وأن هذا الوصف، أو التقييد، يمكن أن يجتذب من الكلمة، إلى الجملة. ثم يقف، من العبارة، عند مستوىها التركيبي البسيط، أي عند معالاتها الأولى المتاحة للجملة، أو الواقعة في نطاقها. حتى إذا رأى التوغل فيها، في العبارة، لاكتناه صورها المتوجبة، المتشعبة، المتفرعة إلى نهاية يصعب إدراكها أو يتعذر، الذي نفسه أمام عالم متعرك

(٥) استبطاننا لقواعد لساننا هو العملية المركزية بين عمليات اكتساب اللسان. بها تتحول هذه القواعد من كيانها الكلامي (نسبة إلى الكلام^{*}) اليومي الشخص، إلى كيان نظري مجرد، عنه تصدر قواعده الكلامية. إننا، بكلمة «الاستبطان»، إنما نترجم كلمة *Interiorisation* الفرنسية بضمونها المبن في هذه الحاشية.

(٦) نسبة إلى الكلام*.

(٧) النظام التحتوي.

تجاوز حركته كل طاقة له على الاكتشاف والتجرد، فتاتم يصبح للعنصر اللغوي "وحدة، أو للكفاية اللغوية" دون سواها، قدرة على اكتناه وإدراك أسراره،

- وأن جوهر ما يكون به اللسان "لساناً ميناً من السنة اللغة الأخرى هو العبارة" بعلمه التراكيبي المترامي، قبل أن يكون، وأكثر ما يكون، بما دون العبارة في سُلم المركبات النحوية،

إذا علمنا ذلك،

ـ أدركنا، مما أعاد إلى المسألة التي نسعي إلى مزيد من فهمها، أننا، بكتابتنا اللغوية، أثي بخدمتها وسلبيتها، إنما نحكم على نحويتها "القراكمي" التي تتضمنها صورنا النحوية - التركيبة عامة، وصورونا التصورية التي ستمثل بها على الظاهره التي نحن في صددها، بصورة خاصة، إننا، بكتابتنا اللغوية، نحكم على نحويتها "القراكمي" أكثر بكثير بما نحكم عليها بقواعدنا المجردة والاجتهادات إليها.

ـ وإذا بحثت التصوري الواقعية في مستوى التفكير التجريدي الممتعى، أي الواقع دون العبارة من السلم، هي، في ما نصلح نحن عليه، نحوية نظرية، أو نحوية مجردة^(٨). نجد صياغتها اللفظية عادة في كتب النحو، فإن النحوية الواقعية في ما يجاوز هذا التصور، أي الواقعية في نطاق المحس، إنما تكون نحوية حدسية، في ما نصلح عليه أيضاً، وهي نحوية كامنة في الضمير اللغوي لأبناء اللسان، أو للمجموعة اللغوية (communauté linguistique) فيها.

وهذا يعني أمرين:

- أن نحوية المركبات الواقعية دون مستوى العبارة في السلم الصاعد، هي نحوية

(٨) إذا أردنا ترجمة هذا المصطلح إلى اللسان الفرنسي، لم يكن لنا سوى الكلمة Grammaticalité explicite (راجع الماشية ٥٧).

نحوية يمكن إدراكتها من طريق النظر التجريدي، مثلاً هي نحوية حدسية تدرك من طريق المحسس اللغوي^{*}، أي الكفاية اللغوية^{**}.

- أن نحوية العبارة، على الأقل بصورها النسبية المتقدمة في السلم، إنما هي نحوية حدسية لا تدرك إلا بالمحدس، أو بـ **الكفاية اللغوية**^{***}.

* * *

٤-٢ الظاهرة من خلال ثلاث صور لحوزة - تركيبية

نأى إلى الفاعرة التي تعنينا نحاول التعرف على^(١) بعض ملامعها من خلال عدد من الصور نحوية - التركيبية العائدة لها، نستعرضها واحدة واحدة، نعرف بالصورة، بشكلها السري، بما نراه لها شكلاً سورياً - حديساً، ثم نورد، من شواهد الكتاب والمنشئين المختصين لرقابة العقل، ما تحول به الصورة، من سويتها نحوية^{*} بلغويتها الحدسية الصافية، إلى ما نسميه «سوية لغوية - عقلية»^{**} كون اللغة فيها مشوهة بالعقل.

(١) ربما طعن بعض المتمسكون بالعمود الخفي للسان العربي، بمستوى الكاتب العربي، في صحة هذا التركيب (التعرف على الشيء)، بموجة شكلية مضمونها أن هذا المصدر، أو فعله المشتق هو منه، لا يتعذر بـ «على»، بدليل أنه، في النصوص المأثورة المعتمدة، النصوص المعمودية، أو في القاموس، لم يتعد بـ «على». وردنا على هذا الطعن المفترض بذكرين من نقطتين متربعتين نوردهما، وإن طالت بها المخايبة، لما تلهمها، عندنا، من دلالة عامة.

* الأولى: قاعدة نحوية تسمى قاعدة «التضمين التحوي»، مضمونها: إننا إذا ضئلاً قعلنا من الأفعال (أو مصدرًا، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول...) معنى فعل آخر، جاز لنا أو وجب علينا، أن نعدى ذلك الفعل بما نعدى به الفعل الآخر. مثلاً: تضمن الفعل «اضطفي» معنى الفعل ◇

وإذا كنا، بالشكل السوي - الخدسي للصورة، إنما نقصد القاعدة التي تمثل بها الصورة، فإن ذلك يغطي إلى أننا سنتقدم صورنا النحوية إنما بقواعد عامة تستغرق لنا جزئيات الكل المقصود، وإنما بما يختارها من وصف غوري للشاهد أو تعقب عليه.

ونوضح هنا أن القواعد التي تقدمها البعض صورنا، إنما نطرحها بصيغة شخصية توجهنا، في عملية صياغتها، إلى متن اللسان، واستخرجناها من الشواهد العائدة إليها، وجعلنا لها صفة الاقتراح الذي يراوح الموقف منه بين الرفض والقبول، أو ما كان بينها من تعديل أو تكملة.

وهذه عينة من الصور النحوية نستعرضها، نعرف عليها تعارفًا نجاوز به جسد الشاهد المائل فيه إلى التأمل في بعض ملامعه وأسراره:

* يصادف المنشىء الخاضع لرقابة العقل وسلطانه، من تراكيب الكلام، ما

▷ «فضل»، للتقارب في المعنى بينها، فنعتيه بما نعتي به «فضل»، نعتيه به «عل»، فنقول خواص من قوله تعالى: «قال إن الله أضطهدكم عليكم» (٢٤٧ من سورة البقرة).

هذه القاعدة - وهي، فيها كشفه لنا الاستقراء، قاعدة مطردة تقع على خاذجها المشخصة، أي خاذجها الكلامية (نسبة إلى الكلام) في أي الذكر الحكم، كما نفع علينا بتواتر لافت، في لغة الإعلام اليومي - إذا طبقناها على «تعرف»، و«التعرف»، ...، كان لنا أن «تتعرف» يستعمل معنى الماضي «اطلع»، فيبدى بما يبعدي به «اطلع»، يبدى به «عل»، فنقول: تعرف عل، والتعرف عل، كما نقول: اطلع عل، والاطلاع عل.

• الثانية، تعقب على الأولى ومضمرتها:

- أن ورود هذا التركيب في الاستعمال الغوري الواسع الذي لم تقدر، معرفة نظرية مجهرية بحدتها، إنما يشكل تطبيقاً طبيعياً عقرياً لقاعدة النضمين التي بياناً.

- أن حظينا لهذا الاستعمال وما هو من قبله، كحضرتنا أن نعتي بالباء أفالاً من فهو، التزم، استشهد، أحسن، ...)، بمحنة عدم النص على شيء من ذلك، من شأنه أن يضيق على اللسان العربي المجال الحيوي الطبيعي لحركة غزو، وسيجده في قويم ما يسمى بـ عمود الفصحي، ويصله لساناً قارئيناً يتنبئ إلى عصر غير عصرنا، كما يجعله لساناً أجنبياً فحصله كما نحصل أي لسان أجنبى.

يرُبّكه، فيلتجأ إلى عقله يحمل به التراكيب المركبة، يُمْتَلِّقُها، يقيسها، ويُشَحِّنُ فيها، بهذه العقلنة، عن حده اللغوبي وما يعليه عليه، ثم نراه يكتب مثلاً:

- «يجب القول إنه لا سياسة مواجهة موحدة بين الأطراف العربية المعينة الخمسة، وهي الأطراف اللبناني والصوري والأردني وال سعودي...» (ميشال أبو جودة، جريدة «النهار»، ال بيروتية، ٨١/٧/١٦، ص ١، عمود ٨)،

غير عاليٍ بما تحدّه المطابقة بين كلمة «الأطراف» المؤلّفة، وكلمة «اللبناني» المذكورة وما عُطِّف عليها من تناقض حادٌ فحشٌ جلياً واضحاً عند سماع هذا الكلام أو قراءته، لأنّه إنما أقام عبارته على حسابات عقله لا على إحساسه.

أو يكتب ما كان من نحو:

- «وهو قوي البنية، حسن الصحة، ذراعاه وساقاه شديدة» (جريدة «النهار»، ٨١/٢/١٦، ص ٩، عمود ٣)،

غير عاليٍ، هنا أيضاً، بما يحسه أمامه هذا الكلام من تناقض في المطابقة بين المبدأ «ذراعاه وساقاه»، والخبر «شديدة»، ما دام قد أجرى «حساباته الرياضية الدقيقة»، بين المبدأ والخبر، وما دامت هذه الحسابات قد أظهرت له أن المجموع الحساني لذراعين اثنين وساقين اثنين إنما هو أربعة، أي جمع، فلماذا لا يغير عنه جمع؟!؟

* يصادف الكاتب الصحفي المعروف محمد حسين هيكل عملية تتابع همزة الاستفهام وواو العطف اللتين تسبقان الفعل، ويلاحظ أنّ الهمزة تسبق الواو، وذلك في نحو:

- قول الآية ٨١ من سورة يس:

﴿أَرَأَيْتَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾

- والآية ١٥ من سورة فصلت:

﴿أَوْ لَمْ يرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾،

فلا يروقه ، في نظام التتابع بين الحرفين ، أن تسبق المءزَّة الواو ، لأن الجملة المنفعة المستفهم بها ، (أَمْ يرُوا...) ، إنما هي ، في حساباته ، أسلوب معروفة ، فينبغي إذن أن تكون كلها سبقة بحرف العطف ، تالية له ، ولا يقبل عقله الذي أحله هكذا محل اللغة ، بأن يقع هذا الحرف في حشو الجملة ، أي بين همزة الاستفهام وسائر الجملة ، فتراء ، لذلك ، يهدِّي به إلى المءزَّة والواو ، فيقلب نظام تتابعتها ، في كل موضع يرددان فيه ، ويعني على اللغة رغبتَه هو ، وقولوه هو ، وقوانينه هو ، ثم يكتب ما كان نحو قوله :

- وأليس غريباً أنَّ الديموقراطية لم يسمح لها بالعودة إلى البرتغال ، إلا بعد هزيمة ديكاتورية «سالازار» و«جيانتانو» في حرب أنجولا؟ (بشكل ، زيارة جديدة للتاريخ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص ٦ ، الفقرة الأخيرة).

- وأليس غريباً أنَّ الديموقراطية لم يسمح لها بالعودة إلى إسبانيا إلا بعد وفاة الجزار ، فرانكو؟ (نفس ، ص ٢٧ ، ف ١).

- - - أليس هذا كله غريباً؟ وأليس فيه ما يدعونا إلى التحفظ؟ (نفس ، ص ٢٧ ، الفقرة ٢).

* يقول اللسان العربي ، بنادجه الكلامية المشخصة ، الصادرة صدوراً طبيعياً عفويَا عن الكفاية اللغوية^٣ لأبنائه ، ما كان نحو قول الآية ٧٨ من سورة النساء :

- ﴿فَإِنَّمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾،

بنفي فعل المقاربة «يَكَادُون» ، كما هو الكلام العربي الصادر عن كفاية لغوية طبيعية ، وليس بنفي الفعل الواقع خبراً له ، كما آل إليه الكلام مع بعض المنشئين ، فيقع هذا القول بين يدي لغوي منطق ، فيوجه إليه عقله المحلول ، ويضمه لمقاييسه وأحكامه ، فيقرر ، بسلطنة من هذه المقاييس ، أنَّ هذا الكلام كلام

مروض، وأن ما يطلبه العقل هو أن تدخل النفي على الفعل الذي يقع خبراً لفعل المقاربة، وليس على فعل المقاربة نفسه. حق إذا اتى هذا القرار مسوقة قاعدة عامة، وانتشرت القاعدة بين المنشئين والكتاب، رأينا منهم من يكتب مثلاً:

- « والناظر إليهم يكاد لا يصدق...» (مخائيل نعيمة، سبعون، دار صادر دار بيروت، ١٩٥٩، ص ١٥١).

- « وكم من الذين يعيشون أحبارهم في هذا الزمان، وأيديهم وأرجلهم تكاد لا تلمس التراب» (نفسه، ص ١٤٩).

- « يكادون يطبقون على أن اللغة إلهام وتوفيق، ويُكادون لا يختلفون في تصورهم نشأة اللغة الإنسانية...» (سبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملائين، الطبعة السابعة، ١٩٧٨، ص ٣٤).

* يفرز لنا لساننا العربي، من الجذر «ع و د»، مُركباً فعلياً منفياً من نحو قولنا:

- « هذا الراتب لم يُعد يكفي»،

ويكون معنى «لم يُعد» هو المعنى المفهوم من هذا المركب، أو ما كان من قبله، فيقع لبعض اللغويين الذين يُخضعون اللغة لعقلهم، من شبهات النظر، ما يدفعهم إلى التحديق المجهري في المركب، وما يجعلهم يتوهمون أنه كلام غير صالح لأداء المعنى الذي يؤدّيه، ثم يقررون أن هذا المعنى ينبغي أن يؤدّي بمركب فعلي آخر يدخل الجذر «ب ق ي» في تكوينه، ثم يكون من ذيوع هذا التوهم بين الناس ما يجعل كثيراً من المنشئين يقولون مثلاً:

- « فالشعر اليوم لم يبق كما كان محاكاً للطبيعة والحقيقة...» (د. موريس أبو ناصر، جريدة «النهار»، الـ ٢١/٦/٨١، ص ٩، عدد ٣، آخر فقرة من المقال).

- « ... فلم يبق... مصطلح العدم يعني اللاشيء»، (حسب نصر، «النهار»، ٥/١١/٨٥، ص ١٠، عمود ٨، الفقرة ٣).

- «والحاكم إذا قام بعمل وزرائه لم يبق حاكماً، والوزراء إذا سيطروا على عمل الحاكم لا يبقون وزراء» (نسمة، ع عدد ٤، فقرة ٢).

- «بلد لغته الرسمية لم تبق عجيبة يستمر حتى متخلطاً» (سعيد عقل، المجلة التربوية، العدد الأول ١٩٤٣، ص ٧٨، فقرة ٢).

- «وهذه الديموقراطية تحول إلى مجرد تقليد تمارسه المجتمعات الغربية، ولم تبق إمكاناً سياسياً أمام الفرد في مواجهة قدره الاجتماعي والسياسي، ولم تبق قاعدة جوهرية تقوم عليها الحياة السياسية، بل باتت هامشأً وعرضأً» («النهار»، ١٦/١١/٨٥، ص ٩، ع عدد ٤، فقرة ٤).

وظاهر من تأمل الشواهد أن المعنى الذي تؤديه «لم يبعده» لا تؤديه «لم يبق» أداء كاملاً، وأن الفرق بين «لم يبق» و «لم يبعده» هو فرق دقيق ندركه بحسناً ولا نستطيع تحديده بعقلنا. أما الذين يستعملون «لم يبق»، في السياق الذي نحن في صدده، فإنهم إنما يُخضعون المركيّن الفعليين لعملية نظر عقلي يقررون بعدها، وبتحليل صريّ مجهرّي، عقلي لا لغوبي، أن لم يَعْدَ غير صالحة لأداء المعنى الذي تؤديه، لأن جذر «عُود» لا يتضمن هذا المعنى، ثم يستنتجون أن «لم يبق» هي المركب الصالح لأداء المعنى المطلوب، غير مختلف، بطبيعة موقفهم المبدئي اللغوبي، إلى المعنى الطبيعي الذي شُحِّنَتْ به «لم يبعده» ولو تربطت به وباتت تؤديه أداة طبيعية عفوية يرتاح إليه سعدتنا المشي، لكلامها يوغل في استعماله.

* يقع في الكلام مصدر أو اسم فاعل مشتقان كلاماً من فعل متعدّ.

+ يكون المصدر مضافاً إلى فاعله في المعنى وبعد هذا الفاعل مفعول للمصدر :

- «ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لفبدت الأرض» (البقرة، الآية ٢٥١).

- «لولا ينهىهم الرّيّانيون والأّهيار عن قولهم اللّاثم وأكلهم البُخت لبس ما كانوا يصنعون» (المائدة، ٦٣).

- إنشادنا للشعر وقراءتنا لروع النثر أمران فاعلان فينا.
- + ويكون اسم الفاعل نكرة متونة منقطعاً عن الإضافة، أو مقترباً بـ (أو)، وبعده مفعول به:
- **﴿والقىمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر...﴾**
(السادسة الآية ١٦٢).
- **﴿ومن الذين هادوا ساعدون للكذب، ساعدون لقوم آخرين...﴾** (المائدة، الآية ٤١).
- **﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفالتم له منكرون﴾** (الأنبياء، الآية ٥٠).
- **﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن يجد هذا أبداً﴾** (الكهف، ٣٥).
- «والله لأن أبىت على حسك السعدان مُسْهَداً، أو أَجْرَ في الأغلال مُصْنَداً، أَخْبَ إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالماً لبعض العباد، وغاضباً لشيء من الزاد» (علي).

- وأما الخطر الذي توجس الشعراء منه خيفة على الشعر، فهو ظهور العلم في القرن التاسع عشر، على نحو عاصف يصبر البشرية، صغير لنظرتها إلى الأشياء» (توفيق الحكيم، عن الأدب، ص ١٩٥٢، من ٢١٥).

وهذا يعني أن تعددية المصدر أو اسم الفاعل إلى مفعولها إنما تكون بصورتين:

تكون تعددية مباشرة، أي تعددية بالذات كما تسمى في المصطلح المعروف، وتكون تعددية بالأداة، أي تعددية بهذه اللام الحارة التي يسميها النحاة لام التقوية.

وقد سميت هذه اللام كذلك لأن المصدر واسم الفاعل إنما يتقويان بها في كل

تركيب يصعبان فيه عن الوضول إلى مفعولها، دون أن يكون في ملذكره النجاة عن المسألة - في ما قرأناه نحن على الأقل - ما يبين لنا حقيقة هذا الضعف، أو يحدد مواضعه التحورية - التركيبة تحديداً نظرياً يتجسد في قاعدة متكاملة من قواعدهم. ويبقى حدثنا اللغوي الحسن التكروين وحده هو الذي يجعلنا نميز تعدية بالذات من تعدية بالأداة.

إلا أن ما استوقفنا، في تتبعنا للمسألة بشهادتها الحديثة، أن كثيراً من كتابنا ومنشئنا المحدثين يرفضون الإيماع إلى حدثهم اللغوي، مؤكدين عليه احتكامـاً شكلاً - مُبـسراً إلى شواهد الـقدماء ، أو تـعليلاً منطقياً يجعلـهم يـحصرـون تعدـيـة المصـدرـ . وـاسمـ الفـاعـلـ فيـ التـعـدـيـةـ الـماـبـاشـرـةـ ، أـنـيـ التـعـدـيـةـ بـالـذـاتـ ، ويـتجـسيـونـ تعدـيـتهاـ بالـلامـ ، غـيرـ عـابـثـهـ بـماـ تـفـضـيـ إـلـيـهـ تـعـدـيـتـهـ الـقـسـوـةـ هـذـيـ مـنـ ثـقـلـ فيـ الـلـفـظـ تـسـهـلـ مـلـاحـظـتـهـ .

وهـذهـ بـعـضـ الشـواـهـدـ :

+ فمن الطبيعي أن تكون نظرتنا... نابعة من طبيعة هاتين الحقيقتين... بينما العلاقة هي الرابط الحقيقين وفي أساس الصورة («النهار»، ٢٠/٩/٨٦، ص ٩٦، عمود ٧، أوله)

(في وسعنا أن نلاحظ بسهولة ثقلاً لفظياً نافراً، ناجحاً عن توالي كلمة «الرابط»، وكلمة «الحقائقين»، وأن هذا الثقل من شأنه أن يزول إذا نحن عدينا اسم الفاعل، «الرابط»، بلام التقوية ندخلها على «الحقائقين»، ونقول: «الرابط للحقائقين»).

+ لا فرق جلياً... بين المثقف وبين من يخطِّ اللافتة المعترفة الشارع المزدحم، (وضاح شرارة، جريدة «النهار»، ١/١٢/٥٥، ص ١٠، عمود ٥، فقرة ٣):

(هـنـاـ أـيـضـاـ، نـلـاحـظـ ثـقـلاـ لـفـظـيـاـ نـافـراـ، نـاجـحاـ عـنـ توـالـيـ اـسـمـ فـاعـلـ عـلـقـرـنـ بــالـ، وـمـفـولـهـ المـقـرـنـ بــالـ، وـنـلـاحـظـ أـنـ فـيـ وـسـعـنـاـ عـجـبـ ثـقـلـ يـادـخـالـ لـامـ التـقوـيـةـ عـلـىـ المـفـوـعـ، وـالـقـوـلـ: وـيـخـطـ الـلـافـتـةـ الـمـعـتـرـفـةـ لـلـشـارـعـ الـمـزـدـحـمـ).

+ ... القوات اللبنانية... التي وصلت إلى الذروة في تمثيلها المسيحيين وفي استقطابها إياهم» (سر كيس نعوم، جريدة «النهار»، ١٢/٥/١٩٩٥، الفقرة ٦).

(من استعمال الكاتب لكلمة «إياهم»، وتجنبه لكلمة «لهم»، يقتصر لنا بوضوح تصوره للمسألة، وإصراره على تعددية المصدر بالذات، لأن في استعمال فمimir النصب، «إياتا»، وفي لفظة^(١٠) «إياهم»، ما يشير إلى أن الكاتب يطلب لمصادره التعدية بالذات ويحرص عليها).

+ ... ويقادون لا يختلفون في تصورهم نشأة اللغة الإنسانية عما ظل سائداً في الغرب حتى أواسط القرن السابع عشر ... (صحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملائين، الطبعة السابعة، ١٩٧٨، ص ٢٤).

(ليس الثقل في هذا الشاهد كالثقل في الشواهد الأخرى . إنَّه فيه ثقلٌ نسي نبيه عندما نقارن قوله : «في تصورهم نشأة اللغة» بقولنا : «في تصورهم لنشأة اللغة»).

(١٠) نستعمل كلمة «لفظة»، بعضون اصطلاحي نظرته للتداول، بحسب ما يؤمنه لنا من وضوح في عملية النظر إليه (إلى المضمون)، وبسبب افتقاره (افتقار المضمون)، إلى اسم يرتديه ويبلوره، ويحدد، ويسهل استخدامه في البحث. «اللفظة»، بالمعنى المعلوم، هي كل وحدة كلامية تنفصل، في الكتابة، عن ساقها « مما عليها»، وتشكون:

+ إما من كلمة واحدة، فتكون لفظة بسطة، وحيثما قرأت **اللفظة**، والكلمة، وتعلماها.

+ وإنما من كلامي فأكثروه وهذا ما نرمي إليه بمصطلحنا المطروب.

- من کلمتن: دور/نا، سرد/غ، ک/الکبری، ایا/هم،...

- من ثلاثة كلمات: فاجأ/ت /نا.

- من اربع كلمات: مثلاً / ت / ن / ب

- الخ

卷之三

وتحجيم اللفقة على «النقطات» بفتحات متولدة، وليس على «اللفاظ»، التي ينبغي أن تكون جمع «اللفظ».

لما تحليل المنطقي الذي قلل أن كتابنا ومشينا يدخلون إليه، في إنتهاء عبارتهم المتضمنة لتركيب المسألة التي تعنى بهم فيما نصور أنها هؤلاء السادة بفكرون على النحو التالي - ولتكن كلامنا على الشاهد الأول:

إن اسم الفاعل، في هذا الشاهد، كلمة «المفترضة»، إنما هو مشتق من الفعل «اعتراض»، تابع له في أحکامه وأوجه استعماله.

وبما أننا نقول: اعتراض البافطة الشارع

ولا نقول: اعترض البافطة للشارع

فإننا نقول: البافطة المفترضة الشارع

ولا نقول: البافطة المفترضة للشارع،

غير مختلفين، في هذه المحاكمة، إلى أمور يتبع الإلتفات إليها،

+ أن ما ينطبق على الفعل لا ينطبق على مشتقاته بالضرورة، لأن لل فعل طبيعته الصرفية - النحوية الناجمة عن كونه أصلًا في العمل التحويي، وللمشتقات طبيعتها الصرفية - النحوية الناجمة عن كونها فرعًا في العمل التحويي. الفعل يفرز من التركيب ما يناسب طبيعته، والمشتقات تفرز من التركيب ما يناسب طبيعتها.

+ إن من طبيعة المشتقات التعددية أن تتعدى إلى مثيلوها، في تركيب رأينا شواهدنا، بلام تقويمها وتجعلها معاونة للفعل في عملية التعدية التي تعنيها فشئ لذلك لام التقوية، كما رأينا. (وربما انعقد لينا شيء من التشابه بين معاونة فروع الفعل لل فعل إذا ضمت إليها اللام، ومعادلة الماضي للمضارع في محله محل الاسم إذا سبقته «قد»، أي إذا ضمت إليها «قد»، في حالة التركيبية التي تسمى «قد» فيها حرف تقرير).

+ إن التعدية باللام قد وردت في الكلام وروداً كثيراً يعرفه متبعو المسألة ومستقرئو جزئياتها وشواهدها.

+ إن اللام التي يتهم المترهون عدم جواز التعدية بها، يمكن أن تدخل حق

مع الفعل نفسه، وليس مع مشتقاته فيحسب. وذلك إنما يكون عندما يندرج الفعل في تركيب يصعب معه عن العمل في معموله، عندما يتقدم المعمول على فعله في نحو قوله تعالى:

- «فَلَا سَكَنَّ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخْذَ الْأَنْوَاعَ وَفِي فُسْخَتِهَا هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ»^(۱۱) (الأعراف، الآية ۱۵۴).

* يواجه المتشيء، وهو ينشيء كلامه، عملية مطابقة بين مركب إضافي^(۱۲) يختلف جنس المضاف فيه عن جنس المضاف إليه، أو يختلف عدده عن عدده، وبين عنصر آخر، أو أكثر، من عناصر الكلام، عنصر يمكن أن يظهر في لفظه، من عملية المطابقة، تأثير أو تذكرة، إفراد أو تثنية أو جمع.

+ تقع المطابقة، مثلاً، بين المركب الإضافي، «بعض المدارس الخاصة»، وبين حديث «الامتناع» مستندًا، بصيغة الماضي، إلى هذا المركب.

أما هذه المطابقة، يحسن المتشيء، ميلاً عقلياً طبيعياً إلى إظهار التأثير في لفظة «الفعل، أي ميلاً إلى أن يكتب: «امتنت بعض المدارس الخاصة...»،

(۱۱) ربما حلت الإشارة هنا إلى أن لام التقوية هذه التي دخلت، في الشاعر القرآني المبين، بسبب من طبيعة التركيب الذي اندرجت فيه، إنما تدخل في إحدى لمحات المحكمة اللبنانيّة، في لمحّة أهل بعلبك، تحقّق في التراكيب التي لا يكون فيها تقدّم وتأخير. يقول أبناء بعلبك: «جِبَلُكْ ضَرِبَ لَعْنِي».

ولا يعني أن إشارتنا هذه هي إشارة، وتبقي قيمتها الدلالية محصورة في طبيعة العلاقة بين لغة السخاطب ولغة الكتابة، في أن النفيتين لها، في تصورنا، متربّان اثنان من لسان واحد ينتسبان إليه، اللسان العربي.

(۱۲) أن نتكلّم، في المسألة التي نحن في صددها، عن مركب إضافي تجري المطابقة بينه وبين ما يرتبط به من عناصر الكلام، بدل أن نتكلّم عن مضاد على حدة، ومضاد إليه على حدة، مطابقة تجري بين المضاف مكتسبة أو غير مكتسبة، وبين ما يعود إليه من عناصر الكلام، وكذلك منهج من يبحث المسألة بغير المنهج التقليدي المعروف، ويمكن أن يعمد، كما نرى.

إلا أنه يُمسك عن هذا الترکيب، لأنه يجد نفسه مشدوداً بعقله الخائب لا يحتمل،
إلى قاعدة مجردةٌ خرقية، مترفة في حرفيتها، يميل عليه عقله وجوه المخصوص لها،
قاعدة تقوم على ذلك الارتباط النحوي بين المضاف والمضاف إليه، ثم مراعاة جنس
المضاف، أو تفضيل هذه المراعاة، والقول:

- «امتنع بعض المدارس الخاصة عن دفع رواتب المعلمين» (جريدة «النهار»،
البيروت، ٨١/٥/٨، ص ١١، عدد ٤).

+ «تقع المطابقة - في مثل ثان - بين المركب الإضافي، وبعض أعضاء
اللجنة»، واسم فاعل من «جده، يجد...»، مُسند إلى المركب، منفي بـ «غير»،
وضمير يعود إلى المركب.

أمام هذه المطابقة، يحسُّ المتشيء ميلاً عفويَاً إلى جمع اسم الفاعل، وجمع الضمير
العاائد إلى المركب الإضافي، أي ميلاً إلى أن يقول: «بعض أعضاء اللجنة غير
جادين في الإنقاذ ويهُم الإبقاء على الوضع الراهن». إلا أنه، بخصوصه
للقاعدة المجردة إياها، تبدل المخصوص للحسن الذي يميل به إلى ما ذكرنا، إنما يجد
نفسه يقول: «...»

- «لأن بعض أعضاء اللجنة في رأيها غير جادٍ في إنقاذ لبنان، وهم الإبقاء
على وضعه الراهن» («النهار»، ٨١/٦/٩، ص ٢، عدد ١).

ويكون الميل إلى التأييث في الحالة الأولى (أن تقول: امتنعت بعض
المدارس...).

كامل إلى الجمع في الحالة الثانية (أن تقول: غير جادٍ...)،
ميلاً حدسيًا طبيعياً ناجماً عن طبيعة التمازج الدلالي بين مفردات كل مركب من
المركبين الإضافيين اللذين مثلنا بهما.

وتكون مختلفةً هذا الميل، كما قدمنا، نتيجة طبيعية بسيطة من نتائج إصغاء
المنشىء إلى عقله حيث ينبغي أن يُصنفي إلى تحدسه.

ثم نزداد تاماً للمسألة فنجد أنفسنا نقف أمام أمرين:

• من جهة أولى، نلاحظ أن المطابقة العقلية بين المركب الإضافي وما يعود إليه من عناصر الكلام، يفك الارتباط النحوي بين المتضادين، وإقامة المطابقة بين المضاف وحده وما يعود إليه من عناصر الكلام، إنما هي ظاهرة منطقية في عبارة المُحدَّتين، غرابة بما تحدثه في الحس من تناقض بين الطرفين المتطابقين. وربما بلغت غرائبها، في بعض النماذج، حدود الاستهجان:

- يبدو أن بعض النساء المتعلمات يتزين بالألقاب العلمية ويتغطرف (جريدة «النهار»، الأربعاء ٤/٨٥، ص ٩، عمود ٣، سطر ٢٦).

- «فكل حماواته في الكشف عن أسرار العالم الثاني، وعمًا يخرج عن النطاق الطبيعي، هو عبث في عبث» (المجم الأدبي، مادة «لا أدبية»).

- بعض كبار القادة فقط يعارض المؤخر (جريدة «السفير»، بيروت، ٩/٨/٨١، ص ٤، عمود ٢).

• ومن جهة ثانية، نلاحظ أن المطابقة الحدسية - الغفوية - الطبيعية، التي يحس المشيء بها أن المضاف والمضاف إليه، هنا كالكلمة الواحدة، بتعبير القدامى، أو، بتعبيرنا نحن، هنا مركب لفظي واحد يتعين جسه أو عدده بالخدس لا بالعقل، إنما هي المطابقة الأكثر دورانًا في الكلام، على الرغم من «تفشي» المعرفة النحوية النظرية بين الناس^(١٢)، لأن غالبية أبناء اللسان إنما يتصدرون، في إنشاء عبارتهم، عن خديسمهم اللغوي، ولا يصدرون عن تفكير في القواعد المجردة، أو عن حسابات رياضية يجرؤونها بين عناصر الكلام. ومتى كانت العبارة عبارة حدسية طبيعية، كان لنا من نماذجها ما يستريع إليه حق المزود بالمعرفة النظرية، حتى الاختصاصي المعنى

(١٢) حول الدور السلي للمعرفة النظرية لقواعد اللسان في نقاء العبارة، راجع «حدسية اللغة»، في القسم (٢ - ١) من هذه المقالة.

بشؤون اللغة^(١٤)، كان لنا أن نقول ما كان نحو:

- «كُلْ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (سورة ههليون، الآية ٤٥).
- «لَوْ كَانَ هُؤُلَاءِ أَهْلَهُ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِدُونَ» (الأنساء، الآية ٩٩).
- «وَيَعْضُوُنَ الْحَجَارَةَ يُنْكُوُنَ بَهَا» (المجادلة، الحيوان، في: بطرس البستاني، مناقب أدباء العرب في الأعصر العباسية، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٤٨، ص ٢٩٩).
- «إِنْ بَعْضُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ الْمُبْنِيَّةِ لَا يَكُونُ لَهَا مُحِلٌّ مِّنَ الْإِعْرَابِ»^(١٥) (جي جي شاهين عطية، علم اللسان في الصرف والنحو والبيان، الدرجة الرابعة، الطبعة ٣، غير مؤرخة، صفحة ١٤٥).
- «وَكَانَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْمَشَاكِلْ تَنْجِلُّ بِالْتَّكَافِلِيَّةِ»، (الشيخ عبدالله العلايلي، ابن الخطأ، دار العلم للملاتير، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٥).
- «... نَقْرَ بِأَنْ تَعْلُوُ النَّظَرِيَّاتِ الْأَلْسِنِيَّةِ الْعَامَّةِ هِيَ الَّتِي سَمَحَتْ بِطَرْحِ هَذِهِ الْمَشَاكِلَ عَلَى بَسَاطِ الْبَحْثِ، وَهِيَ الَّتِي تَسْاعِدُ عَلَى حَلِّهَا»^(١٦) (ريمون طحان، الألسنة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢، ج ٢، ص ١٤٥).

(١٤) اربط بالعناوين التاليتين.

(١٥) هذا شاهد يميز له خصوصية تتطلب إشارة إليها. ذلك أن صاحبها، في كلامه النظري عن جواز اكتساب المضاف من المضاف إليه تذكرة أو عاشره، يقول: «وَالْأَدَلُّ مِرَاعَاةُ الْمَضَافِ، فَتَتَوَلَّ»، قطع بعض أصحابه، (ص ٣٣٣ من الكتاب المذكور في المتن).

وهذا يعني أنه، عندما أنشأ كلامه المشهود به، إنما كان مستعيناً بخدشه، وكانت رقابة عقله عليه غالبة عنه.

(١٦) هذا شاهد يميز آخر له دلالة خاصة. إن كلمة «تطور»، التي وردت فيه، ليست من الكلمات المكتسبة. - ما تسميه علن «الكلمات المكتسبة»، يكرر الدين به - تقصد أنها ليست من الكلمات التي يقع اكتساب حادثة فيها، ويندر أن يقع في سواها (عن هذه الكلمات، ذكر: كل،

ثم نختم فنشر إلى أن ما ذكرناه عن المسألة، المعروفة، في المفهوم الكلاسيكي،
مسألة اكتساب المضاف من المضاف إليه جنسه (أو عدده)^(١٧)، إنما هو مقاربة
أولية، وأن مزيداً من اكتناه الموضوع يتطلب مزيداً من الدراسة، وهذا ما سنقوم به
في قسم ثالٍ. إلا أننا، في الدراسة المزمعة، قد أثروا تناول الموضوع من زاوية
الكلasicية المعروفة، زاوية النظر إلى مضاف ومضاف إليه يكون لكل منها كيانه
النحوي الخاص، وليس من زاوية التي نطرحها له، زاوية النظر إلى مركب إضافي
يتوحد فيه المتضاديان أو يتلاشيان.

* يقع لبعض الكتاب، أو المنشئين، المخاضعين لسلطان عقلهم أن ينشئوا كلاماً
فيه مركب وصفي * مكون من موصفين اثنين عُطِّلَ ثانيةهما على الأول، وصفة لها
تلبيتها، فيبادر أصحابنا، بقرار منطقي - رياضي بارد عليه عليهم عقل حل
حساب، إلى مطابقة رياضية - منطقية بين الصفة وموصوفها المتمثل ، عندهم، في
لفظ الكلمتين المتعاطفتين بحقيقة الرياضية، فتراهم لذلك يقولون ما كان نحو :

○ بعض، نصف، مثل، آخر، سائر، جميع، الخ...)

نحن لا نرى أن كلمة «تطور» قد اكتسبت التأثير ما أضيفت إليه، كاكتساب الكلمة «كل»،
للتأثير من أي مؤثر تضاف إليه فتكتسب تأثيره. إننا نرى أن منشئ العبارة كان، من
الاستغرaci في عملية إنشاء العبارة، وكان من الابتعاد في هذه العملية عن رقابة عقله، بحيث وجد
نفسه يحس بمعنى التأثير في ما يتكلم عنه، ويتوهم أنه إنما يتكلم عن مؤثر، فأنت ما لا يقبل
التأثير، فجاه بمسند مؤثر ألم به الكلام، جله بـ دهلي لـ
 وكلمة أخرى: أن ما يعنيها من الواقعية اللغوية التي نحن في صددها هو هذه الحدسية التي نشر
الواقعة إليها، والتي هي للكلام أساس يقوم عليه، وينطلق منه، قبل أن يقوم على أي أساس سواء
أو ينطلق منه.

(١٧) نود، بهذه الحاشية أن نشير إلى شيئاً:
الأول: إننا نقول: «في المفهوم الكلاسيكي»، ونعني أن المسألة لم ترد لدى القديسي ورووداً حرفاً
ممثل هذا العنوان.
الثاني: إننا جعلنا «أو عدده» بين هلالين لأن النحاة لم يتناولوا العدد في بحث الاكتساب.

- ... أو يضمنون له السادس والستون بأن يُشرِّكوه في مهام الاعداد والتدريب التربويين، (م. أبو مزاد، «النهار»، ٨١/١٢/١٢، ص ١٣).
- ووقف حسن عن القراءة في عجب وتأثير شديدين، (توليف الحكم، غصون من الشرق، طبعة مصرية غير مورخة، ص ١٧٦).
- ... وهامي أخبار حلقات البصرة وما كان يدور فيها من نقاش وجدل لغوين، (أ. فربة، نظرات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣، ص ٧٣).
- إنهم يقولون ذلك **فيَنْتُون**، بدل أن يقولوا ما يحسنون **فَيُفْرِدُوا الصفة** وإن كان الموصوف في حساب العقل موصوفين / بدلاً أن يقولوا ما كان من نحو:
- **﴿وَجَعَلَ فِيهَا سَرَاجاً وَقَمَراً هَنِيرَا﴾** (سورة الفرقان، الآية ٦١).
- «وأخذ النمو والانتشار **اللغوي**... يطارد العربية الفصحى (محمد علي التجار، كتاب «العربية»، المترجم، مؤلفه الألماني يوهان فوك، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١، ص ١٧٩).
- ... وليس بفعل الضغط والتهديد الإسرائيلي...»، («النهار»، ٨١/٥/٦، ص ٢، سركيس نعم).
- نحن لا نستعذن أن التأمل والاستغراق المثالي يعينان على إيجاد أخلاقية ضرورية، (الشيخ عبدالله العلaili، أين الخطأ، دار العلم للملائين، بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٩).
- ولا يخفى أن الكتاب الثلاثة الذين أنشأوا عيارة الشواهد الأخيرة إنما كانوا، في عملية الإنشاء، يجرون مع جدهم **اللغوي** بعفوته المتجلدة بكلامهم، ولم يكن للعقل وحساباته أي رقابة عليهم. ولو لا ذلك، لكان من المؤكد أن تجيء بصيغة الثنوية كل صفة جاءت عندهم بصيغة الأفراد.

* يقع في الكلام مبدأ، أو ايم ، إن ، أو بعض ، أخواتها ، وتقع بعدها وأو وصلة بعدها شرط منعقد بـ ، إن ، وما يمكن ، شكلياً ، أن يعتد جواباً لهذا الشرط . وذلك ما كان نحو قولنا :

- هذا الكتاب، وإن كان موجزاً، إلا أنه زاخر بالمعاني.

ونحو قول الآخر:

- «على أن النظم والنشر، وإن اشتراكاً في هذا المعنى، فإن النثر كان أوسع في فنون البيان تصوراً» (ع. العزيز البشري، كتاب «المختار»، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٦).

وقوله الجاحظ:

- «لأنه، وإن كان عربياً أعرابياً وإسلامياً جاعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة» (الجاحظ، الحيوان، في: بطرس البستاني، منقبات أدباء العرب في الأعصر العباسية، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٤٨، ص ٢٧٧).

فإذا وقع للكتاب العقلين المنطقيين تركيبٌ مماثل، وأملأ عليهم حدّسُهم عبارة من قبيل الشواهد المستقرضة، إذا بهم يسارعون إلى هذه العبارة يُعْجِرُونَ عليها حساباتهم، ويقررون أن الصورة المقبولة للتركيب الذي نحن في صدده إنما تكون من نحو أن نقول:

- «والقليل الذي طالعته، وإن فاتني الكثير من معانيه، كان كافياً لإضرام نار الشوق في نفسي» (ميخائيل نعيمة، سبعون، ج ١٩٥٩، ١، ص ١٤٢).

- «والقولان، وإن لم ينطبق أحدهما على الآخر، بلتقىان في الطريق الذي سنها الخليل» (المعجم الأدبي، عمود الشعر).

- فهو، وإن كان عربياً مُسْلِماً، ينفتح على جميع الآراء» (علي حرب، «النهار»، ١٦/٨/٨٥، ص ٩، فقرة ٧).

...

وظاهر، من قرامتنا البسيطة لهذه الشواهد، أننا نقع، في كل عبارة من عباراتها، على تفاصي تركيبي نحْسَه بحدّسنا، ويتمثل بمقوّل الرابط-اللفظي بين الشرط المتكون

مع «إن»، وما اعتبرناه جوبياً لهذا الشرط)، وستزداد فهماً للمسألة عند عودتنا إلى الموضوع نفسه في القسم التالي من بحثنا.

نَوَّدُ إذن، في هذا القسم، أن نزداد فهماً للمسألة، فنختار ثلاثة من الصور التركيبية المستعرضة، لنقف أمامها بمزيد من التحديد والتحليل والتعليل.

١-٢-٢ الصورة النحوية الأولى

تعتَّلُ الاشْتَيْنِ يَمْتَرِدُ

تشكل الصورة النحوية - التركيبية، التي نتبينها بالعنوان المائل أمامنا، جزءاً من كل، أي قاعدة محددة من قانون نحوي أوسع، قيمنا، شخصياً، بدراسة، وسميناه قانون «المطابقة».

وعلومنا أن فهم المجرى يكون أعمق إذا نحن جعلناه في سياقه الطبيعي، إذا نظرنا إليه من خلال الكل الذي يتبعه إليه. إلا أن دراسة هذا الكل، أي دراسة «المطابقة»، إنما تتطلب مجالاً مترامياً يتجاوز ما يتبعه لنا الفصل الذي نحن فيه بجاوزة بعيدة.

القاعدة المطروحة:

إذا ورد في الكلام موصفان لثنان، هفردان لا مشياف ولا بمحجان، معطوف أحدهما على الآخر، بالواو، أو بـ«أو»، وأردنا ثعثتها هفردان أي بما

ليس جملة، نظرنا:

- فإن كان بينها ترافق في المعنى، أو ما يرد، في حسن المنشىء أو وفقيه، إلى الترافق، من تقارب أو تشابه أو تضاد، أفرزنا النعت إذا لم يكن في تشبته غير خص محتوي مطلوب، فقلنا ما كان نحو:

- ١ - ➤ ... وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴿^(١٨)﴾ (الفرقان، ٦١).
- ٢ - ➤ ... فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴿^(١٥)﴾ (المائد، ١٥).
- ٣ - «بَنُو الْأَعْيَانِ الْإِخْوَةُ لَأَبٍ وَأُمٍّ وَاحِدٍ» («لسان العرب»، ع ٤٤).
- ٤ - «والتعبير الجذري في حاجة إلى تراخي في الزمان، وإلى اختبار وتفاعل بطيء»، (أحمد أبو حاتمة، الالتزام في الأدب العربي، دار العلم للملائين، ١٩٧٩، ص ١٠٥).
- ٥ - «ويتحقق الرسالة العربية في الحضارة والتقدم الإنساني»، (أحمد أبو حاتمة، الالتزام في الأدب العربي، دار العلم للملائين، ١٩٧٩، ص ٤٨٢).
- ٦ - «... وليس بفعل الضغط والتهديد الإسرائيلي»، (سرگیس نعوم، جريدة «النهار»، بيروتية، ٨١/٥/٦، ص ٢).

فإذا كان في الكلام ما يوجب تثنية النعت من جهة المعنى، كان يُوجَبُ الإفراد في الالتباس، أو تضليل التثنية، في نص علمي، مزيداً من الدقة، فإن التثنية تصبح أمراً مقبولاً، ويصبح من اللازم أن نقول ما كان نحو:

(١٨) رعاينا قيل، في التعليق على الاستشهاد بهذه الآية، أن النعت فيها هو للقمر دون السراج؛ لأن السراج لا ينبع بالإنارة. وجوابنا حينئذ يكون: بل، ينتسب السراج بالإشاراة، بدليل الآية ٦١ من سورة الأحزاب: «وَدَاهِيًّا إِلَى اللَّهِ يَادِنَهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا».

- ٧ - «يَحْلُّ عَلَهُ الْفَعْلُ الْمُقْرَنُ بِـ«أَنْ» أَوْ «هَا»، الْمُصْدَرُ بِـ«هُنَّ»» (البازجان، نام، القرى في شرح حجف البراء، بغير موعد، طبعة قديمة، ص ١٤٩).
- ٨ - ... في الصفة الغريبة، وقلاع غنة المحظيين (كلامها يختل) كما في ...
- ٩ - حضور المذهب والمهلة الجديدة (كلامها بجديد)، ...
- ١٠ - زارنا الوزير والنائب الثريان (كلامها ثري).

وربما كان مما يكتمل به الكلام عن هذه القاعدة أن تشخّصها يايضاً نزداد به فهماً لمضمونها.

إن عملية إفراد النعت - والمعنى ثانٌ حكمها، دلولياً، حكم المثنى - لها عندنا تفسيرات ثلاثة:

* إما أن المثنى، المشكّل، رياضياً، ومعنوياً، يعطى مفروه على مفرد، يكون، في حسن المتنبي، ووشه، وبسبب من التزادف بين الأسمين، أو ما كان في المحسن قبله، وكأنه اسم مفرد؛ فيقوم المثنى بمعنى الأسمين، وفي حسه أنه ينبع اسماً مفرداً فيفرد. ومن هنا أن سليقتنا، الحسنة التكوين، تحسن استهجاناً، أو استغراباً، أمام النعت بالمشنوي. كأنها تحسّ أننا ننعت مفرداً بمحشّ،

* وإما أن حسن المتنبي، الواقع، خلا الإشارة، خارج لافتات الرياضية والمقاييس العقلية، المندفع بعمورية لغوية صافية، أو قريبة من الصفة، في عملية إنشاء العبارة، لا يكون مشغولاً، عند قيامه بالطابقة بين الصفة والموصوف، إلا بالوضع الذي يكون قد يتلفّ، أي بالكلمة التي تجري التطابق عندها ومعها، تقصد ثاني الأسمين، فينتهي المعطوف دون المعطوف عليه، فيفرد، وفي حسّه أنه ينبع الأسمين كلّيهما^(١٩).

ويمؤيد هذا الرأي أن إحسان المثلثي يكون مثلاً لإحسان المنشى، إنه، دون أن يدخل في أي تحليل عقلي، وشرط الألا يدخل في أي تحليل، يحسن أن النعت الذي يتناول ثان الاسمين من جهة اللفظ، إنما يتدااع معناه حتى ينعد على الاسمين كليهما.

• وإنما أن النعت المفرد يكون حقيقة ثان الاسمين، ويكون في ورود الاسم الثاني ونعته بعد الاسم الأول ما يعني، من الناحية التركيبية - الدلالية، عن نعت الاسم الأول: أي أن المنشى، والمثلثي لا يحسنان أن الاسم الأول يحتاج إلى ما يتنعّم من نعت أو غيره؛ كأن ورود المعطوف مع نعته، بعد الاسم الأول، يكون هو المتمم لهذا الاسم^(١٩).

(١٩) رعا خشن، في هذا الموضوع، أن نشير إلى رأيين قربين من رأينا:
الأول: رأي الطبرسي في تفسير المشهور «جمع البيان في تفسير القرآن»، ذلك أن الرجل، لما أراد أن يتعلّم الإفراد في التفسير المأثور في لفظة «ينتفونها»، من قول الآية «إن الذين يكترون الذهب والفضة ولا ينتفونها في سبيل الله...»، قال: «...وزرد التفسير إلى القصة لأنها أقرب»،

(راجع ج ١٠، ص ٥٢، طبعة دار الفكر - دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٧).

والرأي الثاني: هو رأي بطرس البستاني، المتوفى سنة ١٩٦٩، في تعليقه على قول ابن المقفع من «الأدب الصغير»: «... على أن يكون كصاحب فصوص وبيقة باقوتاً، وزير جداً، ومرجاناً، فنظم له قلائد وسموطاً وأكاليل»، قال البستاني: « قوله: فنظم له، أعاد التفسير المصلوب إلى البرجان آخر أيامه الحجازية الكريمة، وهذا مستحسن في التعبير» (بطرس البستاني، منتقيات أدباء العرب، بيروت، ١٩٤٨، ص ٦٧).

(٢٠) نتعلق، في هذه المسألة، من تجربتنا الشخصية، أي من إحساننا حيث ما نشهده وما نقرأه أو نسمعه من صور القاعدة التي تعينا، ومعلوم أن علم اللغة الحديث، المعروف بـ«الآلية»، قد أجاز للباحث الذي يقوم بعملية وصف لسانه - الأم، أي عملية تعميد له، أن يكون، هو شخصاً، أي أن تكون لغته هو، متّا (un corps) من متون اللسان الذي يقوم بوصفه وتعميده (راجع، حول هذه المقولات، جون لايوتر LYONNE، الآلية العامة، مدخل إلى الآلية النظرية، لاروس، باريس، ١٩٧٠، ص ٧٠).

هذه هي الصورة النحوية للتراكيب التي نحن في مسدها، إنها، في نماینرى، صورة سوية تدرج في نطاق من الملغوية المقبولة، وتنطبق مع آلية إنشاء الكلام وحدسيته.

ونريد آلان أن نظهر كيف تتحول هذه الصورة، بأقلام كتابنا الذين يصغون إلى حكم عقولهم أكثر مما يصغون إلى صوت حدهم اللغوي، من سوية لغوية لغوية^{*}، إلى سوية عقلية تُلغي الصورة ملائمةً لها اللغوي.

نبدأ باستعراض بعض الشواهد:

١١ - «وأما الحروف والأسماء، فتتوقف على يبيّن كل منها هل الساع والنقل الصحيحين» (جورجي شاهين حلبة، سلم اللسان في المعرف والنحو البيان، الدرجة الرابعة، الطبعة الثالثة، غير موزع، ص ١٤٠).

١٢ - «... قوانين التجانس والتنافر الصوتيين» (ريمون طحان، الألسنة العربية، ٣، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، ص ١٢٥).

١٣ - «... على أنها جديدة في ميدان التشريع القانوني - نيلة في حقل التعاطي والتعامل الإنساني» (الشيخ عبدالله العلالي، ابن الخطأ، دار العلم للملاتين، ١٩٧٨، ص ٢٤).

١٤ - «... وهذا هي أخبار حلقات البصرة وما كان يدور فيها من نقاش وجداول لغويين» (أليس فريحة، حلقات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣، ج ٢، ٧٣).

١٥ - «لأن العرب كانوا مفتين بالفلسفة والمنطق اليوناني» (أميل بديع بستوب، فقه اللغة العربية وآدابها، دار العلم للملاتين، ١٩٨٢، ج ٢، ص ١٠٣).

ويسهلة ظاهرة، نستطيع أن نلاحظ أن في هذه التراكيب خالفة واضحة للقواعد التي عرَضناها، ونستطيع، بهذه كافية، صيغة حسنة التكوين، أن نحسن ما

برؤلدة فبنا نعمتُ الاثنين بالمعنى من استهجانٍ، أو استغرابٍ، أو استكراهٍ. وإذا كنّا غافلينَ عن المسألة بخصوصها، فيها سلطان العقل، لمنطقه، لمقاييسه، فإن في وسعنا أن ننتبه لها، ونستدرك ما يقع في عبارتنا مما يعودُ إليها.

وإذا كان يفهمون ما تقدم، ومن سياق العرض عامّةً، أنَّ خالفة كتابنا للقاعدة التي نحن في صددها إنما يعودُ إلى سلطان العقل، أي تغلب العقل، في عملية إنشاء العبارة، على الخدمن للغوي لــ*السيقنة*. فإنَّ ثمة هنْصراً ثالثاً نرجحُ أنه يدخل في تعليل المخالف، ولا يفهم ما ذكرنا. تمهيد هذا الأثر الذي يرؤلدة في عبارتنا احتكاكها بالعبارة الأجنبية عامّةً، والفرنسية خاصةً، وهي العبارة التي تراعى فيها المطابقة الشكلية بين الأسمين المفردتين المتعاطفين، والنعته الذي يليهما، مطابقة عقلية - منطقية صارمة.

ثم نرى، في ختام كلامنا عن مسألة نعمتُ الاثنين بمفرد، أن نشير إلى نقطتين تزداد بها فهماً لــ*المسألة*:

- في النقطة الأولى نكرر ما ذكرناه في موضع سابق: من أن تناولنا لهذه المسألة هو تناولٌ لجزء مسلوخ عن الكل الذي ينتهي إليه، وأن هذا التناول لا يكتمل أكتياله إلا من خلال هذا الكل. وذلك يعني أن ما فهمناه من عرضنا المتقدم هو فهم محكم بالجزئية، منظور إلى في نطاقها، وأن وعى العارضي المختص بهذه الجزئية هو خطوة مهمة في اتجاه الكلية.

- في النقطة الثانية نوضح، بتصور يبلغ عندنا درجة اليقين، أن المطابقة الطبيعية - اللغوية، في المسألة التي تعنينا وفي سواها، إنما تجري على أساس نفسي يتعرك في نطاق الخدمن اللغوي، وليس على أساس عقلي - منطقى محكم بالتحليل والحسابات الرياضية.

* * *

٢-٢-٢ الصورة النحوية الثانية
أكتاب المضاف من المضاف إليه بحسبه لوعده

- نهمو بمعاطٍ، وهم ينجزون ما عاهدوا عليه، وهم ينجزون ما عاهدوا عليه،
- ١ - يتناول هذا القسم من البعثة الصورة النحوية التركيبية المكونة، في نطاق المطابقة (L'accord)، بين مضافي يختلف عن المضاف إليه في الجنس والعدد، أو أي خصيصة نحوية أخرى، وبين أي عنصر من عناصر الكلام يرتبط بالضاف ويظهر في لفظه (بلي لفظ المنصر) جنسه، أو عدده، أو سواهـا:
- «**كل نفس ذاتة الموت**» (الآية ٥٧ من سورة العنكبوت).
- (جرت المطابقة بين الكلمة «كل»، المذكورة المفتقة إلى المؤنة، وكلمة «ذاتة» المؤنة).
- «**فإذا كان نصف اللبنانيين يتطلعون إلى جهة، ونصفهم الآخر يتطلع إلى جهة ثانية،...»** (مجلة «المواحد»، بيروت، ٤/٤/٨٣، ص ٥).
- (جرت المطابقة بين الكلمة «نصف»، المفردة المضافة إلى جمع، وبين لفظة «يتطلعون»، التي تتضمن ضميراً جمعاً عاقلاً. ثم جرت بين الكلمة «نصف»، الواردة في لفظة «نصفهم»، وبين لفظة «يتطلع»، التي تتضمن ضميراً مفرداً تقديره: «هو»).
- ٢ - لا يخفى على القارئ، المتبع أن المدف الذي رميـنا إلـيه بـبحثـنا هذه المسـألـة، إنما هو أن تـفـهـمـا للـعـقـلـ وـرـقـابـتهـ عـلـىـ عـبـارـتـناـ منـ آثـرـ فـيـ النـادـجـ الـكـلامـيـ الـتـيـ تـخـصـصـ لـحـكـمـ الـعـقـلـ وـحـسـابـاتـهـ فـيـ الصـورـةـ التـركـيـبـيـةـ الـبـيـنـةـ،ـ أـكـثـرـ مـاـ تـخـصـصـ لـحـكـمـ الـعـقـلـ،ـ وـحـكـمـ الـكـفـاـيـةـ الـلـغـوـيـةـ.
- وهذا يعني أنـاـ، لـتـحـقـيقـ هـذـاـ المـدـفـ،ـ سـتـتـأـولـ،ـ فـيـ قـسـمـ رـئـيـسيـ أـوـلـ،ـ مـاـ نـرـأـهـ هـذـهـ

الصورة وجهها السُّويَّيِّ، أو قاعدها العِيَّامِيَّةُ الأصْوَلِيَّةُ، وفي قسم رئيسي ثانٍ نستعرض الآثار السلبية التي خلقتها في الصورة إخضاعها للعقل ورقابته وأحكامه وحساباته.

٣ - سيظهر لنا من بحث المسألة أنَّ التعلُّم إلى تحقيق الهدف المبين قد كان عاملًا بارزًا من العوامل التي جعلت توسيعنا فيها يتجاوز حدودها الطبيعية العائدية إلى جزئيتها من البحث، أو جزئيتها فيه.

٤ - إن مسألة الاكتساب التي نحن في صددها، كالمسألة التي فرغنا من عرضها، مسألة نعت الاثنين بمفرد، هي جانب بعيته من جوانب مسألة كلية تشمل، في ما تشمل، المسألتين المنشئتين، وتدرج فيها المسألتان، اندراج الأجزاء في كُلٍّ هي منه، وتعني مسألة المطابقة بين عناصر الكلام المتراقبة، التي لا نعلم بعثنا نظرها متكاملًا تناولها.

ولأنَّ مدى بحثنا لا يتيح لنا أن نتناول موضوعنا في سياق الكل الذي هو منه، ومن خلال هذا الكل - من خلال المطابقة تعنى - فإن تناولنا للموضوع، كتناولنا لموضوع نعت الاثنين بمفرد، سيكون، بالضرورة، مشوبًا بالجزئية النسبية، منها يكن التركيز الذي نسعى إليه.

٥ - إننا، شخصيًّا، لا نعلم أن مسألة الاكتساب هذه قد حظيت من النها، قدامي ومحديثين، بما ينبغي أن تخضى به من إحاطة وتركيز.

إن تناول النها للمسألة لم يجعلون حدود الإشارة العرضية للغایرة (سيبوه في بعده لـ «كان»)، أو القاعدة المبتسرة بعيدة عن الاستغراق والتركيز (ابن عقيل في «شرح الألفية»، جرجي شاهين عطيه في «سلم اللسان»، الشيخ مصطفى الغلايبي في «جامع الدروس الغربية»)، فضلًا عن أن بعض المصنفات قد ألغفت المسألة إغفالًا (ابن يعيش في «شرح المفصل»، اليازجي في «تلر القرى في شرح جوف القرى»)، الخ...، فكان لنا من ذلك عامل ثانٍ يجعلنا نقبل التوسيع الذي أشرنا إليه، ونقبل عليه.

٤٢٣-٤٢٤ قواعد الاكتساب

نطرح كلمة «الاكتساب» بمعناها العام الذي يجاوز نطاق المضاف والمضاف إليه،
لتعتبر بهذا عن مضمون المصطلح الاصطلاحي «جديد». - جديد ع علينا نحن على الأقل - لاح لنا
ومازال يلوغ من خلال تعاملنا مع اللغة، وطالعنا لكنه من حفائطها التجسد بلساننا
العربي.

ثم تناول لأن تعرف على هذا المصطلح تفرقاً بما أطلق إلى تعريفه.

الأساس العام الذي تقوم عليه عملية الاكتساب (الأساس العام البعيد)
بالمعني العام المطرد، هو هذا التيار الدلالي العام الذي يسري في أوسائل الكلام،
وينجم عن عملية شابع الكلمات في الكلام، بنظام التابع التحوي - التركيب
المعروف.

وأبسط مظاهر من مظاهر الاكتساب، أو أبسط مستوى من مستوىاته، هو
المعنى المجمل الذي تكتبه الكلمات المكونة للكلام، أي أن المعنى الذي تواديه
الكلمات بالكلام الذي يتكون منها، هو معنى مكتسب لها جيلاً ما دامت متدرجة في
جسمه.

ثم تنتقل إلى مستوى أقل باطلاً يكون الاكتساب عنده أقل عمومية، أو أكثر
تحديدًا وأشد وضوحاً. إن المعنى الذي تكتبه كل كلمة من الكلمات من سياق
يقصها في التسلسل الكلامية، ولا يكون لها إلا في هذا السياق:

(على الأ لا يفهم من هاتين الفقرتين معنى حرفي مبسط؛

أن كل كلمة من كلماتنا إنما يكتسب معناها، وتكتسب معنىًّا جديداً، كلما
انتقلت من كلام إلى كلام، أي من سياق إلى سياق.

ـ أـنَّ تغير المعنى الذي يكتسب الكلمة المنتقلة هو تغير آلي، ساكن، وقيبي، يصيب
كل الكلمات بقدر واحد، وكيفات مشابهة.

- (الخ...)

حتى إذا انتقلنا من حقل المعانٰي اللغوية، التي يمكن تعريفها بالمعانٰي «الم الخاصة»، المرتبطة بكلمات يعنيها تولّد كلاماً يعنيه، إلى حقل المعانٰي التحورية العامة، كالفاعلية، والمفعولية، والتقديم والتأخير، والاستفهام، ومضي الأفعال واستقبالها، الخ...، انفتح لنا باب آخر من المسألة، وألفينا أنفسنا أمام موضوعات من الاكتساب تستطيع بها أن تتجاوز حرافية الكلام وحدوده اللغوية المحسوسة، ونحصل بها على كثير من مقاييس أبوابنا التحورية.

فالفعل الماضي والفعل المضارع يكتسب كل منها دلالة زمنية مما يقترن به كل منها من أدوات، فضلاً عن اكتسابها من سياق يضمها.

والماضي يسبق حرف التقرير المعروف، «قد»، فيقرره من المضارع، ويكتسب «إيقاعاً تركيبياً» يجعله صالحًا للحلول محله في ما يناسب الفعلين من مواضع التركيب (الوقوع مثلاً خبراً لـ «كان» وأخواتها، وـ «إن» وأخواتها،...).

والأفعال التي يستقل كل منها بمعنى، وتتحرك بدینامية الاستعمال وعفويته، إنما يتداخل المتقارب منها بعضه في بعض، ويكتسب بعضها معنى بعض، اكتساباً دلائلاً لا يلبث أن يتتحول إلى اكتساب نحوبي. - تركبها بتصح لل فعل المكتسب فيه خصائص الفعل المكتسب منه،:

+ فيعدى اللازم:

- «الذين يستمعون القول فتتبعون أحسنه» (الآية ١٨ من سورة «الزمر»)،

+ ويلزم المتعدد، أو يصبح متعددياً بالحرف:

- «ألم يروا إلى الطير مُسْتَخِرات في جو السماء» (الآية ٧٩ من سورة «النحل»)،

+ ويتعدى بحرف فعلٍ يتعدى بحرف سواه:

- «ومن أهل الكتاب ما إن ثأرته بقططار يُؤْدَه إلَيْكَ» (الآية ٧٥ من «آل عمران»،

/ ثأرته بقططار يتعمّه على قطار).

- **»سأل سائل بعذاب واقع«** (الآية الأولى من سورة «المعارج»، / ساله به، و سأله عنه)،

في عملية «السؤال» / *demote* / خروجي عشوائي يندفع بها عدوى الاستعمال، وتسع طاقته المترickle، متناسلاً يبلغ في نطاق قانون «نحوى» - ترجمي كلّ شأن النحوة قانون التضمين «النحوى»، نحوة في الكلام وأشاروا إليه، دون أن يتلخّع عند فم حدود التعريف المركّز الواعي.

واللفظ الذي يساوق الفاظ السلسلة الكلامية، أي يكون في سياقها، إنما يكتب من هذا السياق شكلاً نحوياً لم يكن ليكون له لولا اندراجه فيه:

- **»والشمس وضحاها • والقمر إذا تلها • والنهر إذا جلها • والليل إذا يغشاها • والسماء وما بنها...«** (الآيات الأولى من سورة «الشمس»)،

(لم يكن لل فعل «يغشاها»، الذي تلاه «إذا»، أن يكون مضارعاً لولا اندراجه في سياق من القوافي المختومة بالضمير «ها»، لأن «إذا» إنما يليها الماضي في ما كان من الكلام مختاراً لا ضرورة معه).

فإذا أنت تابعت استقراءك لجزئيات المسألة، واستعرضت حالات الاكتساب ومواضعة في اللسان، وبلغت عملية التضاد بين المضاف والمضاف إليه - وهي العملية التي يتمحور حولها بحثنا - افتح أمامك باباً محدداً من أبواب الاكتساب، وكان ذلك:

- + في فئة أولى من الأسماء المتضاديفية^(٢١)،
 - مضاف يكتب من المضاف إليه تعريفه.
 - مضاف ومضاف إليه يكتسبان التخصيص بالتضاد الذي يربط بينهما.
- + وفي فئة ثانية (٢٢):

(٢١) سنتين، من من البحث، أن الاكتساب في الفئة الأولى هو اكتساب عزم مطرد يغير عنه بقانون أو ()

- مضاف يكتسب ملأ المضاف إليه تأثيره أو تذكره، تثبيته أو جمعه، ظرفيته أو مصدريته، إعرابه أو بناءه.



من هذه المعاني التحوية، رأينا أن نقتصر على التأثير أو التذكير، على التثبية أو الجمع، مغفلين ما يكتسبه المضاف من ظرفية المضاف إليه أو مصدريته، من إعرابه أو بنائه، لأن اكتساب هذه المعاني إنما يكون مسألة نظرية لا تظهر في شكل التركيب أو عملية إنشاء العبارة، فضلاً عن أنه لا يُعطي إلا مساحة محدودة من الكلام.

على أن اكتناها أفضل للمسألة قد جعلنا نبدأ بالوقوف أمام الاكتساب العام المطرد بنمودجيه اللذين أشرنا إليها^(٢٢)، المتمثلين باكتساب التعريف واكتساب التخصيص. إننا، بعمومية الاكتساب واطراده في هذين النمودجين، إنما أردنا أن يكون لنا سياق نزداد به فيها لحقيقة الاكتساب الذي يعنيها، اكتساب التأثير أو التذكير، التثبية أو الجمع، الذي هو اكتساب خاص لا اطراد فيه. وخطرتنا إلى الخاص من خلال العام، إلى غير المطرد من خلال المطرد، مما جعلت تصورنا للمسألة أدنى إلى أن يتكامل.

ثم نشير، في ختام هذا التمهيد، إلى أن الاكتساب الحاصل بين المضافين يمكن أن يُرَد، ببعض أسلوبه، إلى نظام الإضافة العربية أو شكلها، إلى أن الإضافة في لساننا إنما تم مباشرة بين المضافين، أي تم بغير واسطة لفظية تربط المضاف بالمضاف إليه كما هو الشأن في بعض الألسنة الأوروبية، وفي حالات من محكياتنا العربية، بل تم بسقوط جزء من المضاف^(٢٣) سقوطاً يؤدي إلى اندماج المضاف

٥ قاعدة، وأنه، في اللغة الثانية اكتساب خاص ينحصر في كلمات بعضها تحملها طبيعتها الصرفية - الدلالية تكتب المعاني التحوية المبنية.

(٢٢) داجع الحاشية السابقة.

(٢٣) سقوط نون التنوين، أو نون جمع المذكر السالم، أو نون المثنى.

بالضاف إلى مراجحة يُعنى تكون الكلمتين المتضادتين بحثة الكلمة الواحدة، ويعمق عملية الاتساع.

أما مصادرنا لدراسة المسألة، فكانت مصادرين:

- استعراضاً الشخصي للموضوع (أولاً) محدثاً عن تجربته في المنهجية.
 - ما أورده التحاة عنها ثانياً (٤٤).
- ★ ★ ★

الف: اكتساب التعريف:

نحن نعلم أننا لا نضيف إلا نكرة. فإذا أردنا إضافة المعرفة، نزعنا عنها تعريفها، وجعلنا فيها تعريفاً آخر تكتبه من المضاف إليه.

- + أـ / كتاب → كتبها سبعة ← مفظته أوردة في موسوعة الأدب العربي.
- كتاب / سبورة ← كتابه النحو
- كتاب / النحو ← كتاب الفلسفة
- كتاب / الفلسفة ← كتاب أرسطو
- كتاب / أرسطو ← كتابي (أنا).
- + ليغاز ← جهود لبنان طلبيحة (لبنانية)، ولها في الموسوعة أربعة مقالات.
- ليغاز ← جهود لبنان جبران
- ليغاز ← جهود لبنان التجاو
- ليغاز ← جهود لبنان للسلوبين

(٤٤) قدمنا استعراضاً الشخصي على المصدر الآخر، لأن ما أورده التحاة يخول الموقف بمقدمة ياتي مسترقاً لحوائمه، فضلاً عن أن الجواب التي تناولتها أمهاتهم لم تتوافر البحث عنه، مع إشارة في هذا المقام مضمونها: أن أوسع معالجة وقمنا بها على إياها قد كانت معالجة ابن هشام الأنصاري (تزو ٧٩٣ ف)، في كتابه المشهور «معنى اللبيب من كتب الأعراقب»، وإن كانت هذه المعالجة قد انتصر بالآدبية.

فلا يلاحظ كيف أن الاسم المعرف ينفك عن تعريفه فيتكتئـ ولو كان علـاـ، وكيف تنتقل النكرة من تعريف إلى تعريف، وكيف تتغير درجة هذا التعريف، بتغيير المعرفة التي تضاف إليها النكرة.

فإذا كانت المعرفة مما لا يقبل التكثير ، كأن تكون ضميراً ، أو اسم إشارة ، أو اسم موصولاً ، امتنعت إضافتها امتناعاً ، وكان لنا ، في هذا الامتناع ، دليل على عدم إمكان هذه المعرف في التعريف .

ولعل النحاة قد انطلقا من هذا عندما قارنوا بين المعرف ، ونظروا في درجة التعريف المستفادـة من كل ، ثم جعلوا المعرف درجات ومراتب ^(٢٥) .

إلا أن ما ينبغي الوقوف عنده ، وتنكمـل به نظرتنا إلى الموضوع ، هو الإشارة إلى أن اعتبار التعريف بالإضافة درجة من درجات التعريف ، واعتباره ، مع بعض النحـاة ^(٢٥) ، أدنـى درجـات السـلم ، لا يمكن إلا أن يكون أمراً مرفوضـاً ، لأنـه أمرـ لا معنى له : ذلك أنـ التعريف بالإضافة ، بخلاف كلـ تعريف آخر ، هو تعريف متحرك لأنـه تعريف مكتـسب يـكون أبداً بـجانـساً لما يـكتـسبـ منهـ ، أيـ بـجانـساً للمضافـ إـلـيـهـ .

* * *

باب: إكتساب الاختصاص :

بين الحالات التحوية المكتسبة بالإضافة ، والتي يعرفها الدارسون ، يـرـدـ الاختصاصـ المكتـسبـ بالـتضـافـ بـينـ النـكـرـتينـ وـيـعـيـزـ بـانـهـ حـالـةـ تحـويـةـ تـكـوـنـ فـيـ المـضـافـ وـالمـضـافـ إـلـيـهـ كـلـيـهـاـ ، وـتـسـقـقـ فـيـهاـ كـلـيـهـاـ ، وـلـاـ تـكـوـنـ شـيـئـاـ يـكتـسـبـ لـلـضـافـ مـنـ المـضـافـ إـلـيـهـ ، عـلـىـ غـرـارـ مـاـ يـكتـسـبـ المـضـافـ مـاـ يـضـافـ إـلـيـهـ ، فـيـ بـعـضـ حـالـاتـ

(٢٥) راجـعـ : «ـالـإـنـصـافـ فـيـ سـائـلـ الـخـلـافـ» ، لـلـأـبـارـيـ ، تـحـقـيقـ مـحـمـدـ عـيـيـ الدـيـنـ عـبـدـ الـحـمـيدـ ، لـطـبـةـ الثـالـثـةـ ، مـصـرـ ١٩٥٥ـ ، الـسـلـةـ ١٠١ـ ، صـ ٣٧٦ـ .

الإضافة، من تعريفه، أو خانقته، أو تذكيره لواجعه، أو تشبيهه، أو خنزيره، أو مصدرية، أو بآعراضه، أو بناعمه، أو بـ«النحوية»، أو بـ«النحوية المعاصرة»، وأبسط ما يوضح لنا المسألة ويفسرها هو الإشارة إلى أمرين:

الأول:

أن الاختصاص، بخلاف التأنيث، أو التذكير، أو التشبيه، أو ما شابه، ليس صفةً من صفات الكلمات المفردة لينتقل بين المتضادين، لينتقل إلى المضاف من المضاف إليه، ليكتسبه المضاف من المضاف إليه، كما تنتقل سائر الصفات بينها. إنه، كما قلنا، حالة نحوية يولد لها التمازج النحوي - الدلالي بين التكرين المتضادين.

الثاني:

أن أبسط ما يدل على انتفاء حصول الاكتساب، أي حصول انتقال الصفات النحوية من المضاف إلى المضاف إليه، هو أن الحالة النحوية المعاصرة من تضاد التكرين ليست التكير الماثل فيها، الماثل في كل منها قبل حصول التضاد بينها، بل هو حالة أخرى تسمى الاختصاص، أو التخصيص وتغيير التكير، وتتجاوزه وتجده بالمركب الماصل من تضاد التكرين نحو التعريف، تقترب منه ولا تبلغه.

يُقْرَأُ أن نشير، مما يعنينا من الكلام عن ما يكتسبه الاختصاص، إلى أن هذا الاكتساب هو، كما قلنا، اكتساب عام مطرد يتناول أسماءنا المعرفية، وتنطبق أحكامه على كل تكرين تضاديان، بخلاف اكتساب المضاف من المضاف إليه ببعض صفاتيه، كالمتأنيثة والتذكير بخواصه، كما شرئي، اكتساب خاص من غير مطرد يتناول أسماء بعضها من أسمائها المعرفية، وذلك في الحالات التي لم يكتسب فيها سلطان على هذه

★ ★

جيم: اكتساب المضاف من المضاف إليه جنسه أو عدده^١

يتميز اكتساب الجنس والعدد، عن اكتساب الصفات الأخرى، بأن التركيب التي يدخل فيها مضاف يختلف جنسه أو عدده عن المضاف إليه، إنما تكون معرّضة لتدخل العقل في تكوينها، أي معرفة لتنوع من التنازع بين العقل والسلبية على تحديد شكلها، أي على الاكتساب أو عدمه. وهذا ما جعلنا نفرد لها بحثاً واسعاً، ونقدمها شاهداً من شواهد البحث الرئيسية.

بعد هذا نشير، ونخوض في المستهل، إلى أن الكلام، بمثل العنوان المائل أمامنا، عن اكتساب المضاف من المضاف إليه جنسه أو عدده، ربما جعلتنا نتولم أن قانوناً نحوياً عاماً تخضع له عملية الاكتساب المبين، وأن المنشىء يستطيع مراعاة هذا القانون مراعاة مطردة، في كل كلام تدخل الإضافة فيه، ويكون بين أسمائه المتضادين اختلاف في الجنس والعدد، الخ ...

ثم يعزز هذا التوهم، لدى غير المدققين، ويعمقه ما نقع عليه في تراثنا النحوي النظري من قواعد تُظهر الاكتساب الذي نحن في صدده و كانه قانون عام ينطبق على الأسماء المعرفية كلها، ويكون كل اسم بموجبه قابلاً لاكتساب الجنس أو العدد من كل اسم يضاف إليه مُغاير له في الجنس والعدد، في نطاق من الحالات رسمته قواعدهم.

وعلى رأس المتهمنين كان رأس النحاة سيبويه، الذي تناول المسألة تناوله للقوانين العامة، تناوله، مثلاً، لانقسام الكلمة إلى اسم و فعل و حرف، وانقسام الفعل إلى « فعل »، و « يفعل »، و « إفعل »، الخ ...

قال، في معرض بحثه لـ « كان » وأخواتها:

« ... وربما قالوا في بعض الكلام: ذهبت بعض أصابعه، وإنما أنت البعض لأنك أضافه إلى مؤنث هو منه، ولو لم يكن منه لم يؤنثه، لأنه لو قال: ذهب عذبة أمك لم يحسن ... »

وَمَا جاءَ مُثْلِدِي الشِّعْرِ قَوْلَهُ لِلشَّاعِرِ الْأَعْشَىٰ :

وَتَشَرَّقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدِ أَذْفَتَهُ كَمَا شَرِقَتْ مَذْرُّ الْقَنَةِ مِنَ الدَّمِ
لَأَنَّ صَدِيرَ الْقَنَةِ مِنْ مَوْتِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

إِذْ بِعَصْبَضِ الْفَسَنِ تَهْرَكَتْ لَهُ مَا كَفَىٰ - الْهِنَامُ فَقَدَ أَنِّي الْيَمِ
لَأَنَّ « بَعْضَهُ » هُنَا سَنَنُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ جَرِيرٍ أَيْضًا :

لَا أَنِّي خَبِيرُ الزَّبَرِ تَوَافَقَتْ سَوْرُ الْمَدِينَةِ وَالْجَبَالُ الْخَشْعُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ ذِيْرُ الرَّوْمَةِ :

مَشَيْنَ كَمَا يَعْزَزُ وَسَاحَ تَسْهُوتَ - أَعْنَالَهَا مَسْرُؤُ الْيَسَاحِ النَّوَاصِ
وَقَالَ الْعَجَاجُ :

* طولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَفْعِي *

وَسَمِعْنَا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ يَقُولُ مِنْ يُوْثِقُ بِهِ : اجْتَمَعَتْ أَهْلُ الْهِيَامَةِ ، لَأَنَّهُ يَقُولُ فِي
كَلَامِهِ : اجْتَمَعَتْ الْهِيَامَةُ ، يَعْنِي أَهْلُ الْهِيَامَةِ ، فَأَنَّ ثَلَاثَ الْفَعْلَ فِي الْلَّفْظِ إِذْ جَعَلَهُ فِي الْنَّفْذَ
لِلْهِيَامَةِ ، فَتَرَكَ الْلَّفْظَ يَكُونُ عَلَيْهِ فِي سَعَةِ الْكَلَامِ^(٢٦) .

وَمُحَصَّلُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَيِّرِيَّهُ ، فِي إِشَارَتِهِ التَّقْعِيدِيَّةِ الْعَارِضَةِ ، أَنَّهُ يَجُوزُ^(٢٧) أَنْ
يَكْتُبَ الْمَضَافُ ، كُلُّ مَضَافٍ ، مِنَ الْمَضَافِ إِلَيْهِ تَأْنِيَهُ (أَوْ تَذَكِّرُهُ أَوْ عَدْهُ)^(٢٨) ،
إِذَا كَانَ الْمَضَافُ جُزْءًا مِنَ الْمَضَافِ إِلَيْهِ (قَاعِدَةُ عَامَةٍ) .

(٢٦) سَيِّرِيَّهُ ، الْكَابِ ، تَحْقِيقُ وَشْرَحُ عَبْدِ السَّلَامِ عَمَدْ هَارِزُونَ ، مَصْرُ ، دَارُ الْقَلْمَ ، ١٩٦٦ ، جُ ١ ، ص ٥١.

(٢٧) إِنَّا ، فِي تَقْلِيَّا لِرَأْيِ سَيِّرِيَّهُ ، نَقُولُ : « يَجُوزُ » ، وَلَا نَقُولُ : « يَجِبُ » ، لَأَنَّ الْجِوازَ مَفْهُومٌ مِنْ قَوْلِهِ :

(٢٨) بِعْدَهُ ، لَوْ تَذَكِّرُهُ أَوْ عَدْهُ ، بَيْنَ حَلَالَيْنِ ، لَأَنَّ الْعَوْلَادَ الَّذِي أَوْزَدَهُ سَيِّرِيَّهُ الْمُضَعَّرَ كُلُّهُ لِي
أَكْسَابِ التَّأْنِيَّ ، فَلَمْ تَرِدْ تَحْمِيلُ النَّصِّ مَا يَجُوزُ لِفَطْهِ إِلَّا بِمُذَرِّ رَمْزَنَا إِلَيْهِ بِالْمَلَالَيْنِ .

وجاء النحاة بعد سيبويه، فكانوا لذا منهم قاعدة أخرى مضمونها، أن المضاف إما يكتسب من المضاف إليه تأثيره أو تذكرة، إذا كان المضاف، من ناحية المعنى، صالحًا للاستغناء عنه، وكان في وسعنا، من ناحية المعنى أيضًا، إقامة المضاف إليه مقامه، ومثلوا على هذه القاعدة بعدد من الشواهد تناقلها لاحقًّا منهم عن سابق، وكان أبرزها شاهد سيبويه المشهور، «قطعت بعض أصحابه».

قالوا: إن تأثير «بعض» إما جاز لصحة الاستغناء عنه، معنويًا، بكلمة «أصحابه»، لأن في وسعنا أن نقول: «قطعت أصحابه»، ثم يفهم من هذا القول معنى مقبول يدور في فلك القول الآخر.

وهذا يعني أن الاكتساب يمتنع إذا تَعَذَّر الاستغناء. فآتى، كما يقول ابن عقيل^(٢٩)، «لا تقول: خرجت غلام هند، إذ لا يقال: خرجت هند، ويفهم منه خروج الغلام».

وحقيقة ما قام به سيبويه، والنحاة الذين جاؤوا من بعده: أنهم، بالقاعدتين المبتدئتين، إما عتمدوا إلى ظاهرة تركيبية محددة - محدودة، محصورة في عدد بعينه من الأسماء التي سرى أن في طبيعتها التحورية - الدلالية ما يهبها قابلية الاكتساب، فخرجوا بها من نطاقها الخاص، وعمموا حكمها على كل اسم من أسماء اللسان.

وإذا كانت دراستنا الشخصية للمسألة ستُظهر لنا صحة ما نقول، فإننا، هنا، نكتفي بأن نشير بسرعة إلى أن مضمون القاعدتين، قاعدة سيبويه وقاعدة النحاة الذين جاؤوا من بعده، إما هو مضمون مبهم يتعدى تطبيقه تطبيقاً مطرداً، إننا لا نستطيع أن نقول مثلاً:

- معنى العبارة ولدت لنا قناعة راسخة،

- قوة القصف هو الذي أخافنا.

...

(٢٩) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تحقيق محمد عزيز الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة ().

على الرغم من أن المعنى هو جزء من الممارسة، والقوة جزء من القصف، بحسب
سيوريه،

وعلى الرغم من أن في وسعنا أن نستغني عن كلمة «معنى»، وكلمة «قوة»،
بحسب النحاة الآخرين.

يقي، قبل شروعنا نحن في دراسة الظاهر، أن نشير إلى أن القاعدة التي أطلقها
النحاة ما تزال معتمدة حتى أيامنا. إنما، على سبيل المثال، ما زلنا نقرأ هذه القاعدة،
حتى مع شواهد المكرورة في كتب النحو التالية:

- جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى الغلايبي.

- سلم اللسان في الصرف والت نحو البيان، لجرجي شاهين عطية،

- الموجز في قواعد اللغة العربية، لسعيد الأفغاني،

دون أن يلتفت أحدٌ من هؤلاء السادة إلى ما نراه، نحن، للظاهر حقيقةها الكامنة في
جسد اللسان، الواقع وراء لفظ القاعدةين المجردتين^٤ اللتين عرضاً مضمونهما، قاعدة
سيوريه وقاعدة النحاة الآخرين.

ولقد أدى بنا تحديقنا في الفيارة، واستقرارنا جزئياتها الكلامية المتحققة، إلى
كشف ما نراه لها حقيقة ثبتتها لنا إثباتاً فيه قدر مقبول من الموضوعية مثوناً -
شواهد، تتعمى إلى كل مستوى من مستويات اللسان، وترد إلى كثير من غصونه
المتعاقبة.

وكان جلة ما تبين لنا أننا لتنا أبداً أمام قانون خارج من قوانين اللسان
العربي العامة، التي تطرد اطراد الكلمات الممتدة على جزئياتها. إننا أمام ظاهرة
محددة، محدودة، تحصر عموميتها في أسماء، بعضها من الأسماء المغربية، أسماء
من طبيعتها النحوية - الدلالة أن يقع فيها، دون سواها، الاكتساب الذي يعيينا

٤ - صفرة، صفر، ١٩٦٥، الجزء الثاني، ج ٢،

وهذا، قبلياً، يعني أن مادة بحثنا للمسألة، أو خطوتنا الأولى في درب هذا البحث، ستكون جدولأً من الأسماء المكتسبةٌ - مما نسميه نحن «الأسماء المكتسبة» - التي قمنا شخصياً باستخراجها.

أما المخطرة الثانية، فستكون دراسة هذه الأسماء، لإظهار ما نقع عليه في ثناياها التركيبية من خصائص الاتساع، أو ما نراه للاكتساب قولهـد أولية.

ثم نشير إلى أن أسماءنا المستخرجة ليس لها صفة الاستغراق، وأن من الممكن «العنور» على أسماء أخرى يفهي إليها توسيع الاستقراء.

١/ جم: الأسماء المكتسبة:

لما كانت الأسماء المكتسبة أسماء محددة معينة، وكان بعضها يكتسب التأنيث، وبعضها يكتسب التذكير، وبعضها يكتسب الثنوية، وبعضها يكتسب صفة الجمع، فقد رأينا في ذلك أساساً مقبولاً لتقسيمها إلى فئات مقابلة.

إلا أن ما ينبغي أيضاً، قبل إبراد هذه الفئات ومفرداتها، هو أن تقسيمنا المقصري إليها هو تقسيم عام يحمل تظلّلًّا مفرداًه، في عملية الاتساع، خاصةً مع عوامل نحوية - تركيبية تفهر بها وتتحدد الخصائص الحقيقة، أي الخصائص الكلامية، لكل منها. وستتبين ذلك بتقدم الدراسة

الأسماء المذكورة التي تكتسب التأنيث:

+ أسماء العدد المفرد^(٢٠) المذكر، التي تضاف إلى معدودها، وهي الأعداد المعتمدة من «الثلاث» إلى «العشرين»، ثم «الألف»، «المليون»، «المليار»، ...

(٢٠) بالعدد المفرد نقصد ما لم يكن مرجحاً (١١ - ٤٩)، أو مطلقاً (٢١ - ٤٩)، أو مقدماً من المقدر.

- + كلمة «بعض»،^(٢١) للنحوة بالعداد المفرد.
- + كلمة «كلثون»،^(٢٢) وهي مفعولية تدل على مفعول معرفة، أي مفعول معرفة مخصوص.
- + كلمات تدل على معنى الجزئية:

 - بعض، جل، معظم، مُحْبَل، ...
 - نصف، ثلث، ربع، خمس، ...
 - + مثل، شبه،
 - + أفعال التفضيل من نحو: أعظم، أفضل، أكبر، أصغر، أكثر^(٢٣)
 - + صفات مذكورة تضاف إلى موصوفها المؤنث:

 - مختلف، باقي، أول، آخر،
 - + كلمة «سائر»،
 - + كلمة «جميع»^(٢٤)
 - + كلمة «سموا»، لقباً من ألقاب التمجيل يضاف إلى الأميرات.

الأسماء المؤنثة التي تكتسب النداicker:

- + أسماء العدد المفرد المؤنث التي تضاف إلى معدودها، وهي الأعداد الممتدة من «ال ثلاثة » إلى «العشرة »، ثم «الماضي»

(٢١) نحن نعلم أن حكم كلمة «بعض» / «بعضية» هو أحكم، إنهم العدد المفرد الذي ينضاف إلى معدوده، ويشمل الأعداد الممتدة من «ال ثلاثة » إلى «العشرة »، أي أنها تذكر مع المؤنث، وتؤنث مع المذكر.

(٢٢) تعتبر كلمات «أفضل»، «تفصيل»، «الوازنة»، «أسد»، «أفضل»، «أسد» مذكورة، لأن لكل منها مؤنثاً مموازاً له « فعل »، من نحو: فضل، عضي، كبرى، ...

(٢٣) إن كلمة «جميع» هي كلمة مؤنثة موازنة له «فميل»، «مفهول»، أي أنها موازنة لما كان موانثاً، مثلاً، له («جيم» = «جيمون»)، («بلب» = «بلبون»)، («سلوب» = «سلوبون»)، الخ... فالكلمة اسم مذكر، من جهة الشكل على الأقل.

^{٢٣} الكلمة وبضمها، المكحقة بالعدد المفرد المونث.

+ كلمات التأكيد، نفس، ذات، عنده مصادقة كل سمعها إلى المؤكدة، خلافاً

لالأصول العمودية المعروفة:

- نفس الرجل زارني هذا الصباح،

- في البلاد المتخلفة، يبقى ذات الرجل فيه الحكم ملهم الحياة، ولو جلب حكمه
وارث والولايات،

- الملكة هي أن يبقى عين الرجل فوق العرش حتى يموت.

+ ألقاب التبجيل البروتوكولي مفهومةٌ إلى الأشخاص، والملوك، والأمراء،
والرؤساء، ورجال الدين:

حضره، جلالة، فخامة، سعادة، دولة، عطوفة، سعادة، معالي،

^(٣٥) قداسة، سياحة، تيافة، فضيلة، غبطة

• الأسماء المفردة التي تكتب التثنية:

+ كلمات: كل، أي، أول، آخر، أفعل، التفضيل، مضافاً كل منها إلى مشني

كل شقيقين متلاقيعن بين لشقاياها ، فهل البداي في شتاق

(٤٤) راجع المباحثتين ٣٠ و ٣١.

(٢٥) الطريف الدال على الالافت في ما ختم بهلاك المربوطة حتى هذه الأمسية أنت، وإن لفحتنا كلّاً منها منقطعاً عن الإضافة، في عملية تعدادنا لها، فإننا لا نسقط الناء من لفتها، أي أنها لا يغول الناء عليه ساكنة، كما هي الحال مع الأسماء الأخرى المختومة بناء مربوطة، بل نبني على الناء فنقول: جلالت، لخامت، حضرت، الف...

إنما، في عملية اللفظ الميئية، نفس أنّ الكلمة من هذه الكلمات، إنما تكون ملازمة لما تُضاف إليه، كأنها جزء مما تُضاف إليه، كأنها متدرجة فيه اندماجاً يتلاشى به تابعوها في تذكيرها، ولأنها تُقلل ملازمة للإضافة، فإن إعطائنا بالإضافة يُقلل ملازماً لما حقّه عند قطعها عن الإضافة، ويجعلنا نلفظ الناء في آخرها، حتى عند لفظها غير مضافة.

- أى صديقين صادقين يستطيعان أن يكونا ابن المتفق وعبدالجميد.
- أول إنسانين وطلاها هذا الكوكب كائناً آدم وجواه.
- آخر نبائين أذيعا في الناس كانوا أهم الأنبياء المذاعة.
- أشهر عاشقين عند العرب هما قيس وليل.
- أطول نهرين في العالم هما: المسيسيبي والنيل.
- أبل صديقين عرفهما الإسلام كانوا عبدالله بن المتفق وعبدالجميد الكاتب.

* الأسماء المفرودة التي تكتسب صيغة الجمع:

+ كل

+ بعض ، نصف ، ثلث ، ربع ، ثمن ، ...

+ معظم ، بجمل ، ...

+ أ فعل التفضيل ،

+ باقي ، سائر ،

٢ / جم: قواعد أوكية لاكتساب الجنس والعدد:

نوضح، بادئ بدء، أننا، ببحثنا لظاهرة اكتساب الجنس والعدد الخاصل بالإضافة^(٣١)، لا نود أبداً أن نقول: إن اكتساب المضاف من المضاف إليه جنبه أو عدده لغا يجري، حق مع الأسماء المكتسبة، به صورة عامة معروفة، يمكن استيعابها بقاعدة بصرية^{*} بسيطة.

(٣١) نقول: «اكتساب الجنس والعدد الخاصل بالإضافة»، لأن الاكتساب قد يحصل، أيضاً، بطرق أخرى، منها، مثلاً، اكتساب بعض أنواع العدد للجنس من العدد الذي ليس مضافاً إليه (العدد المركب، أسماء العقود، الأعداد المعطوفة).

ذلك أن للإكتساب، حق مع الأسماء المكتسبة، حالات فحوية متعددة، تختلف من اسم مكتسب إلى اسم مكتسب آخر، وتختلف من مضاد إليه إلى مضاد إليه آخر^(٣٧)، ثم تختلف من سياق إلى سياق، وترتّد، في النهاية، إلى كفاية المنشى، اللغوية الحسنة التكوين، التي طا وحدتها، في النهاية، كلمة الفصل في الموضوع.

إنما، من خلال هذه العناصر التي تكتنف الظاهرة وتشكل، لصورها التركيبة المتحققة في كلام الأفراد، نسيجاً تتكون به الصور وتنتقل بخلاياه، وتهب هذه الصور غنى يبلغ حدود التعقيد،

إنما، من خلال هذه العناصر، ستحاول أن تلتمس، من خطوط الظاهرة، ما نصوغ به تعديداً أولياً لها.

إلا أنها، قبل الشروع في تناول هذه العناصر، نرى من المفيد الإشارة إلى أن الأسماء المكتسبة^{*} لا يضاف كلها إلى كل نوع من أنواع الاسم، ولا إلى كل شكل من أشكاله الضريبية، إنما تختلف في ذلك وتتميز:

- فما يضاف منها إلى الاسم المفرد النكرة (المائة وأربعونها: مائة رجل، ألف امرأة، مليون دولار،...) لا يضاف أيضاً لا إلى مثنى «ولا إلى جمع، ولا يضاف إلى معرفة» (إلا في لغة من يُعرّف العدد بـ«حال» «أي» على المعدود) «الخ...»

- وما يضاف إلى جمع منكّر، (العدد المفرد من الثلاثة إلى العشرة: مائة رجال

*) اكتساب صفة الجمع، مثلاً، من تتابع المسموع في الكلام، وما يتولد عن هذا التتابع من إحساس بالجمع تكتبه بعض الأسماء المفردة:

- حق إن العدد الأكبر، من هبطوا مصر من الصبا، والثغراء، والكتاب، في أواسط القرن السابع الهجري، عقب سقوط بغداد في أيدي التتار، لم يستطعوا أن يجعلوا لون الأدب المصري، (عبد العزيز البشري، المختار، دار المعارف مصر، ١٩٥٩، الجزء الأول، ص ٢٢).

(٣٧) سرى أن الاسم المكتسب يضاف إلى الظاهر فيكون له حكم، فإذا أضيف إلى ضمير كان له حكم سواء.

وثلاثة ن黍)، لا يضاف ملء إلى مفرد، ولا إلى منفي، ولا لله ليس إلها، أو
ضيقه أفقه (جـ ٢، بـ ١)، وبـ ٣، يـ ٤، سـ ٦، جـ ٧، حـ ٩،
ـ ١٠، وما يختلف إلى تجمع مفردة، ألمـ ١١ (طبع المختلف)؛ جميع الرجال، مختلف
القضايا)، لا يضاف إلى مفرد أو منفي (جـ ٢، بـ ٣، سـ ٤، جـ ٥، حـ ٦،
ـ ٧، وما يضاف إلى مفردة لا يضاف إلى تكررة (الثالث الاحترام والتجليل، كلمات،
جميع، سائر، مختلف).

- الخ...

هذا الاختلاف بين الأسماء المكتسبة ربما شكل وجه آخر من وجه عصوصيتها،
وميزها عن سواها من أسماء اللسان المغربي التي لا تقبل الاكتساب.

٢ / جـ ١ التفاوتينيين الأسماء المكتسبة في قابلية الاكتساب

كما أن الأسماء المكتسبة «المتعيز» هن سواها بأنها تقبل الاكتساب دونها، وأن
خاصية الاكتساب بالإضافة (٢٨) مخصوصة فيها، غالباً من ناحية ثلاثة، نلاحظ أن
الأسماء المكتسبة نفسها تختلفون على ما بينها في قابلية الاكتساب، وهي بهذه

ويتجدد هذا التفاؤت في سلم جنulum الأسماء المكتسبة ويفجر تفاوتها في
في الدرجة العليا من السلم، نعم على كلمة «كل»، التي لاحظنا أن قابلية
الاكتساب فيها هي قابلية واسعة، هي القابلية الأوسع، وأنها تكتب الجنس والعدد
كليهما، ويجري الاكتساب فيها، أو بها تجمع المعرفة والتكررة كليهما:

- كل المدرسة شاركت في تكرر الناجحين

(٢٨) قلنا، بالإكتساب بالإضافة، رغم تقليل الإكتساب، اختلفاً من وكيل آخر أشرنا إليه في
الخاصة ٣٦.

- كل مدرس هي خطوة على درب المستقبل.
- كل تلميذين تساوا في عدد العلامات، فلهم ما مرتبة واحدة.
- كل المدرسين شاركوا في حفل التكريم.

وفي الدرجة الدنيا، نقع على ألقاب الاحترام والتجليل التي لاحظنا أن قابلية الاكتساب فيها، أو بها، هي قابلية مخصوصة في حالة تركيبية واحدة: أن تصاف كل كلمة من كلماتها بـ^{هـ} موصوف ^{هـ} في المعنى لا فتكسب الكلمة مما تصاف إليه جنساً هو التذكرة في معظم الحالات، ولا يتحقق المفهوم إله إلا معرفة!

- إذا كان جلالـة الملك ضعيفـاً سمي خليـها، وإذا كان بلـيداً سمي وقورـاً، فإذا كان جلالـته مـبـدـراً سمي جـوارـاً...

- عندما ترغب سمو الأميرة في شيء، فإن حاشيتها تعتبر رغبتها أمراً يتسرع إلى تنفيذه.

وبين درجتي السلم المبينتين، نقع على درجات أخرى، أي كلمات أخرى تختلف قابلية الاكتساب معها من كلمة إلى أخرى، أو من مجموعة من الكلمات المكتسبة إلى مجموعة أخرى.

وربما ساغ لـنا، هنا، أن نتكلـم عن أمـاء مـكتـسبة يـستـويـنـهاـ فيـ الاـكتـسابـ وـعـدـدهـ،ـ فـيـ حالـاتـ تـركـيبـةـ بـعـينـهاـ.

تقول مثلاً:

آخر الأنبياء تتحدث عن تجدد القتال.

أو تقول:

آخر الأنبياء يتحدث عن تجدد القتال.

أما قول أمين نخلة في مذكرته الريفية:

«الفُ رَغِيفٌ عند خبازِ الفصيحة يَدْخُلُ النَّارَ، وَالْفُ رَغِيفٌ يَطْلُعُ مِنْهَا». ولقد

مررتُ البارحة بالخبار، فلأ والله مدراستي رغيفاً قد احترق كلهِ^(٢٩)؛ ولا رغيفاً قد
واما يمكن أن يحتمله من قولنا:

ألفُ رغيفٍ عند خبازِ الفسيعةِ قد دخلَ النارَ، وألفُ رغيفٍ تخرجُ منها، الخ...

فإن ذلك إنما يشكل حالة من الإكتساب المعنوي، الذي تتوجه حركته من
المضاف إلى المضاف إليه، ومن المضاف إليه إلى المضاف، فيما لم ي sis لنا ما
يضيئه كالسلبية، أي الكفاية اللغوية ويوصلتها التي قل أن تخطيها، إذا أتيت بها تكون
حسن، أي تكون طبيعياً. ثم نعود إلى الدرجة العليا من السلم، إلى كلمة «كل»،
لتشير إلى أن ما يبينهما من قابلية الكتاب إنما يتفق مع أمرين يستحقان هنا بعض
الوقف:

أولهما: هذه الدرجة العالية جداً من توائر ورود الكلمة في القرآن الكريم، وهذا
الأطراد الكامل في اكتساب التائين أو اكتساب صفة الجمجم في هذا الكتاب.

والثاني: ما ينجم عن هذا الشاهد المميز من صيغة الكلمة تميزها من الكلمات
المكتسبة الأخرى، وتجعلها أم الباب، وما استطاع أن يلتحمَّ من ذلك تحويه معاصر
لم يستطع أن يلتحم بغير جواشب التوسيع الأخرى شيئاً ذا بال، وتعني الشيخ مصطفى
الغلابي الذي قال في الجزء الثاني من «جامعه»: «إلا إذا كان المضاف لفظاً، كل،
فالأشد التائين، كقوله تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت مني خيراً
مُخضراً»^(٣٠).

وهذه، من القرآن، شواهد أخرى تمثل لنا اكتساب صفتين لحوتين اثنتين من
الصفات الثلاث التي بينا لكلمة «كل»، قابلية اكتسابها، صفة التائين، وصفة الجمجم.

(٢٩) الشيخ مصطفى الغلابي، جامع النروس للروس العربية، المكتبة المصرية، صيدا، ١٩٦٨، ج ٢،
صفحة ٢١٣.

أما اكتساب البشارة، فلم تقع في القرآن على شيء منه.

+ اكتساب التائب:

- «ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة، ٢٨١).
- «وَوُقِيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ» (آل عمران، ٢٥).
- «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (آل عمران، ١٨٥).
- «وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا» (الأعراف، ٤٥).
- «وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَقِّيْ يَرَوْا العَذَابَ» (يونس، ٩٧).

+ اكتساب صفة الجموع:

- «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مُّشَرِّبِهِمْ» (البقرة، ٦٠).
 - «بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَاتِلُونَ» (البقرة، ١١٦).
- (نلاحظ أنَّ الكلمة «كلُّ» قد اكتسبت صفة الجموع حتى من الجموع الممحوظ المقدر، المدلول عليه بتقوين العوض عن الكلمة، في الكلمة «كلُّ»)
- «يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» (الإسراء، ٧١).

٢ / جيم-٢ ارتباط الاكتساب بسياق الكلام:

فضلاً عن قابلية الاكتساب في الأسماء المكتسبة، التي هي في المسألة عامل أول، نستطيع أن نتكلّم عن عامل ثان لاكتساب، عامل السياق. إلا أنَّ القابلية عامل ساكن، محدود، يعود إلى ذات الكلمات المكتسبة وبنها النحوية - الصرفة الخاصة، والسياق عامل متحرك يعود إلى السلسلة الكلامية وما يختلف عليها ويتموج في بحراً من عناصر التركيب وصوره. فضلاً عن أن عملية الاكتساب نفسها، بحقيقةتها التركيبية العامة، إنما هي من عمل السياق، لأن الإضافة نفسها، التي هي تركيب، إنما هي سياق.

وَهَا نَحْنُ نَقْدِمُ مَا أَوْقَعْنَا عَلَيْهِ الْأَمْتِقَرَاءِ مِنْ جُنُورِ الْعِبَاقِ التَّرْكِيِّيِّ، الَّتِي تَشَكَّلُ عَامِلًاً مِنْ عِوَادِلِ الْاِكْتَسَابِ.

• الإضافة إلى مفرد والأضافة إلى جمع:

بعض الأسماء المكتسبة إذا أضيفت إلى مفرد، تكون لها في الاقتساب حكم:

- بعض المرأة يغتصب بالغير ، وبعضها يغتصب بالشر
- نصف الصحيفة مخصوص للأخبار ، ونصفها مخصوص للإعلانات

فإن أضيفت إلى جمع، كان لها حكم آخر:

- بعض النساء يسترن بمجاهن قبها تطوي عليه ثيوبهن ، وبعضهن يختفي وراء قبحهن جال لا يدرك إلا بالإختبار
- نصف نساء العالم يعتبرن أنفسهن أصغر سنًا من نصفهن الآخر
- بعض الصحف لا تقول الحقيقة إلا إذا اقتضت لغة الكذب أن تقال . (كان في الأسماء المؤنثة المجموعة من معنى التأثير وقوة الدلالة عليه أكثر مما في الأسماء المؤنثة المفردة).

• الإضافة إلى معرفة والإضافة إلى نكرة:

بعض الأسماء المكتسبة إذا أضيفت إلى معرفة كان لها حكم:

أولى الرواية بارد لا يجذبك إليه ، وأخرها شير لا تقوى على الإبعاد عنه.

يا حسرة ما أكاد أهلها آخرها مزعج وأولها (أبو فراس)

فإن أضيفت إلى نكرة كان لها حكم آخر:

موله مسرعية قدّمت في بيروت كانت مسرحية (البخيل)

آخر جلسة عقدها المجلس خصصت لدراسة المؤاذنة

• الإضافة إلى ظاهر والإضافة إلى ضمير

إن بعض الأسماء المكتسبة إذا أضيفت إلى ظاهر كان لها حكم، فإذا أضيفت إلى ضمير كان لها حكم سواء:

- «فإذا كان نصف اللبنانيين يتطلعون إلى جهة، ونصفهم الآخر يتطلع إلى جهة ثانية...» (مجلة «الحوادث»، بيروت، ١٤٨١/٤، ص ٥).

- «وكانت بعض الأوراق ندية، وبعضاً جافاً» (محمد حسين هيكل، جريدة «السفير»، بيروت، ١٤٨٥/٤، ص ٩، عدد ١، سطر ١١ من تحت).

- «بعضنا يريد أن يُرضي العقل المحسن، وبعضاً لا يتجرد إلا في إوفاء اللفظ المحسن، وبعضاً خلبه آداب الغرب، وفتنه تшибات شعراته وكتابه، فهو يتصيدها» (عبد العزيز البشري، المختار، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩، ج ١، ص ٢٧).

(صحيح أننا، في هذا النص، لا نقع إلا على أسماء أضيفت إلى ضمير، إلا أنها نلاحظ بسهولة أن عدم اكتساب الأسماء المضافة لصفة الجمع مما أضيفت إليه، إنما يعود إلى أن كلّاً منها قد أضيف إلى ضمير).

• أن يريد بعده المضاف إليه من الكلمات ما يُغفي في الاكتساب:

يريد بعده المتضاييفين كلماتٌ من جنس المضاف إليه، تتابع في الكلام، فيولـد تابعها من الإحاسـنـ بـجـنسـ المـضـافـ إـلـيـهـ ماـ يـدـفعـ المـنشـيـ،ـ جـذـبـيـاـ،ـ إـلـىـ إـكـسـابـ المـضـافـ جـنسـ المـضـافـ إـلـيـهـ،ـ سـوـاـ،ـ أـكـانـتـ الـكـلـاـتـ التـالـيـةـ لـلـمـتـضـايـيفـيـنـ نـعـوـتـاـ،ـ أـمـ أـسـمـاءـ مـوـصـوـلـةـ،ـ أـمـ ضـمـائـرـ،ـ أـمـ أـسـمـاءـ مـعـطـوـفـةـ،ـ أـمـ سـوـاـهـ:

- إن بعض الأسماء / والأفعال المشية / لا يكون لها محل من الإعراب، (جريـ شـاعـيـنـ مـطـبـيـ،ـ سـلـلـانـ فـيـ الصـرـفـ وـالـنـحـوـ وـالـبـيـانـ،ـ الـدـرـجـةـ ٤ـ،ـ الطـبـعـةـ ٢ـ غـيـرـ مـؤـرـخـةـ،ـ صـ ١٤٥ـ).

ويمكن للأسماء التي تلي المتضاييفين أن تكون أكثر عدداً وأشد تنوعاً، وذلك نحو أن نقول:

- إن بعض الأسماء / الموصولة، والأفعال المبنية، أو سرقة المباني التي تكمل معانها بالكلمات الداخلية عليها / لا يمكن لها محل من الإعراب.

وربما أفضى تابع الأسماء المجاورة للمضاف إليه إلى أن يكتسب المضاف من المضاف إليه جنسه، حتى ولو كان المضاف من في الأسماء المكتسبة:

«... نُقرُّ بأنَّ تطور النظريات / الألسنية العامة / هي التي سمحت بطرح هذه المشاكل على يسارِ البحث، وهي التي تساعد على حلها» (ريمون طحان، الألسنة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢، ج. ٢، ص ١٣٥).

ولا يخفى أن هذا الاكتساب هو من الحالات النادرة، وقد أفضى إليه إضافة طبيعياً استسلام المبني، إلى حدٍ منه، وانساقه مع أحاسيس التأنيث المنبعث في ذهنه من ثلاثة أسماء مؤنثة، تتراكمتْ معه وتراكبَتْ، حتى جعلتِ المضاف المذكر، كلمة «تطور»، يكتسب التأنيث منها، اكتساباً يظهر في ست لفظاتٍ هي: هي، التي، سمحت، هي، التي، تساعد.

• أن يكون للمضاف، في سياق الكلام، معنى الجمع، ويظهر في الكلام التالي للمتضارفون من الفهارس ما يرتبط بهذا المعنى، «سنة ١٩٧٢»، في هذه الحالة، يكون الاكتساب أمراً لازماً:

- اشتغلت بعض المدارس من الخاصة عن دفع الرواسب إلى متناول المذكرين شاركوا في الإضراب (... لأنَّ المعنى لا يميز أنَّ عقوله، معلمته، يرجعان للشخص، بل، وبعضه، المذكر المفرد).

- بعض المترددين بأصولهم للحوادث الاجتماعية لا يتزرون إلا خطعاً بشتاو، كل واحد منهم يريد أن يقتصر به (... لأنَّ المعنى لا يميز بينهان عقوله، وكل واحد منه، يرجع إلى وبعض، المذكر، المفرد).

* * *

٤ / جيم: خدمة الاكتساب:

مها تكون حقيقة الاكتساب، ومها تكون حالاته وقواعدة التي استعرضنا خطوطها، فإن الحكم الأخير فيه إنما يبقى، وبيفني أن يبقى، لخدتنا، أي كفايتنا اللغوية، المؤهلة لأن تحدد، في التركيب وسياقه، جنس المضاف أو عده.

أما القواعد المجردة^{*} التي حاولنا رسمها، فإننا نرى أن دورها الأول إنما هو بلورة القواعد الضمنية^{*} المستبطنة، وتهضم المحتملتين إلى عقولهم ومنظومهم في المسألة بحقيقة هذه القواعد، وتشتتهم عن الاحتكام إلى العقل، ودفعهم للإحتمام إلى حدفهم.

وسنرى في القسم التالي (٢ - ٢ - ٢) ما يُحدِّث إخضاع العبارة لسلطان العقل من آثار سلبية في الاكتساب وصور التركيب المرتبطة به.

* تلخيص واستنتاج:

- ليس اكتساب المضاف من المضاف إليه جنسه أو عده قانوناً عاماً، أو قاعدة مطلقة تطبق على كل اسم من أسماء اللسان العربي، كما يفهم من قواعد النحو، إنه ظاهرة محددة محدودة، تنحصر في أسماء بعضها في طبيعتها النحوية بين قابلية الاكتساب ما يميزها من سواها، وما يُتيح لنا تسميتها «الأسماء المكتسبة».

- إن ما يقرأه عن الفاشرة في كتب النحو، قد يهمها والمحدث، ليس سوى إشارة سريعة فيها تقييد جزئي مبترس لا يمكن الركون إليه، ولا يُغفي تطبيقه إلا إلى أشكال من التركيب تذكرها كفايتنا اللغوية^{*}، أو تستهجنها على الأقل.

- إن تقييد النحو للفاشرة، إذا قيس بالفاشرة نفسها وحقائقها المائلة في جسد اللسان وواقع الكلام، لا يمكن إلا أن يُعدَّ تسيطاً مفرقاً في التبسيط.

- إن القواعد الأولى التي وصلنا بها الفاشرة لا تتفق أبداً باللغة كفايتنا اللغوية،

التي لها، قبل سواها، كلمة الفصل في الاكتساب **لأنّه** **يُؤكِّد** **أَهْدَى** **استِهْنَاء**
لوصفها، أو إغلاقاً لباب التعديل أو التوسيع.

فـ **الثانية** **هي** **الصورة** **التي** **تُؤكِّد** **أَهْدَى** **استِهْنَاء** **لِمَا** **يُقْرَأُ** **عَلَيْهَا** **بِهَذَا** **الْمُؤْكِدِ**.

فـ **الثالثة** **هي** **الصورة** **التي** **تُؤكِّد** **أَهْدَى** **استِهْنَاء** **لِمَا** **يُقْرَأُ** **عَلَيْهَا** **بِهَذَا** **الْمُؤْكِدِ**.

إن قارئ البحث، المتسع لما عرضناه منه، يستطيع، بسهولة، أن يدرك أن ما نقصده بآثار العقل في ظاهرة الاكتساب وقواعدها **الضمينة*** التجسد بالكلام العقدي المحسني، إنما هو صور التركيب التي يليلها على المنشيء عقله ومقاييسه، والتي يحدّد لها العقل والمقاييس جنس المضاف أو عدده، تجديداً منطبقاً مغايراً للتحديد العقدي الطبيعي المحسني الذي استعرضنا صوره بقواعدنا المطروحة والشاهد الذي رافقتها.

وقبل الشروع في استعراضي آثار العقل في صور الاكتساب، توجّد الإشارة إلى أمرين:

الأول: **يُؤكِّد** **أَهْدَى** **استِهْنَاء** **لِمَا** **يُقْرَأُ** **عَلَيْهَا** **بِهَذَا** **الْمُؤْكِدِ**.

أنا، في الحكم على تحويلية صورة من الصور التحورية - **التركيبية***، والحكم على خدمة هذه الصورة، إنما تعود إلى خدستنا **لأنّه** هي إلى كلامتنا اللغوية الشخصية.

الثاني: **يُؤكِّد** **أَهْدَى** **استِهْنَاء** **لِمَا** **يُقْرَأُ** **عَلَيْهَا** **بِهَذَا** **الْمُؤْكِدِ**.

أن علم اللغة الحديث المعروف بـ **الألسيّة**، **يُؤكِّد** **أَهْدَى** **الباحث** **الذي** **يقوم** **بدرامة لسانه**، **أَنَّ** **يكون** **هو**، **أَيَّ** **لُغَةٍ** **تَكُونُ** **لُغَتَهُ** **هُوَ**، **وَتَتَأْتِي** **يُعرَدُ** **إِلَيْهِ** **في** **عملية**

الدراسة المذكورة^(٤٠).

ثم نأتي إلى موضوعنا، فنعرض، في قسم أول، عدداً من الشواهد المختارة، ونقوم، في قسم ثانٍ، بتأمل الشواهد ودراستها.

* الشواهد:

لم يكن لنا إلا الإكثار من الشواهد المستعرضة، لأن التنوع الذي تقدمه لنا هذه الشواهد، ودرجات الاكتساب المائلة فيها، قد حملنا على إيراد العدد المبين.

وقد حاولنا، بعملية الإيراد هذه، أن ندرج ما رأيناه اكتساباً أقوى، إلى ما رأيناه اكتساباً أقل قوة، مستدين، من ناحية أولى، إلى حدسنا اللغوي، مستأنسين، من ناحية ثانية، ببعض ما في الشواهد من عناصر الاكتساب الموضوعية التي خصمتها قواعدهنا، والتي خالفها أصحاب الشواهد، تاركين إدراك هذه العناصر للقارئ نفسه:

١ - فكل / محاولاته في الكشف عن أسرار العالم الثاني، وعما يخرج عن نطاق الطبيعي / هو عبث في عبث (المجم الأدبي، مادة «لا أدبية»).

٢ - ولقد لاحظت أن بعض / الجرائد والمجلات التي تعتبر نفسها رصينة وعلمية أكثر مما ينبغي / لا يُعطي أهمية لهذه المادة، موجياً أن الأمر برمته لا يندُو أن يكون من باب الطرائف (جريدة «النهار»، بيروت، ٢٩/١٢/٨٥، ص ١١، فقرة ٤، رسمي أبو علي).

٣ - يبدو أن بعض / النساء المتعلمات / يتزَّين بالألقاب العلمية ويتعطَّر («النهار»، ٤/١٢/٨٥، ص ٩، مع ٣، سطر ٢٦).

٤ - ولسوف ننتظر القرن التاسع عشر حتى نرى إلى بعض / الأذان و / هو

(٤٠) رابع المائدة ٢٠.

يُغيّر السمع لقوله التغيير («النهار»، ٨٦/٥/٥، ص ٩، عמוד ٦؛ فقرة ٤).

٥ - بعض / المثقفين، الذين يراهنون على المعجزات، / يعتقد... أن الموت طريق الولادة (جريدة «النهار»، ٨٦/٥/٤، ب١، إطار).

٦ - ومع أن بعض / الأوساط المشككة، أو الرافضة للمختار السوري، / يرى أن هذا الموقف جديد تماماً («النهار»، ٨٦/٥/١١، ص ١، عמוד ٨، ف ٤).

٧ - يحاول بعض / أجهزة الاعلام المشبوهة / يعاونه عن غير قصد بعض الأقلام السيئة توجيه أصابع الاتهام إلى الاسلاميين، واصفة إياهم بالإرهابيين تارة، وأهل الضلام تارة أخرى. وبعض / هذه الأجهزة / ضالع في الإرهاب ومتهم له («النهار»، ٨٦/٥/١٢، ص ٤، عنوان: «متتبلاً قضية...»، فقرة ٢).

٨ - هذا شاهد تميز ذو تركيب لافت، يستطيع القارئ أن يتبيّنه.

إلا أن ما نود أن نقف عنده، بصورة خاصة، هو هذا «السهو» العابر الذي «أتاح» للكاتب الاسلام إلى حسه والمطابقة، في أحد مواضع السلسلة، بالمؤنث، أي بكلمة «واصفة»، بدل المطابقة بالذكر، كما ترى في سائر مواضع الكلام.

٩ - ذلك أن غالب / النصوص في المجلة / ارتفع دالماً إلى بنية شعرية رفيعية («النهار»، ٨٦/١/٢٦، ص ٩، عמוד ٢، فقرة ٢).

١٠ - أبدى بعض / الدوائر في الخارجية اللبنانية / استغرابه لعدم ورود البريد дипломاسي من سفارات لبنانية عديدة من أشهر («النهار العربي والدولي»، العدد ٤٥، ٧٨/٣/١١، ص ٤).

١١ - لأنَّ بعض / أعضاء اللجنة في رأيها / غير جاد في إنقاذ لبنان وجهه الإبقاء على الوضع الراهن... («النهار»، ٨١/٦/١٤، ص ٢، عמוד ١).

١٢ - بعض / الصحف الأميركيّة / قال (مجلة «المواحداث»، الـ ١٠، ٨١/٤/١٠، ص ٥).

١٢ - بعض / الأوساط السياسية / يعتقد ... («النهار»، ٨٦/٦/١٨، ص ٢، مقال خوري).

١٣ - ويولني كثيراً أن أسع بعضكن برأي في أعمال الدهم البليبة («النهار»، ٨٦/٤/٣، ص ٢، ع ٤، ف ٥).

١٤ - ويديرها نحو ٥٠ تقريباً نصفهم أميركيون ونصفهم الآخر إيطالي («النهار»، العربي والدولي، ٨٦/٥/٥، ص ٣٦، عمود ٢، السطران الأولان).

* تأمل الشواهد :

إن القاريء المزود بكفاية لغوية طبيعية، الذي يحتمل إلى حدسه اللغوي لا إلى عقله ومنطقه وحساباته، يستطيع، بسهولة، أن يُحسنَ خلاً تركيبياً وأصحاً، أو تنايراً في المطابقة بين الطرفين المتطابقين اللذين يشكل المضاف أحدهما. ويستطيع، كذلك، أن يُحسنَ من التفاوت في مقدار الخلل بين شاهد وشاهد ما يُمكِّن تفسيره، كلياً أو جزئياً، على هذى القواعد التي طرحتنا.

حتى إذا أردنا تفسيراً عاماً لخلل، لم يكن لنا سوى ما نريد إظهاره من إقدام المنشيء على مخالفة حدسه اللغوي، والاحتكم إلى عقله ومنطقه وقواعده المجردة^(٤١)، في إنشاء عبارته عامة، وفي إقامة التطابق بين المضاف المختلف جنساً وعديداً عن المضاف إليه، وبين عناصر الكلام الأخرى، بصورة خاصة.

ونعود إلى ما أشرنا إليه من تفاوت في مقدار الخلل بين الشواهد، نتأمله لنزداد به إدراكاً للمسألة.

فعلى الرغم من أن مخالفة الحدس اللغوي وما ينجم عنه^(٤٢) من خلل تركيب هو أمر

(٤١) نلاحظ، من الضمير في «عنه»، أن الكلمة «مخالفة» المؤنثة قد اكتسبت التذكرة من المذكر الذي ألميغت إليه، من «الحدس». - هذا في حسناً نحن على الأقل.

يُفْهَر بوضوح على شاشة الحسَّ التي يُوَدِّعُ أمامها كل شاهد من الشواهد المُتعرِّضة، فإننا نقف، بصورة خاصة، أمام شواهد يعيتها يبرز الخلل التركيبية فيها أكثر مما يبرز في سواها، لأن للخلل فيها من المقومات التركيبية الم موضوعة ما نستطيع الإشارة إليه والتحدث عنه.

الشاهد الأول:

في هذا الشاهد اسمٌ مُكتَبٌ مُميَّز هو: «كل»، الذي يعتبره بعض النحاة رأس الباب في قابلية الاكتساب.

وفيه أن هذا الاسم قد أضيف إلى اسم ظاهر مؤنث مُغْرِق في تأثيره. أما تأثيره فناتج عن كونه جمعاً لا يعقل، وأما إغرائه في التأثير، فكونه جمعاً مؤنثاً (٤١).

فإذا أضفنا إلى ذلك إحساسنا الواضح بالاكتساب، أي إحساسنا بالتأثير، أدركنا مقدار احتكاك المنشيء إلى عقله ومنطقه، ومقدار قيمته لخدمة اللغو.

وهذا يعني أن الاكتساب قد حصل خارج الكلمات المكتسبة التي وضعنا بها جيدناه في موضع سابق من البحث.

والذي تزيد الإشارة إليه هنا هو أننا لا نجد، خارج المدرس، أي تعليم نحوسي - موضوعي - محدد يفسر لنا الاكتساب الماصل في كلمة «خالفة»، ويكون من نوع التعليم الذي فسرنا به حصول الاكتساب في كلمة أخرى تقع خارج المدخل المذكور. (راجع تعليينا لاكتساب كلمة «تطور»، لمعنى التأثير في جزء سابق من بحثنا بعنوان «أن يرد بعد المضاف إليه من الكلمات ما يفهي إلى الاكتساب»، صفحة ٦٤).

(٤٢) كل جمع لا يعقل، فله حكم المفرد المؤنث، سواء أكان مفرده مؤنثاً مثل: «مدارس»، «زناج»، «أوراق»، «ديبة»، ... أم مذكراً مثل: «أفلام»، «عصفير»، «بيوت»، ... وقد ميزنا، في جمع ما لا يعقل، ما كان مفرده مؤنثاً ما كان مفرده مذكراً، وطرحنا أن يكون جمع المؤنث أعرق في التأثير من جمع المذكر.

الشاهد الثاني:

نلاحظ أن منشى هذا الشاهد قد بلغ احتكاكه إلى عقله، وإسكاته لحسه، أنه أسقط، من شاشة الحسن، سبع لفظاتٍ مؤثرة تلّت المضاف المذكور، وتتابعت، بعضونها المؤثر، في السلسلة الكلامية، وولدت إحساساً قوياً بالتأثير اكتسبه المضاف المذكور اكتساباً لا يُبَطِّله إلا احتكاكاً إلى العقل يقمع الإحساس قمعاً.

الشاهد الرابع:

تلّفت، في هذا الشاهد، إلى ما تبلغه الخلل التركيبي في عملية التطابق من كراهية في الحسن، وتشير إلى التناقض المستهجن بين معنى الجمجم ومعنى التأثير الذي يسجله حدسنا (في: «بعض الآذان»)، وبين معنى التذكرة والإفراد الذي فرضه المنشى، باللفظ فرقاً (في: «وهو يعبر»)، ثم تستجع مقدار الاحتكام إلى العقل الذي أظهره المنشى، في كلامه.

الشاهد السابع:

فضلاً عن «السهو» الذي أشرنا إليه بعد إبراد الشاهد مباشرةً، نود، ههنا، أن تلّفت القاريء إلى خصوصية أخرى فيه.

نود أن تشير إلى هذا «التصادم» الحاد في الحسن، بين التأثير الناجم عن القطعة الكلامية، «أجهزة الإعلام المشبوهة»، وبين التذكرة في لفظة «ويعاونه» التي تلي مباشرةً القطعة المبينة.

وبعد، فإننا، في ختام هذا القسم من بحثنا، لا نجد سوى تأكيد ما أظهره لنا البحث من: أن اكتساب المضاف من المضاف إلى جنسه أو عدده، أو عدم هذا الاكتساب، إنما يكون من عمل المدرس اللغوي، وأنَّ عمل العقل محلل - الواسف - المقعد لا يكون له، في هذه الفاعلة، سوى عمل الاكتفاء الذي يجعلنا نعي نظرياً ما نقوم به عملياً، كما يصرّ المنشى، المحتمل إلى عقله في المسألة بعواقب

هذا الاحتكام، ويوضح له، من القاهرة، حقيقتها اللغوية - التأثيرية، الكامنة وراء قواعدها المجردة * ، ولا سيما إذا كانت هذه القواعد تتصف، من الابتسار والجزئية، بما اتصفت به قواعد القدامي الذين هازوا يعيشون بين ظهرانينا.

* * *

٣-٢-٢ الصورة التحويية الثالثة:

بيان الخبر وجوابر الشرط

يتفرع كلامنا في هذا القسم من البحث إلى ثلاثة أجزاء:

- في جزء أول، نقوم برسم صورتنا التحويية الثالثة هذه، أي بصياغة ما يمكن اعتباره قاعدة لها.

- وفي جزء ثان، نقف عند الأثر الترجمي الذي يولده فيها مطلعان العقل عليها.

- وتفرد جزءاً ثالثاً للوقوف على سمة تركيبية تشتراك بها شواهد الصورة وفادجها الكلامية المشتملة، وتنكمل بها هراسة الصورة وتشكل أساساً مقبولاً لتعليلها.

١-٣-٢-٢ رسم الصورة:

ت تكون هذه الصورة، بخطوطها الرئيسية، وفي ما عرفناه من نماذجها المشتملة، من عناصر تحوية أظهر لنا الاستقراء منها ما دخل في صياغة قاعدتنا:

- مبتدأ، أو لسم إإن وبعض المخواتها،

- شرط أداته الرئيسية^(٤٣) وإن، مسبوق بـأو يعدها النهاية وأو الحال؛ أو ما كان، من جهة المعنى، مُعادلاً للشرط،

- جواب للشرط - أو ما كان في حكمه من جهة التركيب - يربط بالفاء أو ما يعادلها في عملية ربط الجواب بشرطه، من نحو: «إلا أن»، «لكن»، «لقد»، «إنما»، بعض أدوات النفي، ...

وهذه شواهد^(٤٤) تجسّد لنا هذا التجريد وتقرّره من فهمنا:

١ - «وهذا، وإن كان القياس، إلا أنه شاذ في الاستعمال» (ابن عيسى، شرح الفصل، طبعة قديمة غير مورخة، ج ٦، ص ٢٦٢).

٢ - «فإن المضاف، وإن كان نكرة، إلا أنه حصل للمضاف، بإضافته إليه، نوع من التخصيص» (نفسه، ج ٢، ص ١٢١).

٣ - «فأنت، وإن كنت أهل قدرًا، وأحزم رأيًّا من كل من تشاوره من الناس، فالكبير يستفيد من الصغير ويتفوّي به...» (بطرس البستاني، منتقىات أدباء العرب في العصر العباسي، ١٩٤٨، ص ٥، الحاشية ٧).

٤ - «والموَلَّدون، مع بلوغهم من البلاغة وإحكام الصنعة أقصى الدرجات، فإنهم يواخذون...» (سلیمان البستاني، مقدمة الإلایاذة، عن «التعريف في الأدب العربي» لوليف خوري، بيروت ١٩٥٧، ص ٢٧٢).

٥ - «وهو، وإن كان لم يرد في الشعر القديم، فإن الفراء وضع يده على بيت استشهد به» (د. ع. الخليل البخاري، من ترجمته لكتاب «العربية»، مؤلفه فوك Fock ١٩٥١).

(٤٣) يقولنا، أداته الرئيسية، تقصد أنّه تراكيب ينعدّ فيها معنى الشرط بالفاظ أخرى، من نحو: «مع أن»، «على الرغم»، ... إلا أنها تراكيب قليلة إذا قياسها بالراكيب التي تدخل فيها «إن»، التي نعنّاها، لذلك، بـ«الرئيسية».

(٤٤) رميّنا بـأكثار الشواهد، أي بتوريّها، إلى تجسيد الجواب المحددة للقاعدة التي تعنيها.

٦ - فإنه، وإن كان اسمه دالاً على الحدث، لكنه لا يجري على الفعل...
(ابن هشام، شرح شذور الذهب، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٨٢).

....

الذي نريد الوقوف عنده، من هذه التراكيب، مما يدخل في موضوعنا العام، هو هذا الرابط بالفاء، أو ما يعادلها، من أدوات أخرى ذكرناها في متن قاعدتنا، وظهرت في الشواهد التي مثلنا بها عليها. لأن (هذا الرابط) هو الموضع الذي أصحاب منه العقل مفتلاً لما سمح له بغضّ كتابنا أن يتسلّط على عبارتهم. وستتبين ذلك من سياق العرض.

إذا تأملنا أيّ عبارة من عبارات شواهدنا، عبارة ابن يعيش مثلاً:

- وهذا // وإن كان التقياس / إلا أنه شاذ في الاستعمال،

فإننا نلاحظ أنها مؤلفة من ثلاثة أقسام رئيسية، يتفصل بعضها عن بعض، آنفصالاً نحوياً، ونطقياً وكتابياً، يظهر لنا بوضوح كلّي في أن التوقف بينها، عند النطق بالعبارة، هو أمر لا مفرّ منه، وفواصيلنا تشير في الكتابة إليه.

و قبل الانتقال إلى فقرتنا التالية، نود أن نشير إلى أننا، على كلمة «قسم»، نؤثر كلمة «قطعة»، أو «قطعة كلامية»، و «القطعة»، التي ترجم بها كلمة segment الفرنسية، هي مقدار طولي من السلسلة الكلامية. وأداء هذا المعنى بكلمة «قطعة» أدقّ من أدائه بكلمة «قسم».^(٤٥)

لا يخفى على القارئ، المتبع لعرضنا، أن أقسامنا الثلاثة هذه، أو قطاعتنا الكلامية، إنما تكون للعبارة التي نحن في صددها، لكل ما كان من باها، بنيتها التحوية العامة، دون أن يعنيها ما يتفرع عن هذه القطع من عناصر نحوية تدخل في

(٤٥) حول القطع الكلامية هذه، راجع، من هذا الكتاب، فصلاً بعنوان «تحليل العبارة العربية إلى قطع كلامية مقلقة».

نحوينها هي، وتتپھر في العبارات العلوية، المائة لعبارة عبد العزيز البشري:

٧ - «عل أني // وإن لم أخْرُف رأيَا سلف لي، أو أهدى عن فكرة، وإن عدلت في الواقع عنها، حفظاً لحق التاريخ على / فإنني قد عذّتُ بشيء من الصقل والتسوية في بعض العبارات» (عبد العزيز البشري، المختار، ج. ١، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٦).

ونقف، من القطعة الكلامية الثالثة من قطعنا التي تتكون منها عبارتنا، أمام ما يعنينا مباشرةً في موضوعنا، ونعني ربطها لفظياً بأداة من الأدوات التي ذكرنا (الفاء، إلا أن، لكن، لا، لقد، ...)، فنلاحظ، ببساطة ظاهرة، أن ربط الجملة أو العبارة التي تتكون منها القطعة الثالثة إنما كان بسبب معنى الشرط الذي تتضمنه القطعة الثانية. وهو ربط عفري - طبيعي، أي أصولي، ستتبين حقيقة أصوليته في سياق كلامنا عن الجزء الثاني من المسألة.

* * *

٤-٣-٤-٢ أثر العقل في هذه الصورة

في هذا الجزء، نتناول «المقتل» الذي أصابه العقل من الصورة التحويلية التي يتناولها هذا القسم من البحث - ما سميته نحن «مقتلاً» في موضع سابق منه.

نبدأ بقراءة بعض الشواهد:

٨ - «وهذا القول // وإن أنكره المالكية وتفوّأ أنّ إمامهم قال به / [] أثبته ابن جرير الطبرى (العلالى، أين الخطأ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨، ص ٧٦).

٩ - «وهو // وإن كان إيجابي الصيغة / [] سلي المحترى» (نفسه، ص ٢٢).

١٠ - «والرغبة التي أعني // وإن تلك ساذجة، وإن تلك قد صرفته هذا التصريف العجيب / [] تشفع به أيضاً» (نفسه، ص ٩).

١١ - «فالمقالة الخامسة من هذا الكتاب // مع أنها أثبتت بأمثلات المسائل من الفلسفة، [] شديدة الإيجاز» (عله جين، مجدد ذكرى أبي العلاء، من مقدمة الطبعة الثانية المنشورة في صدر الطبعة الثالثة، القاهرة: ١٩٣٦، ص ٢٤).

١٢ - «وهذا الرأي الثاني // وإن كنا لا نميل إليه / [] يسير في الاتجاه الصحيح» (كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، قسم الأول، دار المعرفة بيهر، ١٩٦٩، من ١٨٢).

١٣ - « فهو // وإن جاء متاخرًا قليلاً عن يوسف غصوب والياسم أبو شبلة / [] احتفظ في شعره بطابعه الرومانسي» (جريدة «النهار»، بيروت، ١٤/٤/٨٣، ص ١٦).

١٤ - « فهي // وإن كانت قد أجريت معه في الصيف الماضي، عندما كان لا يزال بعيداً عن السلطة / [] تكشف، من خلال الحوار الشامل... السمة الثقافية الخاصة...» (جريدة «السفير»، بيروت، ١١/٦/٨١، ص ١١، عمود ٢).

١٥ - «... فتلك وهذه // وإن كانتا ينضران النقد المحب من المآخذ / [] هما من طبيعة النفس المتشوقة (عبد يوسف حود، «النهار»، بيروت، ١/١١/٨٤، ص ١٢، عمود ٤، فقرة ٤).

نلاحظ أن القطعة الثالثة (*troisième segment*) من كل شاهد تبدأ بمعقوفين خاليين أشارنا إليها إلى نقص تركيبي في بنية تلك القطعة. ولا شك أن القارئ، الذي يتابع عرض المسألة، يدرك، بسهولة، ما هو هذا النقص، أي أنه يستطيع أن «يملا الفراغ بالكلمات المناسبة».

وما يقرُّ النقص المبين هو حدسنا اللغوي الذي لا يعتباً بالتحليل - أو هذا ما ينبغي له. (وربما شارك التحليل النحووي نفسه في هذا التقرير).

فأنت، إذا كان لك حدسٌ لغويٌ مكتسبٌ، فأني سلقة حشنة التكوين،

لا تستطيع أن تقرأ أي عبارة من عبارات الشواهد، أو تسمعها، دون أن تخسر وجود النقص الذي نحن في صدده. حتى إذا أشئت عن المحس، ورحت تُصنفي إلى حُكْم عقلك، وقررت، هكذا، أن القطعة الكلامية الثانية هي جملة اعترافية، مقطعةً عنها يُستيقنها، مقطعةً عنها يليها، لم يكن لك إلا إسكات سليفك و «قمعها»، ثم إسقاط الرابط الذي تمثله بين القطعتين الأخيرتين: أي أنك تنظر إلى كل عبارة من عبارات الشواهد على أنها مكونة من مبتداً، أو ما حُولَ عن مبتداً، ومن خبر. وهاتان هما القطعتان الأولى والثالثة من العبارة، وبينهما الجملة المعرضة التي ذكرنا.

وبحضرة أخرى في قراءة الصورة النحوية التي يُكتونها كتابنا العقليون لعباراتهم التي تتالف منها شواهدنا، نلاحظ بسهولة أنهم، هكذا بتحليل عقلي بارد، إذ يقررون اعترافية القطعة الثانية، فإنهم يبادرون إلى إسقاطها من حساب الكلام. نقصد: يُسقطون كل أثر نحوي - تركيبها في أجزاء الكلام التي هي منه. إنهم يجدون أنفسهم أمام مبتداً، أو ما حُولَ عنه: من اسم «إن»، أو اسم «كان»، أو ما شابه. ويقررون أن كل عنصر من هذه العناصر إنما يتطلب لنفسه خبراً يتم به الكلام، ويكون بصورة الخبر المنطبق على القواعد النظرية التي درسوها في كتب النحو، أو بصورة تقع في نطاقها النحوي. فإذا رأوا في الخبر الذي تقدّمه لهم سليق THEM ما يغاير هذه القواعد، بادروا إلى رفضه، وأحلوا محله ما يتصورون. وعلى ذلك، تراهم يرفضون ما كان من خواص الشواهد السبعة الأولى للمسألة، أي يرفضون أن يقولوا مثلاً:

- وهذا القول // وإن أنكره المالكية، ونفوا أن إمامهم قال له // [فقد / لقد]
أثبته ابن جرير الطبرى (الشاهد ٨) :

* لأنه لا يجوز أن يقال (بعد إسقاط الجملة المعرضة، أي بعد اعتبارها خارج الكلام، في تصورهم النظري):

- وهذا القول فقد أثبته ابن جرير الطبرى، أو ... لقد أثبته ابن جرير ...
(وبيّن أنه كان في وسع الكاتب أن يتتجنب الفاء واللام اللذين رفعتهما، وأن يأتي

بـ «قد» مجردة منها، ويحصل الربط المدسوبي المطلوب، تماماً كما حصل في عبارة «المعجم الأدبي» في كلامه على مادة «فن»؛ وهو // وإن تبين وحدة الفن / قد طرح مشكلة الإبداع بطريقة أخرى^(٤٥)، وإن كان الربط أقوى عندما تلتئم «قد» هذه بالفاء أو باللام).

ويرفضون أن يقولوا :

- وهو // وإن كان إيجابي الصيغة / [فإنـه / إلا أنه / لكنـه / ...] سليـ المحتوى (الشاهد^(٤٦)).

* لأنـه لا يجوز، في تحليلـهم، أنـ يقال (بعد إسقاطـ الجملـة المعـرـضـةـ، أيـ بعد اعتبارـها خارـجـ الكلـامـ).

- وهو فإـنه سليـ المـحتـوىـ،

- وهو إلا أنه سليـ المـحتـوىـ،

- وهو لكنـه سليـ المـحتـوىـ،

- ... -

ويرفضون للشاهد (١١) أنـ يكونـ:

- فالمـقالـةـ الخامـسـةـ منـ هـذـاـ الكـتـابـ // معـ أنهاـ أـلـتـ بـأـمـهـاتـ المسـائلـ منـ الفلـسـفـةـ / [فـانـهـ / ...] شـدـيدـةـ الإـيجـازـ^(٤٧).

ويرفضون ما عادـ إلىـ الشـواهدـ الآخـرىـ مماـ يـشـبـهـ ماـ قـدـمنـاـ.

(٤٥) المعجم الأدبي، دار العلم للملائين، ١٩٧٩.

(٤٦) لا يسعـنا إلاـ أنـ نـستـقرـبـ صـدـورـ هـذـاـ التـركـيبـ عنـ طـهـ حـسـينـ، لـأنـهـ، فيـ ماـ عـرـفـنـاهـ منـ عـبـارـاتـ، إـنـماـ يـصـدرـ عنـ حـدـسـهـ لـأـعـنـ تـحـلـيلـ العـقـلـ. إـلاـ أنـ تـكـونـ يـدـ آخـرىـ قدـ امـتدـتـ إـلـىـ هـذـهـ العـبـارـةـ، أوـ أنـ الرـجـلـ، فيـ هـذـاـ الزـمـنـ المـبـكـرـ، سـنةـ ١٩١٤ـ - وـكانـ فيـ النـاثـنـةـ وـالـعـشـرـينـ - كـانـ ماـ يـزـالـ خـاصـعاـ لـسـلـطـانـ الـقـوـاءـ الـمـجرـدةـ^{*}. وـماـ عـبـرـهـ الخـصـوعـ هـاـ مـنـ خـصـوعـ لـسـلـطـانـ العـقـلـ.

والذي يدل على أن هؤلاء الكتاب إنما ينطلقون، في «هندسة» عبارتهم، من اعتبار القطعة الثانية كلاماً معتبراً يُستقطونه قسراً من كلامهم؛ لأننا نلاحظ صاحبي الشاهدين ١٢ و ١٥، مثلاً، يضعان هذه القطعة بين خطين صغيرين توضع بينهما الجملة المعرضة عادة^(٤٧).

على أن ما يُعتبر دليلاً أقوى على تدخل العقل في صياغة العبارة، لدى الكتاب الذين استشهادنا بهم، ولدى سواهم، هو أنك ربما وقعت، لدى الكاتب الواحد، على صورتي التركيب كلتيها، الصورة العقلية، والصورة الحدسية. وهذا، في تصورنا، يعني أن مزاج الكاتب يجعله موزعاً بين المслكين اللغويين، دون تمكننا من تقديم غير الصدفة تفسيراً لذلك. إنه قارةٌ تخضع لرقابة العقل، وتارةٌ يَسْتَهُ عن هذه الرقابة فتعود عبارته إلى عفوتها الحدسية. ويدو أنَّ في عبارة «أين الخطأ»، بعض الشواهد على ما نقول.

ففي حين نقرأ، في هذا الكتاب، ما كان نحو الشاهدين ٨ و ٩ :

- «وهذا القول // وإن أنكره الملائكة، ونَفَرُوا أن إمامهم قال به / [آثَبَهُ ابنُ جرير الطبّري] .

- «وهو // وإن كان بيعاني الصيغة / [سليٌّ المحتوى] ،

إذا بنا نقرأ في الكتاب نفسه، ما كان نحو :

- «أجل هذه القضية // وإن تلك فقهية / فإنها تؤول بدورها إلى مشكلة وطنية» (ص ١٢٨).

- «والإجماع // وإن يكن حجة عندَ من يقول به منهم / فهو، في هذه المسألة بالذات، من نوع آخر» (نفسه).

وهذا طه حسين يقدم لنا، هو الآخر، شاهداً على المسألة. ففي حين رأينا، في

(٤٧) راجع الشاهدين في موضعها المبين لتحقق مما نقول.

الشاهد ١١ يقول:

- « فالمقالة الخامسة من هذا الكتاب // مع أنها أثبت بأمثلات المثال من الفلسفة /، [شديدة الإيجاز]،

نراه ، في الكتاب نفسه ، يقول :

- « فهذه المحاجاة الفقهية التي أظهرت إتقان أبي العلاء لدرس الفقه كما أظهرت سرعة بديهته // وإن خلت من الحقيقة الشعرية /، إنما كانت من غير شك حين ظهر القاضي على القصيدة التي بعث بها أبو العلاء إلى الاستفرايسني ، (مجدداً ذكرى أبي العلاء ، ص ٣) .

وبلغنا هذا الموضوع من البحث ، نود أن نورد شاهدأً قرآنياً تزداد به المسألة وضوحاً في تصورنا ، الآية ٨ من سورة « الجمعة » ، قوله تعالى :

- « قل إن الموت الذي تفرون منه / فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة...» ،

لنشرى إلى ما فيها من تركيب يشابه ، بعض أوجهه التحوية ، تراكيب شواهدنا ، بل يتجاوز هذه التراكيب بالحدسية الكامنة فيه .

ألا ترى كيف أخبر عن اسم « إن » بـ« إن » ، ثانية وجلتها ، وكيف ربط جملة الخبر بالفاء ، لرائحة الشرط المنبعثة من صلة الموصول ؟

لو أن كتّابنا الذين استشهدنا بهم قد أخضعوا لتحليلهم صورة هذا الكلام ، أو ما كان من قبله ، لو أنهم نظروا إلى « إن » يُخبر عن اسمها بـ« إن » في مثل التركيب الذي ضمّها ، لخرجوا من هذا التحليل بارتباك لا يكون لهم سواه في حضرة كلام يقاسُ به الكلام .

أما نحن ، فإن ما نخرج به ، من تأملنا لهذه الآية ، هو أن التركيب الذي تتضمنه إنما يشكل نموذجاً واضحاً للكلام الصافي المبرأ من رقابة العقل وحساباته وسلطاته .

٣-٢-٢ السمة التركيبية المشتركة بين شواهد الصورة:

نهد بالإشارة إلى أن سمتنا التركيبية هذه هي ، في ما يتصل منها ب موضوعنا ، زاوية من الرؤية تعمق فهمنا للصورة النحوية التي نقوم ب دراستها ، وتفصي بنا إلى حقيقة مهمة من حقائق السلسلة الكلامية (*La chaîne parlée*) ، تذكرها لذاتها : لأنها ، في ما نعلم ، لأول مرة تُجرّد من جسد الكلام وتُوصف ، وندركها في نطاق دراستنا لصورتنا النحوية ، فترد إليها هذه الصورة في ما يمكن أن يُعدَّ تعليلاً لبنيتها .

ثم تنتقل إلى ما ننهد له ، فنذكر قارئنا بأنَّ كُلَّ عبارة من عبارات الشاهد ، التي درسنا صورتنا النحوية من خلالها ، إنما تتكون من قطع كلامية ثلاثة تتمثل في ما كان من نحو قولنا :

- وهو // وإن كان القياس / إلا أنه شاد في الاستعمال (الشاهد ١).

وبعد ذلك نلاحظ أننا ، في هذا النمط من العبارات : نورد القطعة الكلامية الأولى (« وهو ») ، وبعدها نورد القطعة الثانية (« وإن كان القياس ») ، فنبينها بالقطعة الأولى ربطاً نحوياً - تركيبياً يظهر في بنيتها . (في الشاهد المبين ، يظهر الرابط النحوى في الضمير المستتر - المقدر - المتجسد في لفظ « كان »^(٤٨) العائد إلى « هو »).

فإذا أوردنا القطعة الثالثة ، ربطناها ، نحوياً أو تركيبياً ، بالقطعة الثانية لا بالأولى ، مع أنَّ المبتدأ الماثل في القطعة الأولى (أو ما يحول عن المبتدأ في بعض التراكيب) يتطلب ، من الناحية الدلالية (أو من الناحية العقلية المجردة التي تحول إلى شرائط تركيبية للمنشيء أو الكاتب) ، يتطلب خبراً يتكامل به .

(٤٨) بقولنا : المتعدد ، في لفظ « كان » ، تقصد أن لفظ « كان » ، بصورةه هذه ، إنما يشير إلى أن الضمير المستتر فيه هو « هو » ، لأن هذا الضمير ، لو كان « هي » ، مثلاً ، لتغير لفظ « كان » ، ولأصبح « كانت » . هذا هو ما تقصده بكلامنا الفريب عن « المتعدد » الضمير المستتر في لفظ « كان » .

ذلك أن العناصر النحوية الداخلة في تكوين الكلام شبيهة بحلقات السلسلة التي يجري الترابط بين حلقاتها المتتابعة، مع ما للسلسلة الكلامية من خصوصية تميّزها من السلسلة المادية العادلة، وتظهر لنا حقيقتها من تجمّل العرض.

ولم نر أن الذين نعوا الكلام بـ «السلسلة الكلامية»، إنما كانوا ينطلقون من أبرز وجيه من وجوه الكلام، وتعني الترابط الطولي المتسلسل الذي إذا نظرنا إليه نقرة إجمال تُغفل فيها تفاصيل تميّز بها سلسلة الكلام من السلسلة الأخرى، كان لنا أن العناصر النحوية الداخلة في تكوين الكلام إنما تتتابع فيه كتابع حلقات السلسلة وترتبطها

والنفر إلى الكلام كسلسلة يعني أن العناصر النحوية هي، بصورة مُجملة، حلقات يأخذ بعضها برقاب بعض، ويتوالد بعضها من بعض.

على أن نضيف أن حقيقة الترابط التي لا تفهم من مجرد التشبيه المبين إنما هي: أن كل حلقة من حلقات السلسلة الكلامية، فهي ترتبط بحلقة تسبّبها تولدها وتعدد لها شكلها النحوي، ورثّيا ولدت، هي، حلقة تليها، ترتبط بها، وتولّد لها مادتها وشكلها النحوي.

حتى إذا أردنا مزيداً من إيضاح المسألة، كان لنا أن حلقات السلسلة الكلامية، أو عناصرها، إنما تنقسم إلى فئتين:

ـ فئة الحلقات المتصلاة بما يليها: يعني أن ما يليها يرتبط بها، أو يتولد عنها بمادته وشكله النحوي. ونسمّي هذه الفئة فئة الحلقات أو العناصر المتصلاة. وهي الفئة الغالبة.

ـ فئة الحلقات المنفصلة عما يليها: يعني أنها ترتبط بما يتقدمها، أو تتولد عنها بتقدمها، ولا يرتبط بها ما يليها، بأي شكل من أشكال الارتباط النحوي، ولا يتولد عنها ما يليها. ونسمّي هذه الفئة فئة الحلقات أو العناصر المنفصلة. وهي الفئة الأقل.

شواهد على الفتنين:

١ - إقرأ كتاب التاريخ لتفهم كتاب الجغرافيا
في هذا الشاهد خسأ عناصر متصلة وعنصران منفصلان.

العناصر المتصلة:

- + إقرأ : لأن في العبارة عنصرين متولدين عن هذا الفعل مرتبطين به:
 - مفعوله «كتاب».
 - لام كي في لفظة «تفهم».
- + كتاب : لأن «التاريخ» متولد عنه مرتبط به.
- + لام كي: لأن الفعل «تفهم» متولد عنها مرتبط بها ارتباطاً نحوياً - تركيبياً
 - إعرابياً...
- + تفهم : لأن «كتاب» الثاني متولد عنه مرتبط به.

العنصران المنفصلان:

+ التاريخ: عنصر منفصل لأن أيّاً من العناصر التي تليه في السلسلة لم يتولد عنه ويرتبط به.

+ الجغرافيا: لوقوعه آخر السلسلة، أي لأن أيّاً من عناصر الكلام لم يتولد منه.

و قبل إيراد الشواهد الأخرى، نشير إلى أن تحليلنا لها سيكون بالرموز لا بالكلمات.

بالسهم المتجه إلى يسار القاريء (←)، ترمز إلى العنصر المتصل الذي يرتبط به ما بعده أو يتولد منه.

وبالخط المقلل بخط صغير يعادل طرفه الواقع إلى يسار القاريء أيضاً (—)، نرمز إلى العنصر المنفصل.

- ٢ - قال لي صاحبي كلاماً لم أسمع كلاماً يشبهه
- ٣ - كلما أبىت الزمان فناه ركب الماء في القناة سناناً
- ٤ - «نَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ» (سورة الكهف، ١٣)

هذا الترابط بين العناصر التحوية المتتابعة في السلسلة الكلامية هو حقيقة مهمة - أو قل ، هو ناموس كلي (Loi universelle) به تقوم قواعد اللسان ، وبه تتحقق عمومية هذه القواعد ، تلك العمومية التي تهبُ اللسان وحدته العجيبة ، الكامنة وراء الكلام اليومي بفرديته النسبية المعروفة .

ونحيط من هذا التعميم إلى ما يعنيها ، فنضرب ، على الناموس التركيبي ، مثلاً يحدد الصورة التحوية المتعلقة بموضوعنا ، قوله :

- إن التلميذ الجاد / يحقق أهدافه بنجاح // إذا بذل جهداً صادقاً .
ونشير أولاً إلى أنها نتناول هذه العبارة على مستوى القطع الكلامية المقلقة ، التي تتكون منها ، وليس على مستوى الكلمات المفردة .
ثم نسأل : ما الذي نقع عليه في هذه العبارة من القطع المثلية ؟
إننا نقع على قطع ثلاث نوردها بترتيبها في عبارتها المائة ألمامنا ، والتي نصطلط على تسميتها « العبارة الأولى » .

العبارة الأولى :

- ١ - إن التلميذ الجاد
- ٢ - يحقق أهدافه بنجاح
- ٣ - إذا بذل جهداً صادقاً

فإذا نحن غيرنا ترتيب ورود هذه القطع، فقدمنا القطعة (٣) على القطعة (٢)،
كان لنا، من الناحية الشكلية - التركيبية، عبارة تسمىها، أصلحًا، العبارة
الثانية، وهي:

العبارة الثانية:

- ١ - إن التلميذ الجاد
- ٣ - إذا بذل جهداً صادقاً
- ٢ - حقق أهدافه بنجاح

والذي يعنينا أن نشير إليه، من هذه العملية، ويعمق فهمنا له، هو هذا التغيير في
شكل القطعة (٢) بانتقالها إلى العبارة الثانية، وتحولها إلى قطعة ثلاثة، ذلك التغيير
المائل في تغيير شكل الفعل الذي تتضمنه هذه القطعة.

إننا نلاحظ، بسهولة، كيف أنَّ هذا الفعل قد تغير شكله من «يفعل» إلى
«فعل»، لِمَا تغيرت قطعة الكلام التي يرتبط بها، والتي هي أقربُ إليه في سلسلة
الكلام.

إن ارتباطه بالقطعة الأولى / «إن التلميذ الجاد» / قد جعله، لأسباب تركيبية
وأسباب دلالية، فعلًا مضارعاً يدل على عمومية الأحكام العامة التي تعبَّر عنها،
عادةً، بالأفعال المضارعة.

وارتباطه بالقطعة الثانية، في العبارة الثانية، أي ارتباطه بـ «إذا» وشرطها
الماضي، قد جعله فعلًا ماضياً: لأن المركب الشرطي، ماضيه،
نحن، «المركب الشرطي»، المكون من «إذا» وماضيه، إنما يفرز، في جوابه
الذي يليه، فعلًا ماضياً فرزًا طبيعياً يقرُبُ من الإلزام^(٤٩).

(٤٩) هو يقرب من الإلزام ولا يبلغه بالضرورة: لأن في وسعنا أيضًا أن نقول: «إن التلميذ

وهذا يعني، بما يتعلق بمحضوعنا،:

ـ أن دخوله «إذا بذل جهداً صادقاً» / بين / «إن التلميذ الجاد» / وبين / «يحقق أهدافه بنجاح»، في عملية تغيير ترتيب ورود القطع الكلامية المقفلة في العبارة، قد فك الارتباط النحوي - التركيب بين الفعل «يحقق»، الذي كان، في العبارة الأولى، خبراً لاسم «إن»، وبين هذا الاسم، فصار (أي هذا الفعل) مرتبطاً، خواجاً (أي تركيباً)، بـ «إذا» وشرطها، فجاء فعلاً ماضياً.

ثم نعود، من التشخيص عبر المثال المبين، إلى التعميم الذي هبّطنا منه إليه، لنشير إلى أن الترابط بين حلقات السلسلة الكلامية هو حقيقة لغوية كليلة من حقائق الكلام، يتناول جميع العناصر المتتابعة في السلسلة؛ تلك العناصر التي تكون، كما رأينا، إما عناصر متصلة، وإما عناصر منفصلة.

والمفهوم العام المجمل لهذا الترابط هو:

ـ أن ورود عنصر خواجي متصل، في السلسلة الكلامية، يُولدُ، من العناصر النحوية التي تناسبه، والتي يُحدّدُ، هو، شكلها، فضلاً عن توليده مادتها، ما تنمو به السلسلة ومتكملاً به الكلام.

وهذا العنصر النحوي يتكون:

ـ إما كلمة مفردة تُولدُ كلمة مفردة تليها وتُحدّدُ شكلها؛ فيكون الترابط على مستوى الكلمات.

ـ وإما قطعةٌ كلاميةٌ مقلقةٌ مكونةٌ من كلمات إلا أنها تتحرك في السلسلة،

◊ الجاد // إذا بذل جهداً صادقاً / يحقق أهدافه بنجاح.
ـ إلا أن ماضية الفعل الواقع جواباً، في مثل هذا التركيب، تكون أقرب إلى حسنا اللغوي من مضارعيته. وبها وردت خالية الكلام العربي من الجامالية حتى يومئننا هذا.

متقدمة ومتاخرة بكلماتها الداخلة في تركيبها، كتحرك الكلمات فيها سواه: فيكون الترابط على مستوى القطع الكلامية، أو مستوى البنى التركيبية.
وهذا تفصيل يوضح المسألة:

* الترابط على مستوى الكلمة المفردة:

- ورود «أ» التعريف يستتبع ورود اسم جنس معرب نكرة.
 - + ورود السين أو «سـف» يستتبع ورود فعل مضارع مرفوع.
 - + ورود حرف الجر يستتبع ورود الاسم بكل أنواعه وأشكاله.
- ... +

* الترابط على مستوى القطع الكلامية المففلة:

- + تصتدرُ الكلام يشئه جلة، بجاري وبجروي أو بظرف، يعينُ فعلية المركب الإسنادي الذي يلي شبه الجملة، أي فعلية الجملة لا اسميتها:
 - بالأرقام الفصيحة والوقائع الناطقة / يحصل الاقناع.
 - + تكون الشرط من «إذا»، «وماضٍ يليها»، يرجع ماضوية الفعل في جواهها التالي لها المجرد من الفاء:
 - «﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض / قالوا إنما نحن مصلحون﴾» (البرة، ١١)
- ... +

حتى إذا جاوزنا عمومية هذا الارتباط، أي إجماله، وتطرنا في ما يعنيها من خصائصه، كان لنا من المسألة حكمان:
أولها:

أن الترابط بين حلقات السلسلة الكلامية يتوجه، في الأثر اللغوی الذي تُعدِّله

عنصيرها، بعضها في بعض، من السابق إلى اللاحق، أي من «يمين» الكلام إلى «يساره»^(٥٠)، بما نعتبره للكلام العربي المدوى «يميناً ويساراً»، بحسب شكله - مادي - خارجي - افتراضي، مرتبط بنظام الكتابة بالحرف العربي المعروف.

ثانيها:

أنه، إذا ورد في السلسلة الكلامية عنصران اثنان، كلمتان مفردتان أو قطعتان كلاميتان مقتلتان^{*}، وكان كل منها صلحاً، نظرياً^(٥١)، للعمل في عنصر ثالث يلي العنصرين، أو للارتباط به، نحوها، أو بطيقته، فإن أقرب العنصرين إلى العنصر الثالث هو الذي يعمل فيه، أو يرتبط به، أو يطيقه، ويحجب عنه العنصر الأبعد، فيكفله عن العمل فيه، أو الارتباط به، أو التطابق معه: أي أنه، نحوياً، يتسلخ.

ونقف قليلاً أمام حكمنا الثاني هذا الذي يعيينا لبعضه ببعض الشواهد:

١ - **﴿ما لكم // إذا قيل لكم انفروا / رأقلتم إلى الأرض﴾** (سورة التوبة، ٩).

فنلاحظ أن قطعتين كلاميتين مقتلتين (// ما لكم، // إذا قيل لكم انفروا، //) موجهتان كلتاها للعمل في القطعة الثالثة (رأقلتم إلى الأرض)، أو للارتباط بها، وصالحتان كلتاها لهذا العمل أو هذا الارتباط.

إلا أن القطعة الثانية حجبت القطعة الأولى، كما نرى، ونسختها عن العمل تسلخاً. وقد رمزنا إلى عملية النسخ بهذا الحاجز الحاجب الذي عبرنا عنه بالخطفين

(٥٠) نستطيع أن نستخلص من هذا الحكم أسماء الإشارة التي ينبعكس منها الجاء الأكثر نحوياً، فضلاً عن «يسار» السلسلة إلى «يمينها». نقول: هذا رجل، هؤلاء نسوة... فنذكر اسم الإشارة، كما نرى، ونفرده، ونسميه، وتزئنه، إذا كان ما بعده كذلك لا ماقبله.

(٥١) أي يقياس النحو النظري التجريدي (*grammaire explicative*) الذي يبالغ بعض كتابنا في اعتقاده وإخفاقه للسان له.

المائلين المتصلين (//)، وإلى الحاجز غير الحاجب رمزاً بالخط المائل غير المتصل (/).

٢ - « والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم » (التوبه، ٣١).

٣ - « ... فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً إليها » (ابن المقفع، الأدب الصغير، في: بطرس البستاني، مختارات أدباء العرب، بيروت، ١٩٤٨، ص ١٩٧).

٤ - « ذلك أن حسن البيان، وجودة المقال ترجع في جميع الأحوال إلى تمكّن الكاتب من ناصية اللغة » (خليل مطران، من مقدمة كتاب « المختار » لعبد العزيز البشري، ج ١، ص ١١).

... -

فنجي، من الشواهد المقدمة، أن قاعدتنا المطروحة تتناول، من عناصر السلسلة الكلامية، ما كان كلمة مفردة، أو قطعة كلامية أو بنيّة تركيبية. وهذا يشهد للقاعدة باطرادها، ويقدم للصورة التحويّة التي تقوم بدراسة موضوعنا من خلالها (ومن خلال الصورتين الآخرين)، أساساً نحوياً عاماً تتعلق الصورة منه، ويشكل، كما قدمنا في مطلع هذا الجزء، حقيقة من حقائق الكلام.

ونرجى، من ناحية ثانية تعينا مباشرة في بحثنا، وترتبط بالصورة التركيبية التي درسناها وحاولنا تبعيدها، أن القطعة الثانية من هذه الصورة هي التي تعمل في القطعة الثالثة، أي هي التي تفرز اللقظ الرابط بجواب الشرط، الفاء، أو ما يقوم مقامها، وهي، لذلك، تحجب القطعة الأولى، أي تنسخها وتكتفُّها عن العمل النحوي - التركيبي في القطعة الثالثة، وتغويل عنها، بذلك، حسنة المبتدا الذي يتطلّب الخبر، وتجعل القطعة الثالثة جواباً للشرط، لا خبراً للمبتدا».

* * *

٣. اللفترة لغة

هذه هي صورنا النحوية - التركيبة الثلاث. وهذا ما بلغناه ب موضوعنا العام من دراستها.

ونوضح، هنا، ما أشرنا إليه في مطلع البحث: من أن دراستنا للموضوع هي دراسة جزئية محترزة تمحورت حول مستوى بعينه من المستويات النحوية - التركيبة للسان العربي، مستوى العبارة، والمحض، من هذا المستوى، في عينات تركيبية ثلاثة هي الصور التي تناولها البحث.

وهذا، ببساطة ظاهرة، يعني أن تناولنا الكلي - المتكامل للموضوع، أي تناولنا لقولة أن اللغة ليست عقلاً، إنما يتطلب دراسة متراصة، :

+ يمكن أن تتمدّ، على المستويات النحوية - التركيبة المختلفة للغة عامة، وللسان العربي الذي يعنيها خاصة، :

- من مستوى تمازج الوحدات الصوتية (اللغوية الصفيري)، أو الفيونيات، لتكوين الكلمات بأشكالها المعروفة،

- إلى مستوى التركيب غير الإسنادي، الذي يولد لنا مما نسميه المركبات غير الإسنادية، التي تدخل في تكوين العبارة، أو الكلام
- إلى مستوى الجملة*.

- إلى مستوى العبارة* وما تتضمنه بناها التركيبة من أحكام تخضع بدورها

+ ويمكن أن تتناول (الدراسة المطلبة) العقل الدلالي للجسدر اللغفي، وما تخضع له عملية تكوئه، ونموه، وأندیاده حول اللفظ، وأندیاده باللفظ، من عوامل تختلف من لسان إلى لسان، ويرز فيها التحكم منافياً للعقل ومنطقه.

* * *

وإذا كانت دراستنا قد بحثت لنا، من خلال اللسان العربي، ومن خلال الصور التحوية - التركيبة الثلاث التي تناولناها، أن اللغة ليست عقلاً: يعني أنها ليست خاضعة لسلطان العقل ورقابته وحساباته، فما يشيء تراها تكون، ولا يشيء تراها تخضع؟

سؤال عفوياً طبيعياً يُفضي بنا إليه إضافة طبيعياً ما يلتفتة من موضوعنا بحدوده المبينة، ويدفعنا إلى تناول الإجابة عنه رغبتنا في مزيد من التركيز عليه والإحاطة به.

ومرداً هذه الرغبة عندنا إلى أننا، في الأقسام السابقة من البحث، قد تناولنا موضوعنا من خلال صورنا التركيبة الثلاث، ومن خلال الشواهد المحسوسة التي حشدناها، لدراسة الصور، فكان بعثنا، لذلك، ملائساً للشواهد والصور، مقيدة بالكلام عليها، مفتقرة إلى ما يتطلبها من تركيز، في حين أننا، في قسمنا هذا، قد تحررنا من الكلام المذكور، وصار في وسعنا مزيد من التجريد والتعميم والتركيز، أي مزيد من الإطلاق على آفاق الموضوع.

(٥٢) قمنا تأثيراً (التواميس، أو «القوانين») من «قواعد»، في مثل سياقنا هذا، لطرح، بهذا التأثير، قواعد اصطلاحياً تراها، بينما، تكون «التواميس»، (أو «القوانين»)، هي هذه المباديء الكلية المشتركة بين الألسنة، التي يمكن أن تدخل في ما يُسمى «النحو الكلي» (*Grammaire universelle*)، أو «ال نحو المشترك» (*المشترك بين الألسنة*).
ون تكون «القواعد» هي المباديء الخاصة بالألسنة، والتي تحركها التواميس الكلية.

وقد رأينا أنَّ ما نطلبه لموضوعنا من ~~الكتاب~~ وإطلاق على آفاقه يمكن أن يكون
عبر النقاط التالية:

- حدسيَة اللغة.

- شبهة الأجنبيَة لِللغة الكتابة.

- دخول العقل في اللغة وتدخله فيها.

وها نحن نوسع هذه النقاط في حدود يتيحها لنا نطاق البحث، وفي نطاق اللسان العربي الذي يبحث موضوعنا العام من خلاله.

* * *

١-٣ حدسيَة اللغة

حدسيَة اللغة هي من المعطيات الكلية المشتركة بين الألسنة، ومن الحقائق الثابتة التي تُفسِّر لنا ظاهرة اكتساب اللسان بصورة عامة، وظاهرة اكتساب اللسان - الأم بصورة خاصة، وما تتصف به الظاهرة من جوانبٍ لا فائدة نكاد منها أن نتكلَّم عن الإعجاز. كما تفسِّر عملية الأداء الكلامي بعالم الفردي المتسموج الذي يجاوزُ معاوزَ بعيدة حدود قواعدها النظرية^(٥٢) وحدوديتها.

والذي يعنينا، في بحثنا، من حدسيَة اللغة، أي لغويَّتها، هو هذا النقاء الذي طلبه لها الألسنيون المحدثون عندما اشترطوا في المتنون (*Les corpus*) التي يدرسُون اللسان من خلالها ألا يكون أصحابها، المسئونُ «خبرين» / *Les informateurs*، في المصطلح الفرنسي، والذين يمكن أن تسمِّيهم، نحن، «الشهدُون اللغويُّون»، عندما اشترطوا فيهم ألا يكونوا لا أذكياء، ولا مالكين لمعْرفةٍ نظرية^(٥٣). أي أنهم

(٥٢) راجع، حول هذه المسألة، مادة *مُخْبِر* *Informateur*، في «قاموس الألسنة»، تأليفه دو بوا *De Bois* وأخرين، *Dictionnaire de Linguistique*، منشورات لاروس، باريس ١٩٧٣.

اشترطوا إبقاء العقل جانباً، وكذلك المعرفة النظرية للسان؛ لأنهم يرون أن عملية إنشاء الكلام إنما تجري بعزله عن العقل، وما يدخل في نطاقه من معرفة نظرية لقواعد اللسان المجردة^٩، وتطبق هذه المعرفة.

أما نحن، فإننا، بازاء المسألة، إنما ننقل الموضع من نطاق «المخبرين»، أو الشهد للغويين، الذي لا يعنيونا في بحثنا، إلى نطاق المنشئين والكتاب ومعلمي اللغة الذين يعنيونا، لشير إلى أنّ خير وسيلة «ينجو» بها الأذكياء منهم من ذكائهم، وأصحاب المعرفة النظرية من معرفتهم، إنما تكون، لا بالتجدد من الذكاء – وهو أمر متعدد فضلاً عن أنه مرفوض – ولا بتجنب المعرفة النظرية والقبوع في الجهل. إنها إنما تكون بمعرفة نظرية أخرى تواكب الذكاء، وتواكب معرفة القواعد المجردة، تضرب في عمق اللغة، تُصْرِّفُنا بالميادي^{١٠} «اللغوية العامة»، أي بالنرايس الكلية، الكامنة وراء قواعد اللسان، المجردة لها، والتي تجعلنا ندرك حقيقة القواعد المجردة^{١١}، ودور هذه القواعد وحدودها، وندرك دور العقل في صياغة عبارتنا وحدود هذا الدور، كما تدرك حقيقة الخدش اللغوي؛ أنه (بنسخ المفرزة) المرجع الأول، أو مرجع المراجع، في عملية إنشاء الكلام، وفهمه، والحكم بتحويته، أي أصوليه، والحكم بالترادف بين كلماته المتراوحة، وتحديد هويته، الخ ...

* * *

٢-٣ شبهة الاجتبيبة لغة المكتابين وما تفضي إليه

إذا كانت حدسية اللسان - الأم جدبنة كاملة، تطالعنا مظاهرها في مختلف وجوه النشاط اللغوي، فإننا، شخصياً على الأقل، لا غلوك تحديداً علمياً دقيقاً واضحاً لدرجة الحدسية التي نبلغها في لسان أجني نحمله كلسان أجني.

ومعلوم أن عملية تحصيل اللسان الأجنبي التي تجري على مقاعد الدرس، في

حصلت تعليمية محددة، تُخصص وتحدّها لهذا التحصيل، ويجري إليها التحصيل عن طريق التعلم النظري الوعي، وعن طريق قواعد النوع المحسود، أكثر من جرائه عن طريق التعلم من بخصوص الكلام، لأن عملية التحصيل هذه هي عملية يغلب فيها الجانب الإدراكي على الجانب الحدسوي غالباً متراجعة تراوحاً بين الضعف والقوة، وترتبط، في هذه المراوحة، بتنوع العوامل التعليمية التي تجري عملية التحصيل في نطاقها، ولا سيما عامل السن.

وننتقل من هذا الذي عرضناه إلى ما يرتبط به من موضوعنا، إلى تلول ما نسميه شبهة الأجنبية التي ربما وقع فيها بعض الباحثين المعينين بلغتنا المكتوبة المعروفة باللغة الفصحى.

و واضح أن نسبة الأنجذبة إلى لغتنا الفصحى من شأنها الإقصاء ، بصورة بحالة ،
إلى تفويت الحدسية عن عملية الكتابة لها ، وعن عملية إنشاء العبارة بها ، وعلى
الحكم بنحوية هذه العبارة . ومن شأنها كذلك الإقصاء إلى إسقاط كثير من النتائج
التي توصلنا إليها ، وتحويل محمل عبئنا إلى بحثٍ نظريٍ نأملٍ منقطع الصلة باللسان
العربي عامة ، وبلغته الفصحى بصورة محددة . وذلك ما دفعنا إلى تناول هذا الذي
سمياه شهيد الأنجذبة للغتنا المكتوبة ومحاولة إجلاء حقيقتها .

أساس هذه الشبيهة هو خصوصية في حجم الفرق^(٤) بين لغة التخاطب الشفهي المعروفة بـ «العامية»، ولغة الكتابة المعروفة بـ «الفصحي»، اللتين يكتوّنان، في تصورنا الذي هو عندنا يقين لا يدانه الريب، مستويين رئيسيين من مستويات هذا اللسان، أو لغتين رئيسيتين من لغاته المتراكبة.

وهذا الحجم، كما نعلم، هو حجم يتجاوز المألف الذي عرفناه لبعض الألسنة الأجنبية الداخلة في نطاق خبرتنا اللغوية، وفي طليعتها اللسانان الأجنبيان الشائعان في الأقطار العربية، ونعني اللسان الفرنسي ولسان الإنجليزي.

(٥٤) غير تكلم عن خصوصية في حجم الفرق، وليس عن خصوصية في الفرق بالطلاق.

وقد أفسن هذا الحجمُ ببعض الدارسين، أو المعينين باللسان العربي وقضاياه اللغوية والعلمية، إلى التأثر إلى لغتي اللسان الميئتين على أنها لسانان متغايران، لا لغتان اثنان لسان واحد، وإلى أن لغة الكتابة التي تعنى في دراستنا هي، وبالتالي، لسان أجني، الخ...

وهذا، في قناعتنا، توهم ناجم عن التبسيط والارتجال في النزرة إلى الموضوع، أو إيهام ناجم عن نظرية ذاتية مشوهة بال旄وى. فليس مقبولاً، بأي منظار، أن يُحدد الفرق الشكلي بين لغتي لسان من الألسنة، لغة الكتابة ولغة التخاطب الشهفي، حجم نظري لا يُسْعَح بتجاوزه. حتى إذا تُجُوزَ، في هذا اللسان أو ذاك، حكمنا بشائنة لغته أو ازدواجيتها، وحكمنا بأن لغته المكتوبة هي لأبنائه لغة أجنبية، أي لسان أجني يحصل كما تحصل الألسنة الأجنبية. إن نظرة سريعة بجملة إلى موضوعنا تُظهر لنا أن ما تشرك به لغتا اللسان العربي الرئيستان من قاموس وبنى تركيبية كفيل بأن يُنْطَلِّ عن لغة الكتابة دعوى الأجنبية، أو شبهتها، وما ينجم عن ذلك في مختلف الحقول^(٥٥).

أما الإعراب، الذي يُصْنَعُ الفرق بين اللغتين، ويعمق شبهة المشبهين، فليس، في حقيقته، مستوى تركيبياً من مستويات التركيب التحوي، أي أنه ليس جزءاً جوهرياً من الكلام. إنه مظهر لتركيبي يقع، من التركيب، في موضع القشرة الشكلية التي تختلف شكليتها من مستوى من مستويات لغة الكتابة إلى مستوى آخر، والتي تسقط، إذ تسقط، ويظل التركيب تركيباً، والكلام كلاماً. إننا، في نظرتنا إلى المسألة التي تعنى، نستطيع إلى حد بعيد، أن نجعل الإعراب جانباً، أي نستطيع أن

(٥٥) ما أشد حاجتنا، لقراءة هذا الكلام وما كان من تبيله، إلى أن نفهم مصطلحي «اللغة» و«اللسان» بضمونها الاصطلاحي الذي نفرض عليه في محل العرض، وأن نفهم، بصورة خاصة، عملية القلب في التراتب الاصطلاحي بين «اللغة» و«اللسان»، تلك العملية التي يشكل متنها هذا شاهداً حياً من شواهد هذه، وللذي تناولناه تناولاً نقريباً في أحد فصول كتابنا (هو الفصل الذي أفردناه للمصطلحات اللغوية وجعلناه بعنوان «مصطلحات للبحث اللغوي»).

تنظر في دعوى أجنبية لغة الكتابة، أو شبهتها، أو في كونها لساناً - أمّا، بعزل عن الإعراب.

* * *

٣-٣ دخول العقل في اللغة وتدخله فيما

إذا سلمنا بأن اللغة ليست عقلاً، بأن اللغة هي لغة تخضع لمبادئ اللغة العامة، أو تواميسها الكلية، وتخضع، بالستيتها المختلفة، للقواعد الخاصة العائدة لهذه الألسنة، أفيعني ذلك أن عنصر العقل الذي نحن في صدده هو عنصر منافي كلياً للغة، مرفوض كلياً فيها؟

لقد أشرنا إلى حقيقة المسألة في العنوان المائل أمامنا.

في هذا العنوان: أن حقيقة المسألة واقعة بين دخول العقل في الكلام وتدخله فيه، الدخول والتدخل هنا للعقل إذن حدوده التي يجري في مجالها، وساري، من محمل العرض، أن دخول العقل في اللغة مقبول، وتدخله فيها مرفوض.

ما هو الدخول وما هو التدخل؟ تلك هي المسألة.

ولا بد، قبل الشروع في الإجابة، من الاشارة إلى أمور:

الأول:

أن تناولنا للمسألة سيكون من خلال لسان يعنيه من أنسنة اللغة، اللسان العربي الذي إنا أنشي، بحثنا من أجله.

الثاني:

أنت أمام موضوع متسع الجنبات، يتطلب من البحث ما يجاوز مدى سياقك كمثل مدامنا.

الثالث:

أن كلامنا عن الموضوع سينقسم بـعـل إيجاز تناولـنا له ، إلى ثلاثة أقسام :

- في قسم أول نتكلـم عن دخـول العـقل وتدخـله في المفردات .
- وفي قسم ثان نتكلـم عن دخـول العـقل وتدخـله في البنـى التـركيبـية .*
- وفي قسم ثالـث نتكلـم عن دخـول العـقل وتدخـله في الإـعـراب .

١-٣-٣ دخـول العـقل وتدخـله في المـفردـات

إن دخـول العـقل في مـفردـات الـكلـام إنـما يـفـهـمـهـ :

- في عملية التـقـيـيد الصـرـفيـ لـلـكـلـمات الـتـي تـقـبـل هـذـا التـقـيـيد أو تـطـلـبـهـ ، وـالـتـي نـصـطـلـحـ عـلـى تـسـمـيـتها «ـكـلـماتـ الـصـرـفـيـةـ» .^(٥٦)
- في عملية إـدـخـالـ الـكـلـماتـ الـجـديـدةـ إـلـىـ القـامـوسـ ، أوـ إـدـخـالـ المعـانـيـ الـعـارـفةـ إـلـيـهـ .
- في عملية تـطـبـيقـ القـوـاعـدـ الـصـرـفـيـةـ عـلـىـ الـكـلـماتـ الـمـلـيـسـةـ الـتـي تـقـبـلـ التـقـيـيدـ ، نـقـصـدـ تـطـبـيقـهاـ فـيـ الـإـنـشـاءـ ، أوـ فـيـ قـرـاءـةـ النـصـوصـ غـيرـ الـمـحـركةـ .
- في عملية اـكـتـباـهـاـ النـظـريـ لـبـئـيـ الـكـلـماتـ الـتـي تـشـعـلـهاـ قـوـاعـدـ الـصـرـفـ ، أوـ الـكـلـماتـ الـصـرـفـيـةـ ، بـالتـسـمـيـةـ الـمـطـرـوـحةـ .

(٥٦) بالـكـلـماتـ الـتـي تـقـبـلـ التـقـيـيدـ الصـرـفيـ ، أوـ الـكـلـماتـ الـصـرـفـيـةـ ، نـقـصـدـ الـكـلـماتـ الـتـي نـسـطـعـ أـنـ نـبـيـنـ مـيـنـاتـهاـ وـأـوزـانـهاـ الـقـيـاسـيـةـ منـ نـحـوـ : اـسـمـ الـفـاعـلـ ، اـسـمـ الـمـفـعـولـ ، اـسـمـ الـقـيـاسـيـ ، الـخـ...ـ وـبـالـكـلـماتـ الـتـي لـاـ تـقـبـلـ التـقـيـيدـ الصـرـفيـ ، نـقـصـدـ الـكـلـماتـ الـتـي لـاـ نـسـطـعـ أـنـ نـبـيـنـ مـيـنـاتـهاـ وـأـوزـانـهاـ الـقـيـاسـيـةـ منـ نـحـوـ : حـرـوفـ الـجـرـ ، أـدـوـاتـ الـنـصـ ، حـرـفـ الـامـتـهـامـ ، الـخـ...ـ فـكـلـ كـلـسـةـ مـنـ كـلـماتـ هـذـهـ الـفـنـاتـ هـاـ وـزـنـهـاـ الـنـحـريـ الـخـاصـ الـمـغـاـيـرـ لـوـزـنـ أـخـواـتـهـاـ فـيـ الـفـنـةـ .ـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ مـاـ يـجـمـعـ كـلـماتـ الـفـنـةـ الـوـاحـدـةـ مـنـ هـذـهـ الـفـنـاتـ هـوـ هـمـلـهـاـ الـنـحـويـ لـاـ شـكـلـهـاـ أـيـ وـزـنـهـاـ .ـ

كل عملية من هذه العمليات، فهي عملية عقلية تجري في نطاق العقل، ولا تقوم إلا بالعقل، على الرغم من أن مضمونها هو مضمون لغوي واضح، ونحاول أن نربط المسألة بموضوعنا، فنشير إلى أن هذا الموضوع إنما يرتبط بالعمليتين الأولىين وحدهما.

ثم نبين: أنه إذا قيَّضَ هاتين العمليتين أن تُجْرِيَا بصورة طبيعية تواكبان بها حركة اللسان المفهومة إلى تطوره - وهذا، في قناعتنا أمر مفترض - فإن كل نشاط لغوي من نشاطات اللسان إنما يكون ناشطاً لغوياً سورياً يظل معه دخول العقل في اللغة عنصراً طبيعياً، أي أنَّ عنصر العقل يتدخل في تكون الكلام كدخول العناصر اللغوية فيه، مع ما يميز عنصر العقل في النشاط اللغوي من العناصر اللغوية. إن دخول العقل في اللغة بالكيفية المبئية لا يتحول إلى تدخل.

حتى إذا قصرَ الصرفيون ووأضعوا القواميس، عن مواكبة النشاط اللغوي المتجدد، وفرزَ هذا النشاط من مفردات اللسان ما لا يُقابل له، لا في كتب الصرف، ولا في القواميس - وهذا أمرٌ حاصلٌ فعلًا - كان لنا من هذا الواقع موقفان متبايان:

+ موقف لغوي - حسي - عقلي يتصرّف أصحاحه تصرفاً لغوياً صافياً يتحرك بقانون الحاجة التي تفرزها حركة المسميات الطارئة، أي حركة الحياة اليومية النابضة بجديدها المتدقق، دون أن يُغفل القواعد المرئية الضمنية^(٥٧) التي تحكم عملية تشكيل الكلمات، أو يُغفل القواعد المعجمية التي تحكم عملية اندماج الخلل الدلالي حول الكلمات، وعملية ولادة المعاني الجديدة للكلمات القدمة.

(٥٧) مثير الألسنون قواعد اللسان الضمنية، الكلمة في جسد اللسان، المعركة لجزئياته اليومية الطافية على سطح الكلام، من القواعد المجردة التي تصنف القواعد الضمنية، وهي تقع عليها في كتب النحو.

وبـ «القواعد الضمنية» ترجمنا مصطلح *mentale Regeln* هذه. وبـ «القواعد المجردة»، نرجمنا

+ موقف لغوي - عقلي - إدراكي يتعرف أصلحية تصرفاً لغوراً - عقلياً،
- خاصعاً، من جهة، لقانون القاعدة المسطورة في كتب الصرف، جارياً في
 نطاقها المحدد والمحدود.

- وخاصعاً، من جهة ثانية، للقاموس، أي خاصعاً لأن تتحقق القاموسية فيه
 لكل كلمة تدخل في الكلام.

فكل كلمة صرفية لم تنصل كتب الصرف على شكلها وزنها، فهي كلمة
 مرفوقة، ولو جرى بها استعمالٌ متراوٌ يمتد من شرق اللسان العربي إلى مغربه.
 وكذلك كل كلمة وكل معنى لم ينصل عليه القاموس.

هذا هو ما تتصده بتدخل العقل في مفردات اللسان. إنه أمرٌ يرفضه اللسان،
 وترفضه تخنُّ مع اللسان وتتلاعُب بمعالجته معالجةً طبيعية مضمونها البسيط هو المواجهة
 الوعائية لحركة اللسان الآخذ أبداً في الاندماج، والنمو، والتجدد.

ثم غسل على المسألة بما نزداد به فيها:

- يستعمل الناس كلماتٍ مِنْ لُحْرٍ: «طلائي»، «عمالي»، «جماهيري»،
 «قبائي»، «أنصاري»، «طوائفي»، «صُحْفِي»، الخ...، بصيغة النسبة إلى الجمع،
 معتبرين، بهذا الاستعمال، عن حاجة طبيعية فرزها لهم حياتهم المتتجدة، مخالفين به
 قاعدة صرفية نظرية لا تحيِّز النسبة إلى الجمع، فيبادر العقل، المزود بالقواعد
 النظرية^(٥٨)، والذي يتَّهَمُ إلى اللغة من خلال هذه القواعد، بيتاً إلى رفض هذا

صطلح «les règles explicites»، ولا يعني أنَّ الكلمة «غير»، لا تقابل، حرفاً، كلمة *Explicito*.
 ولأنَّ ما يقابل هذه الكلمة في لساننا لا يصلح لأداء مضمونها الأصطلاحي، فقد اخترنا له الكلمة
 الثانية، كلمة « مجرد»، التي ربما فضينا إليها كلمة «نظرية» أو زادنا بين الكلمتين، أو جعلناها
 يخط بينها ...

(٥٨) يبدو أنَّ تعديه «زَوْد»، و«تَزوَّد»، و«مَزَوَّد»، (اسم مفعول)، الخ...، بالباء، هي استعمالٌ
 يرفضه من يضع لنائه لسلطان عقله، وسلطان القواعد المجردة^٢، ولو أدى هذا الرفض إلى ()

الاستعمال وقمعه، وفرض النسبة إلى المفرد، أيًا ما كانت نتائج هذه النسبة^(٥٩) مع أن القاعدة التي تحظر النسبة إلى الجمع هي، في نظرنا، قاعدة تحاتبة مبنية على منطق النحوة وأقيمتهم وتقديراتهم، أكثرها هي قاعدة تحويقة مرتبطة بحقائق النحو الضمفي^(٦٠)، أي حقائق اللسان الكامنة في جسده.

- ويستعملون الكلمة «رئيسي» (بيان النسبة) بمعناها الشائع، فيبادر العقل إياه^(٦١) إلى رفضها: لأنها لا يجد في قواعده الصرفية - النظرية ما يفسر لها بنيتها، مشيخاً بوجهه عن أن الكلمة قد شُحنت بمعناها، وشكّلت بمعناها، وصار ذلك الارتباط بين لفظها ومعناها أمراً متعدراً، فضلاً عن أنه لا مسوغ له ولا معنى.

- ويستعملون الكلمة «الراهن»، يعني الماضي، وينشر هذا الاستعمال انتشاراً متزامناً بين الكتاب والمشترين، فيبادر عقلنا، الذي فصّلناه رقباً على لساننا، إلى رفض هذا الاستعمال، لسبب شكلي خارجي: أنه، حتى الآن، لم يمتنع جواز مروره إلى القاموس.

إنما، في الحكم على المسألة، نوجه تقدّمنا إلى الكلمات، بكلماتها المتتجدد، بدلاً أن نوجّهه إلى القاموس أو إلى قواعدها الصرفية المجردة^(٦٢). وبدل أن نرى النفع

◊ غواصيب لا تشغّل ولا تثقل، كالتركيب الذي أنشأنا له هذه الماشية، والذي نري أن التعدي فيه بالباء أمر لا مفر منه (كيف نقول: «فيبادر العقل المزود القواعد النظرية»).

وفي ترجيحتنا الملابس للبيتين أن هذا الرفض إنما يستند إلى أن كلمات «زوج»، و «تزوج»، و «مزوج»، ... لم تُعَد بالباء في القاموس - وإن كانت التعدي بها قد وردت، في لسان العرب، بإشارة عابرة يتيمة تضمنها الكلام على المادة.

إلا أن ما نراه للمسألة حقيقة تجاوز الاختدام الأفقي إلى القاموس هو إنما، في بعض التركيب المشاهي لتركيبينا، نستطيع أن نُعدّي الكلمة بالباء، ونرد التعدي إلى قانون التضمين التحوي الذي ذكرناه في حاشية سابقة يمكن الرجوع إليها (الخاصة^(٦٣)).

(٥٩) من نتائج النسبة إلى المفرد، والثبت بهذه النسبة، الواقع في الالتباس (قابل بين «جمهوري»، و «جامعي»، و «عاملي»، و «عمالي»، و «طائفني»، و «طوالئي»، ...)

(٦٠) أي للعقل المزود بالقواعد النظرية.

في قاموسنا وقواعدنا المجردة، غرافي، كلها، وكلها، بحقيقة اللغة الكامنة وراء تظيرنا ونظرياتنا، إنما هي موصولة بمروق حياتنا، خاضعة لأحكام قواعدها الضمنية^{*}، ولا كيان لها إلا إذا تمازجت العروق والأحكام وتوافرت.

* * *

٤-٣-٣ دخول العقل وتدخله في البنية التركيبية

دخول العقل في اللسان على مستوى البنية التركيبية يظهر في ثلاثة:

- التعقيد.

- اكتئاب البنية.

- تطبيق القواعد المجردة العائدة للبني، أو للعبارة.

وهذا الدخول هو من الوضوح بحيث لا يتطلب ما يجاوز مثل هذه الإشارة إليه.

أما تدخله على المستوى المبين، فإنه يتناول أمرين:

- عملية التعقيد.

- وعملية تطبيق القواعد النظرية المستخرجة، أو عملية إنشاء العبارة بكلمة أبسط.

ما هي حقيقة تدخل العقل، بعنقه وجسانته ومقاييسه، في عملية التعقيد التي تناولت اللسان العربي وما تزال؟

وما هي حقيقة التدخل في عملية إنشاء العبارة؟

ذلك، في ما نعلم، موضوع لم يتم أحد يبره بمقداره منه جيد. مرکزة - مستقلة.

ولأنَّ عجلتنا هذا المجال محدوداً، يفرضه سياقُ لحنِ فيه، فلذلك فكفي، من بحث المسألة، بإثارة دالةٍ.

أما تدخل العقل في عملية إنشاء العبارة، وعملية تطبيق القراءات النظرية *، فإن ما تناولناه، في الأقسام الثلاثة السابقة، عبر صورنا التحوية - التركيبة الثالثة، يمكن أن يقدم، من المسألة، غرذجاً دالاً، ونستطيع أن نستغني به عن كل إعادة، مشيرين، في هذا السياق، إلى أن مجال تدخل العقل في إنشاء العبارة، هو مجال واسع، يتجاوز مجال تدخله في المفردات.

وأما تدخله في عملية التقييد، فإنه، في قناعتنا، ومن خلال خلاصاته التي عرفها التراث التحوي العربي، من سيوره إلى يومنا هذا، إنما يشكل التدخل الأخطر الذي خرج بعبارتنا، نقصد: خرج بالصورة النظرية لعبارة، إلى لغوية - منطقية - قيامية مرفوضة، تُوقع المنشىء ومعلم اللغة، في التشوش والارتباك واللحن.

ونضرب على ذلك مثلين يتبعهما لنا السياق:

- مسألة التنازع.
- مسألة اكتساب المضاف من المضاف إليه تأثيره أو تذكره.

* مسألة التنازع:

التنازع، بحقيقة اللغة المائلة في جسد اللسان، هو قانون لغوي طبيعي من القوانين التي تخضع لها حركة تشكيل العبارة في السلسلة الكلامية، وحركة ترابط الحلقات في السلسلة. وقد أوردنا بعض مفاهيمه في كلامنا عن صورتنا التحوية - التركيبة الثالثة، في الصفحة ٤٨ وما بعدها.

إلا أن النحاة، الذين كانوا ينطلقون من منطقهم هم، مثلما ينطلقون من منطق اللغة، أو ينطلقون من منطقهم هم أكثر مما ينطلقون من منطق اللغة، فيخلطون، في الحالتين، منطقاً منطق، ويفسدون منطق اللغة منطق العقل، إن هؤلاء

النحوة قد تناولوا ظاهرة التنازع، بغير وها وشوهوها وطلعوا علينا منها بصورٍ تركيبية يغتينا عن الكلام عليها إيراد بعض شواهدنا:

- قام وقعدا أخواك.
- أكرمتْ فَشَكَرَ أخويك.
- أكرمتْ فَشَكَرَ لِي خالدَ.
- أكرمتْ فَشَكَرَ لِي عَالَدَ.
- أكرمني فَسَرَّني صديقاي.
- أكرمني فَسَرَّني صديقاي (١١).
- الخ...

* اكتساب المضاف إليه الثابت أو التذكير:

رأينا، في القسم (٢ - ٢) من بحثنا، أن اكتساب المضاف إلى ثانية أو تذكيره، (أو خصائص صرفية أخرى بينها)، إنما هو ظاهرة محددة، محصورة في أسماء يعنينا سماتها «الأسماء المكتسبة»، في طبيعتها الصرفية ما يتبع لها مثل هذا الاكتساب إذا ضممتها سياق مناسب.

وهذا، كما رأينا أيضاً، إنما يعني أن الاكتساب ليس قانوناً عاماً يوصف بقاعدة من قواعدها المجردة^٥، ويطبق على كل اسم من الأسماء المغربية.

وعوضاً عن أن يتناول النحوة ظاهرة الاكتساب بحقيقة اللغة المحددة، التي توسعنا في وصفها وتقديرها، وعوضاً عن أن يتناولوها بعموميتها النسبية المحصورة،

(١١) أخذت هذه الشواهد من كتاب: مسطفي الخلايبي - جامع الدروس للعربية، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة العاشرة ١٩٦٨، الجزء الثالث، مبحث المضارب به، ص ٢٠.

إذا بهم يعتمونها ويجعلونه الكلام عنها بصيغة قاعدة مطردة، تُعتبر عن عمومية كُلية مطلقة، تُطبق على كل اسم من الأسماء المعرفية، فضلاً عن أنهم، في قاعدتهم، قد نصّوا على تفضيل عدم الاكتساب ومراعاة لفظ المضاف؛ لأنهم قدّروا أن مراعاة اللفظ، أي مراعاة المضاف، هي، في حكم العقل ومنطقه، أولى من الاكتساب، وأن في المراعاة تجانساً بين الطرفين المتطابقين، المضاف وما يرتبط به من عناصر الكلام. والتجانس مبدأ من مبادئ العقل يتبعه، عقلياً، أن يراعي

وأمثال على هذا التصور بالقاعدة التي أوردها جرجي شاهين عطيّة في «سلمه»:
قال ما حرفه^(٦٢):

«قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير أو التأثير، فيعامل معاملته بشرط أن يكون المضاف صالحًا للأستغنا عنه وإقامة المضاف إليه مقامه، نحو: «قطعت بعض أصابعه». والأولى مراعاة المضاف، فنقول: «قطع بعض أصابعه». ونستند إلى ما قدمناه من دراستنا للفاظ، فنتبيّن بوضوح أن الرجل هو الذي أمل هذه القاعدة على اللسان، وليس اللسان هو الذي أملها عليه. نقصد أن العقل، بمنطقه ومقاييسه، الذي احتمكم إليه عطيّة، هو الذي حل محل اللسان، وقدم لنا قاعدة عبردة» ليس لمضمونها النفي مقابل مطرد في تصوّر اللسان الكلامية. إنما، بمصطلح طرحناء، «قاعدة نفافة»، أو «قاعدة نعائية» تمثّل تصوّر النحاة ومنطقهم، لا قاعدة فحوية تمثل منطق اللغة المتجسد بقواعد اللسان.

★ ★ *

(٦٢) جرجي شاهين عطيّة، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، مكتبة صادر، بيروت، غير موزع، الدرجة الرابعة، بحث الإضافة، ص ٣٣١.

٣-٣-٣ دخول العقل وتدخله في الاعراب

إذا كنا ، في تناولنا لعلاقة العقل بمفردات الكلام وبناه التركيبية^(٦١) ، قد ميزنا دخول العقل في المفردات والبني من تدخله فيها^(٦٢) ، وكان هذا التمييز قد ظهر لازماً بارزاً في تناولنا للموضوع ، فإن تمييز الدخول من التدخل يصبح ، مع الإغراب ، أمراً مختلفاً يُفقد كثيراً من لزومه وبروزه.

وعله ذلك ، في تصورنا ، أن طبيعة الإعراب تختلف عن طبيعة عنصر التركيب الآخرين ، المفردات والبني التركيبية^(٦٣).

المفردات والبني التركيبية هي^(٦٤) ، للكلام ، عناصر خوبية - تركيبية لا يكون الكلام كلاماً إلا بها ، وتدخل في تكوين الكلام المغرب كدخولها في تكوين الكلام المبني سواه . وهي ، بوضعها الطبيعي - العفري ، إنما تتصل بحدسنا تغوص فيه وتتصدر عنه ، ولا يكون اتصالها بالعقل إلا اتصالاً محدوداً ببناء.

(٦٢) يلاحظ القاريء أننا عاملنا «المفردات والبني» ، نقصد «المفردات» مع «البني» ، معاملة المثنى ، على الرغم من أن «حاصل»، البني مع المفردات هو جمع توضيحه لنا النظرة الرياضية - الدلالية - العقلية البسطة.

ذلك أن نظرتنا إلى المسألة هي نظرية لغوية - حدسية مبرأة من خططية العقل ، مشتملة من شوامد للكلام الطبيعي - العفري . وبهذه النقرة ، نلاحظ أن اللغة ، المتعددة مثلاً باللغان العربي ، كثيراً ما تعامل معاملة المثنى جمماً مضموماً ، بالعطف ، إلى جمع آخر ، أو جمماً مضموماً إلى مفرد ، أو مفرداً مضموماً إلى جمع ، الخ... لأن حذفنا اللغوي إنما يحسن أنه أيام اثنين . ولعل أبرز شاهد على المسألة هو قول الآية المشهورة: «أو لم ير الدين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاء ففتقناها» (سورة الأنبياء ، الآية ٣٠).

(٦٤) نلاحظ ، هنا ، أننا عاملنا المفردات مع البني التركيبية معاملة الجمجم: لأننا أحينا (أمامها) أننا أمام جمع ، ولأن كلامنا ، فضلاً عن ذلك ، ينظر فيها إلى الأحاديث الكثيرة التي تكتونها ، أي إلى العناصر التحورية التي يتصنتها ، لا إلى شكلها الخارجي الذي يدل على اثنين . هل نحن في حاجة ، بعد ، إلى ملاحظة أن مضمون حاشيتنا هاتين هو شاهد عفري عازف على مقولة البحث العامة ، أن اللغة ليست مغلقة؟

أما الإعراب، الإعراب العربي^(١٥) الذي يعنيها، فإنه، بجمل ما هو، أي:

- في ما لم يكن «إعراباً تركيبياً»، يشكلُ من الكل الذي يتسمى إليه، أي من الإعراب العربي ككل، جزءاً محدوداً يتناول بعض التصوبات الأسمية،

- وفي ما لم يكن «إعراباً دلائياً»، يشكل من هذا الكل جزءاً يمكن وصفه بالضاللة،

- وفي ما لم يكن «إعراباً جالباً»^(١٦) يرتبط ظهوره في اللُّغُظ المُطْلُوق - المسموع، أو إظهاره فيه، بالعبارة الأسلوبية - الفنية التي تفرزها الروائع الأدبية عامة،

أما الإعراب هذا، فإنه مظهر تركيبي يطفو على سطح الكلام، ويعاقب عليه من الخذف والإبات ما لا يرتبط به كون الكلام كلاماً.

(١٥) نُشِّئُ للإعراب بـ«العربي» هو من قبيل التحفظ العلمي الذي نرمي به إلى أن تخرج، من حكمتنا، إعراب الألسنة المعرفة الأخرى التي لا تعنينا في بحثنا، والتي لا تملك منها ما تحدث به عن إعرابها، فضلاً عن أن ذلك لا يعنينا.

(١٦) «الإعراب التركيبية»، و«الإعراب الدلائي»، و«الإعراب الجمالي»، مصطلحات شخصية طرحتها في دراسة غير منشورة عن ظاهرة الإعراب في اللسان العربي.

الإعراب التركيبية، هو إعراب وظيفي يتناول عدداً من التصوبات الأسمية التي يكون النصب فيها عنصراً من عناصرها التركيبية التي تقوم بها ببنيتها التحوية.

يبرز من هذا الإعراب، مثلاً، صيغة كثيرة الدُّورَان في كلامنا العربي بلغته الرئيستين كلتيها، لغة الكتابة، ولغة التخاطب الشفهي. صيغة سمعناها، في الدراسة المذكورة، صيغة «مبتدأياً وأخواتها»، التي منها مثلاً: تكريباً، ماليًّا، سياسياً، اقتصادياً، عمليًّا، نظرياً، الخ...، في نحو قولنا: «تُفكِّرُ يا، أنت أخنانا، وما لي، أنت هنا في درك لا تحمد عليه». وهي، كما نعلم، صيغة حديثة ولدتها للسان العربي ترجمة ناجحة لصيغة فرنسية مكونة من *تُفتَّتَ* *ولاحقة* *Mati*، من نحو: Politiquement.

والإعراب الدلائي، هو كل إعراب يساهم مع السياق (يساهم يقول) في إظهار معنى الكلام.

والإعراب الجمالي، هو إعراب العبارة الأسلوبية الذي يكون مظهراً من مظاهر الجانب اللغوي من شكل النص الأدبي، والذي يساهم، من هذه الناحية، بتكوين أدبية النص الأدبي.

وهو - أي الإعراب - من جهة ثنائية تعييناً، وفي ما لم يكن، على التحديد، إعراباً تركيبياً، هو كيان ذهني - إدراكي يُعمل بعقلنا، ويتعلّم، من منشى الكلام وقارئه ما لم يحرّك منه، حضوراً واهياً يواكب عملية الإنشاء والقراءة، بما تنطوي عليه هذه العملية من تفكير في المضمون، ففيها كلمة مغربية من الكلمة مبنية، ويختار الكلمة المغربية إعراباً تقضيه، ثم يحرك هذه الكلمة بالحركة المناسبة، في عملية من التفكير تبلغ سرعتها، لدى بعض المنشين والقارئين، درجة يتوهّمون بها أنهم، في مراعاتهم للإعراب، إنما يقومون بعمل جذسي - سلبي يُتيح لهم أن يتفرّغوا لمضمون الكلام.

هذه الحقيقة، حقيقة الإعراب، من شأنها أن يجعل علاقة العقل بالإعراب علاقة خاصة، مختلفة عن علاقته بالمفردات والبني التركيبية^٩؛ وتجعل دخول العقل في عملية مراعاة الإعراب عنصراً رئيسياً تكاد تحصر فيه علاقة العقل بالإعراب، وبكاد الكلام عن التدخل أن يكون، بحسب من هذه الرئيسية، كلاماً غير ذي موضوع.

إلا أن الأمر يصبح مختلفاً إذا نحن انتقلنا بالمسألة، من عملية مراعاة الإعراب، إلى عملية التعقيد. في هذه العملية، يتحول دخول العقل إلى تدخل - تماماً كما رأينا في التعقيد الذي تناول المفردات والبني التركيبية - ثم يُفضي ذلك بالنهاية إلى أن يضعوا، من قواعد الإعراب، ما يعبر عن منطقهم هم، ومقاييسهم هم، مثلما يعبر عن منطق اللسان ومقاييسه، أو أكثر.

وإذا كان هذا الموضوع لم يحظ، في ما نعلم، بدراسة مركزة نعود إليها، أو نتأنس بها، في تناولنا لهذا الجانب من موضوعنا، فإننا، شأننا في تناول الجوانب الأخرى، قد توجّهنا مباشرةً إلى متن الموضوع - والمتن هنا هو قواعد النهاية ونصوص اللسان - فسجلنا من تدخل العقل موضع، أو موضوعات توضح لنا المسألة، ومنها:

- الحالات الإعرابية لتوابع المنادي.

- اخطاء الاعراب لاسم « لا » النافية للجنس إذا كروت.
 - اعراب الاسم المشتعل بـ « لا » النافية للجنس إذا كروت.
 - اعراب الاسم الواقع بعد « لا سبيلاً ».
 - حركة بناء اسم « لا » النافية للجنس بـ « لا » كان جمع مؤنث سلماً (وللبناه، هنها، بعد عناية الإعراب في أنه تقرير حركة من حركتين لها فتح التاء أو كسرها)
 - الفعل ...

إن تأملنا للإعراب العائد لهذه الموضوعات، وتأملنا للحالات الإعرابية المتعاقبة على الأسماء المعرفة فيها، يُظهر لنا أثر التدخل الذي نشير إليه، أي أثر العقل في تعريف الحالات الإعرابية الخارجية على الاسم المعرف، ووضع نظام إعرابي لكل موضوع، نظام (Subsystem) يجسّد تصور المفعاه، ومحاكياتهم العقلية، و «تنازعهم»، أكثر من تجسيد لحقيقة الإعراب العائد لهذه الموضوعات.

九

جـ خـاتـمة

لسان في حاجة، ونحن نلقي خاتمة بحثاً، إلى أن تورّد ما أوصيـنا إليه البحث من نتائج، ما دامـ في وسعـنا أن نجعلـ هذهـ النتائجـ في نقطـةـ مكتـفةـ، شـبيـهـةـ بـنقطـةـ الضـوءـ تـحـتـشـدـ فـيـهاـ أـشـعـةـ مـتـفـرـقةـ تـوـجـذـهـاـ عـكـسـةـ زـاجـاجـيةـ تـعـمـمـهـاـ فـيـ خـيـرـ وـأـخـيـرـ لـهـ قـعـدـ الـإـحـرـاقـ:

أنـ تـرـسـمـ، فـيـ جـسـدـ الـلـغـةـ، حـدـودـاـ وـاضـحةـ بـيـنـ الـلـغـةـ وـالـعـقـلـ، فـيـجـعـلـ ماـ يـلـغـةـ الـلـغـةـ، وـماـ لـلـعـقـلـ لـلـعـقـلـ، وـيـكـوـنـ ذـلـكـ مـنـ خـلـالـ لـسـانـاـ الـعـرـبـيـ، الـذـيـ إـنـهـ نـقـومـ بـعـمـلـيـةـ رـسـمـ الـحـدـودـ، فـيـهـ، بـيـنـ الـلـغـةـ وـالـعـقـلـ، طـبـاـ لـتـرـزـيدـ مـنـ اـكـتـنـاعـهـ.

عـلـىـ أـنـ تـشـمـلـ نـقـطـتـاـ مـكـثـفـةـ هـذـهـ غـثـلـاـ تـشـيـنـ بـهـ مـوـاـضـعـ حـدـودـنـاـ، وـتـسـبـبـ بـهـ حـقـيقـةـ هـذـهـ الـحـدـودـ، كـمـ تـشـكـلـهـ غـفـلـتـاـ عـنـهـاـ، أـوـ إـغـفـالـتـاـ هـنـاـ، مـنـ «ـخـطـرـ»، عـلـىـ لـسـانـاـ.

ثـمـ نـدـرـكـ إـدـرـاكـ عـلـىـ وـتـطـيـقـ:

أـنـ التـمـثـلـ الـذـيـ نـطـلـيـهـ، إـنـاـ يـتـحـقـقـ بـلـقـافـةـ لـغـوـيـةـ - الـسـيـرـيـةـ جـادـةـ وـتـبـصـرـنـاـ بـجـمـائـقـ الـلـغـةـ الـكـبـرـيـ، نـقـصـدـ: بـنـوـامـسـهـاـ الـكـلـيـةـ، الـمـحـركـةـ لـالـسـتـهـاـ؛ وـتـبـصـرـنـاـ، عـلـىـ الـأـخـصـيـ، بـمـوـضـعـاتـ تـفـصـيلـيـةـ تـعـودـ إـلـىـ لـسـانـاـ، تـتـعـلـقـ بـجـوـانـبـ بـحـثـاـ، تـتـرـابـطـ فـيـهـاـ بـيـنـهـاـ، وـتـرـبـطـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ خـيـطـ دـقـيقـ مـوـصـولـ بـالـمـوـضـوعـ الـعـامـ لـلـبـحـثـ: أـنـ الـلـغـةـ لـيـسـ عـقـلاـ. وـهـذـهـ الـمـوـضـوعـاتـ يـمـكـنـ، مـثـلاـ، أـنـ تـكـوـنـ:

- ١ - دراسة لغة الكتابة، المعروفة بـ «اللغة الفصحى»، من جهة علاقتها بأبناء اللسان العربي: لإيضاح حقيقة مهمة من حقائقها ترتبط بموضوع البحث: أنها: لأنها، هذا اللسان، لُغَةٌ - أَمْ، ولنفي دعوى الأجنبيّة عنها.
- ٢ - تحديد ما يشتمُ عن كون لغة الكتابة لُغَةً - أمّا من نتائج تحلق بحركة تجددها الحارى مع الأيام، وشرعية هذا التجدد، ولا سيما ما كان منه على مستوى الكلمات المفردة التي تتميز من حيث التراكيبية^{٦٧} بأن قابليتها للتعدد هي أمر طبيعي يجري على نطاق واسع تعرفه الألسنة المختلفة.
- ٣ - تحديد واضح لлемة القاموس التي، في تصورنا المستمد مما يجري على الأرض، هي استيعاب لكلمات اللسان، ومواكبة للتعدد اليومي في هذه الكلمات، وإسقاطه وائق لمقولة «القاموسية المغلقة» التي يفرضها في كلمات العبارة، جواز مرور إلى الاستعمال، لغيريُون من عندنا متزمنون - عقليون يقدرون القاموس على الحياة، أي يقدمون الخاتمة على المتن، مثلما تقدم العربية على الحصان، في المثل الفرنسي المشهور.
- ٤ - دراسة مستويات التراكيب التحوي في الكلام العربي، تلك المستويات المتعددة، في كلّي يتضمنها تصوره نحوها، من الكلمة المفردة بأشكالها التحوية المختلفة، إلى ما نسميه شخصياً «المركب الأسمى غير الإسنادي»^{٦٨}، إلى «المركب الإسنادي البسيط»^{٦٩}، أو «الجملة»^{٧٠}، إلى «المركب الإسنادي المركب»^{٧١}، أو «العبارة»^{٧٢} التي، كما يقول الأكاديمي الأميركي بلومفيلد، هي «الوحدة التحوية الكبرى»، والتي يتوقف معها، أو بعدها، كل تركيب آخر.
- ٥ - إبراز تمييز الجملة من العبارات^{٧٣}، وفي المثل المبين، غيرزاً واضحاً.
- ٦ - تحديد مستويات التراكيب الراقة في متناول الوضف الشعري، أي في

(٦٧) راجع مضمون هذه المصطلحات في فصل من هذا الكتاب صوانه: «مستويات للغة التحوي».

متداول للتعميد، وإظهار الحيز التركمي، الذي ينقطعه قواعدها المجردة، أي إظهار الحدود الواضحة لهذه القواعد، وكشف المساحة المترامية من البنى التركيبية التي تتخل أبداً خارج هذه الحدود، أي خارج الوصف التحوي وخارج القواعد المجردة^(٦٨).

٧ - التعرف هل ظاهرة الإعراب، التعرف على حقيقة الظاهرة، وتجريد الظاهرة مما يخالفها من أوهام ومبارات، وتحديد مكانة الإعراب من جسد العبارة، أي من البنى التركيبية التي تدخل في تكوينها.

٨ - دراسة اكتساب اللسان عامة، واكتساب اللسان العربي المُعْرب خاصة، ودراسة عملية اكتساب الإعراب، لإظهار خصوصية هذا الاكتساب (أنه حاصل عن طريق العقل)، وإظهار ما تميز اكتساب الإعراب من اكتساب الكلمات (والبني التركيبية)^(٦٩).

على أن نهدف، بهذه الدراسة، إلى تحديد دقيق لدور القاعدة المجردة، أي دور العقل، في عملية الاكتساب العائدة لكل عنصر من العناصر الثلاثة التي تدخل في تكوين العبارة العربية المُعْربة، الكلمات، البنى التركيبية، الإعراب.

٩ - دراسة عملية التعميد لإظهار أمرين:

- + أن المذهب الوصفي، هذه العملية، إنما هو مذهب يتلام مع طبيعة اللغة، ويتلام، بصورة خاصة، مع استمرارية اللسان، وأنشه التجدد، وكونه لساناً - أمّا موصولاً بعروق أبنائه وأنتس حياثهم اليومية.
- + أن المذهب المعياري إنما يُخضع اللسان لقواعد مجردة يمكن أن توقعنا:

ـ بما في قواعد تقويم حل متنطق العقل مثلها تقوم على منطق اللسان، أو أكثر.

(٦٨) المقصود بالكلمات هو الكلمات المعجمة، وليس الكلمات التحوية التي تشكل عملية اكتسابها جزءاً من عملية اكتساب البنى التركيبية، لأنها، في حقيقتها، العنصر اللغوي المحروس من هناء هذه البنى.

- وإنما في خواعده عمروفة **كتابية** تُرجمَّعْتَها في عملية مواجهتنا لدفقة التجديد التي يفرزها لنا آثارنا النابض.

١٠ - دراسة مركزة لعملية إنشاء الكلام: لإيقاض ذرَّ القاعدة المجردة في هذه العملية، وإظهار حدود هذه القاعدة، التي إنما هي العقل في إنشاء العبارة، ورسم حدود وأوضاعها لهذا الدور، وإبراز الآثار السلبية التي تولدها بجاوزة هذه المحدود.

على أن يشكل هذا الذي نقدم إطاراً لنشاطنا اللغوي المرتبط بالساندي، وتوجهها تبلغ بساطته درجة العمق، يتقبل به، ويُقْبَل عليه بصورة خاصة:

+ كل من يتول، لهذا اللسان، عملية تعقيده، أو إعادة الصياغة لقواعده المجردة*. ويكون ذلك، مثلاً، في نطاق التأليف النحوي، المدرسي أو غير المدرسي.

+ كل من يمارس التعبير بلغة الكتابة العائدة لهذا اللسان.
+ كل من يقوم بأي نشاط إصلاحي يتناول اللسان العربي أو حرفاً يكتب به اللسان العربي.

+ كل من يشارك في وضع المناهج التعليمية العائدة لهذا اللسان.

+ كل من يشارك في التنظير البيداخوجي المطبق على اللسان العربي.

+ كل من يتول عملية تعلم اللسان العربي بلغته الفصحى:

- تعليناً مباشراً يجريني على مقامه الدرس في غرفة مغلقة تسمى «صفاً».

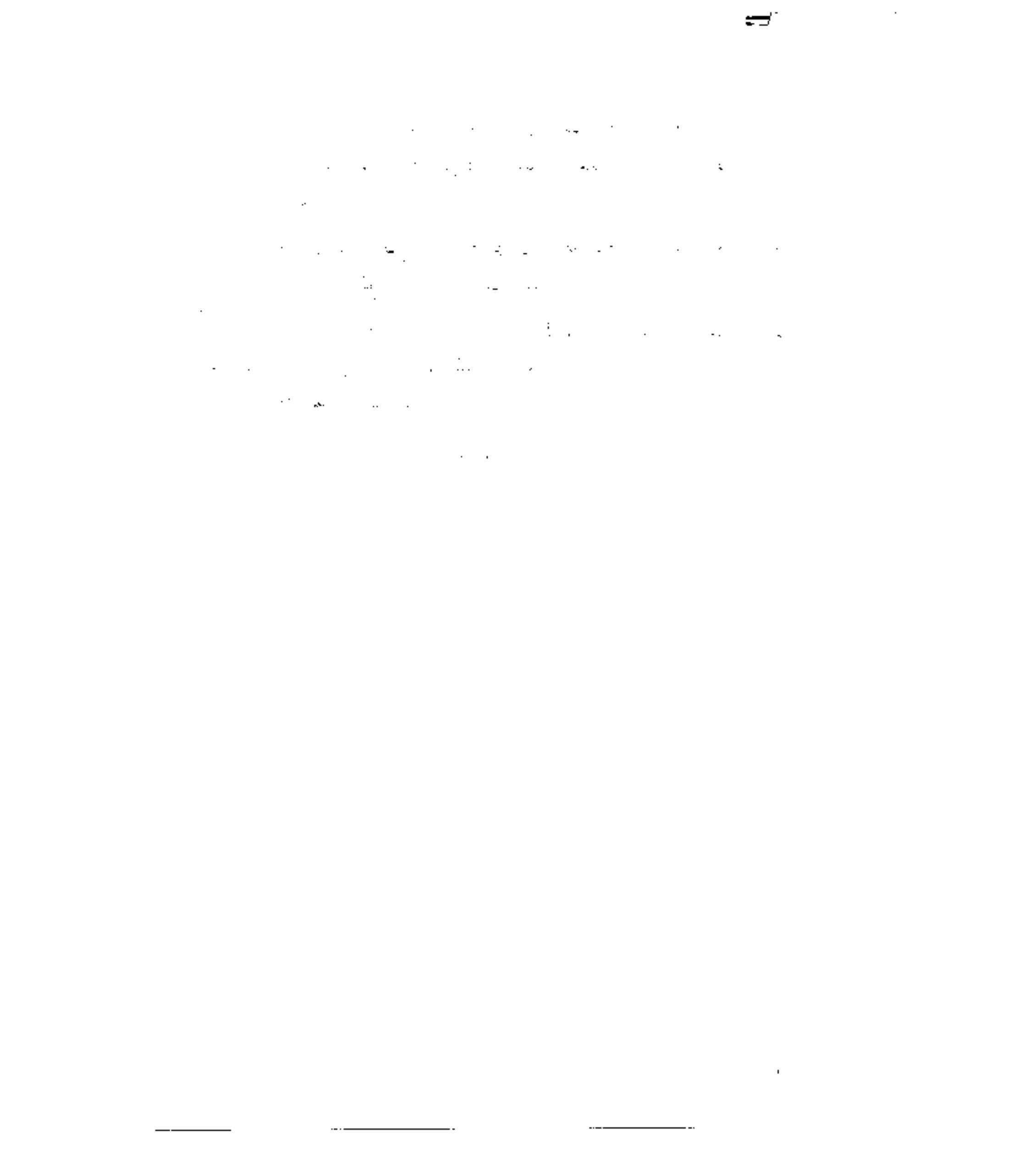
- أم تعليناً غير مباشر يجوي في رحاب الدنيا المتواترة، ينضم من قول منطوق أو مكتوب، يُرسَّل في الناس فيصبح، بمستواه المميز أو بسياق من المقام يندرج فيه، قدوةً ما أكثر ما تكون، بشارٍ تتعقد عليها، شكلًاً متقدمةً - فاعلةً من أشكال التعليم.



ونحن، بعده، على مثل اليقين بأن هذا الذي قدمناه، في محاولتنا المتواضعة، إذا أخذَ به واعتُبر عينةً بسيطةً دالةً، من دراسةٍ متكاملةٍ يمكن أن تتناول الموضوع، من شأنه الإفضاء إلى أمرين:

- أن يصون لساننا من لطخ يحدثها في وجهه الوضيء سلطان العقل عليه، وينفي هذا الوجه من لطخ أحدهما فيه ذلك السلطان.
- أن يُفهِر لنا، بوضوح لا لبس فيه، أن اللغة، بجوهرها، هي لغة، تستمد حقيقتها من ذاتها وتقوم بذاتها، قبل أن تستمدها من أي شيء آخر أو تقوم بأي شيء آخر، أن اللغة ليست عقلاً.

* * *



المقالة الثانية

رسائل بحث لغوي

نشرت هذه المقالة في جريدة «النهار»، الباريسية في عدد ١٢/١١/٨٣ وأعداد منه

مُدْخَل

في نطاق الاهتمام بالمصطلحات المكونة لقاموس البحث اللغوي عامّة، والبحث الذي يتناول اللسان العربي خاصّة، رأينا أن نتعرّض مع قارئنا عدداً من هذه المصطلحات، نحاول إيصال مضمونها، بتوسيع تسيّي يجعل الكلام على كلٍ منها يجاوز تُخوم القاموسية التي تفهم من مجمل الموضوع الذي تدور عليه مقالتنا.

أما ما رأينا إليه بمقالتنا، فقد تفرّع إلى ثلاثة:

* طرح بعض المصطلحات المقترحة.

* عرّض مُصطلحاتٍ أخرى انتقيناها من قاموس الألسنة الحديثة: لما رأيناه فيها من صيغة العمومية، تعني صفة كونها مفاصيل بارزة يتمحور حولها البحث اللغوي بمضامينه المحدثة المواكبة للمعطيات الجديدة.

لما رغبنا في تعميم هذه المصطلحات، فمردّها إلى ما لا حظناه في فهمها من... تباين أو... تشوش يجاوزُ غير المعنيين بالشأن اللغوي، أو غير المختصين، إلى بعض من المعنيين، أو أولي الاختصاص، الذين ما زالوا يعالجون قضايا اللغة واللسان بمعاهيم ومصطلحاتٍ تقطّنها معطيات الدراسة اللغوية التي قدّمتها لنا أجيالٌ متّعة من الألسنِ المُحدّثِينِ الإعلام، أمثل:

- السويسري فردينان دى سوستور De Saussure (1857 - 1913)،

- الروسي نيقولاى تروبوتزكوى Troubetzkoy (1890 - 1938)،

- الفرنسي أندريه مارتينيه Martinet (١٩٠٨ - ...) ،

- الأميركي نوام تشومسكي (١٩٢٨ - ...) ،

- الخ ...

فَرَمِيْنَا ، يُعْرِضُ مُصْطَلِحاتَنَا وَتَعْمِيمَهَا ، إِلَى الْمَسَاهِمَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ فِي بِلُورَةِ لِغَةِ الْبَحْثِ الْلُّغُويِّ ، وَتَوحِيدِ هَذِهِ الْلِّغَةِ ، أَيِّ الْمَسَاهِمَةِ فِي تَسْهِيلِ الْبَحْثِ وَتَطْوِيرِهِ ، وَتَسْهِيلِ الْحَوَارِ الْلُّغُويِّ الَّذِي ، إِذَا لَمْ تَطْغَ عَلَيْهِ الذَّاتِيَّةُ وَالْمُهْوِيَّ ، أَمْكَنَ أَنْ يُعَدَّ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَحْثِ ، أَوْ رَافِدًا مِنْ رَوَافِدِهِ .

* استغناونا (استغناونا نحن شخصياً على الأقل ، وفي مقالاتنا اللغوية المقبلة) عن شرح هذه المصطلحات بجواش تشقق المتن بظاهر حجمها ، وتشكل ، للقارئ ، المُصْطَفَح ، خصَّبَا مِنْ ضروب الإزعاج ، مع أنَّ الحواشي ، في البحث العلمي ، جزء لا يتجزأ من البحث ، شرط أن تكون في نطاقها الطبيعي ، نعني : في نطاق الحاجة المنهجية إليها .

علَى أَنَا ، قَبْلَ الشُّروعِ فِي تَنَاؤلِ مُصْطَلِحاتِنَا ، بِمَا نَرَأَهُ مِنْ تَسْلُسلٍ مُنْطَقِيٍّ يَنْتَظِمُهَا ، نَوْدُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَمْورٍ :

أوَّلُهَا :

ما نَقْعُ عَلَيْهِ ، بَيْنَ الْمُصْطَلِحاتِ الْمُسْتَعْرَضَةِ ، مِنْ تَرَابِطِهِ رَبِّيَا جَعَلَ مِنْقَدَمَهَا لَا يَنْفَهِمُ حَقُّ فَهْمِهِ إِلَّا بِنَأْخِرِهَا . وَهَذِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَّتِ الْإِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ لِيُسَّرَّ لَنَا عِبْدُهُ .

ثَانِيَهَا :

أَنَّهُ رَبِّيَا وَرَدَتْ ، فِي سِيَاقِ عَرَفَنَا ، مُصْطَلِحاتٌ لَا يَتَنَاهُلُهَا العَرْضُ أَصْنَلَّا ، فَيَكُونُ حَظًّا الْقَارِئِ مِنْ فَهْمِهَا ، وَفَهْمُ النَّصِّ الَّذِي تَرَدَّ فِيهِ ، (وَفَهْمُ كُلِّ نَصٍّ يَوْاجِهُهُ) ، مُرْتَبِطًا بِمَا أُوقِيَ مِنْ عِلْمٍ وَ ثِقَافَةٍ . (وَهَذِهِ أَيْضًا سُنَّةٌ مِنْ سُنَّتِ الْإِدْرَاكِ لَا غَلِيلُ أَمَانَهَا سِوَى الْخَضُوعِ لَهَا) .

ثالثها:

أن المصطلحات التي تستغرضُها هي، في ظاهرها، محدودة العدد، كما نرى. إلا أن سياق العرض، بمعنِّيه وحواشيه، حافلٌ بكثيرٍ من المصطلحات الأخرى (وكم يُعَدُّ من الأفكار والقواعد)، التي يشكل ورودُها في السياق عرضاً طبيعياً لها. ولا يخفى أننا، بالقراءة المتفحصة المتأملة، نستطيع جوازَة المصطلحات الرئيسية الظاهرة، التي تجسدها عنوانيتها، إلى ما اعتبرناه مصطلحات أخرى (وأنكارات وقواعد).

★ ★ *

١ المركب الاسيسي غير الاسنادي

في تأملنا لما نسميه «سلم المركبات التحورية الصاعدة»^(١) - الذي يشكل، هو الآخر، مصطلحاً من المصطلحات التي تشغّلنا إلا أننا نتعرّف عليه^(٢) من السياق دون أن نحدده بتعريف مجرد، ونُفرد له من عرضنا جيّزاً خاصاً.

(١) وربما سمعناه «سلم الوحدات التحورية الصاعدة». في هذا سلم، حصص الكلمة ووحدة حورية، والمركب الاسي غير الاسنادي وحدة حورية، والجملة وحدة حورية، والعبارة وحدة حورية. ونحضرنا هنا كلمة للألسني الأميركي المشهور بلومونفيلد: «العبارة هي الوحدة التحورية الكبرى»، (في سلم الوحدات التحورية). وهذا يعني أننا، بعد العبارات أو فوقيها، أي في النص أو في الكلام، لا نقع على شكل حوري؛ بمعنى أن النص، أو الكلام، إنما هو تتابع عبارات ترتبط إحداثياً بالآخر أرتباطاً دلائلاً... (راجع الماشية^(٣)).

(٢) ربما طعن بعض المتمسكين بالعمود الحرفـي للسان العربي الفصحى في منحة هذا التركيب (التعرف على النبي): بمحنة أن هذا الصدر أو فعله المشتق هو منه، لا يصدّق بـ «عمل»، لأنه، في النصوص المأثورة أو في القاموس، لم يبعد بهذا الحرف. وردنا على هذا الطعن المفترض بحكمة من تقطعين مترابطين نوردهما ولو طالت بها الماشية لما لها من دلالة عامة:

الأولى: قاعدة حورية تسمى «التضمين التحوري»، مؤداها أننا، إذا ضمّنا فعلآ من الأفعال معنى فعل آخر، جاز لنا (أو وجّب علينا) أن نُعدّي ذلك الفعل بما يُعدّي به الفعل الآخر، مثلأً، تضمن الفعل «رأي»، معنى الفعل «نظر»، كفتلة أولآ من التعدية إلى اللزوم، أو من التعدية بالذات إلى التعدية بالحرف، ثم نعدي بما نُعدّي به «نظر»، فنقول: «رأيتك إيه كيف يتلوّن؟»، بدل: أرأيته. ونطبق هذه القاعدة، وهي مطردة فيها نعم، على «عُرف» فيكون لنا أن (

وفي كلامنا على هذا السلم، تبيّن لنا أن الكلام على درجاته، أي مرئياته، أمر يبقى متعدراً، أو غير مكتمل، إذا نحن لم نموّ بمركب له كيانٌ نحوي قائم بذاته، يقع بين الكلمة والجملة في السلم المذكور، إلا أنه، في ما تبيّن لنا، يفتقر إلى وصف نحوي^(٢) يهبه كياناً نظرياً مجردأً، كما يفتقر إلى اسم يعرف به، فبادرنا، بعملية استقراءً موسّع، إلى وصفه وتبسيطه، وتحليل التسمية في معنِّ البحث.

ما هو المركب الاسمي غير الاستادي؟

تضمُّن الوَحدات الصوتيةُ اللغوية، أو الفونيات، بعضها إلى بعض وترتبط، في صُورٍ، أو بتصوّرٍ، من الانضمام والترابط تعود إلى هذا اللسان أو ذاك، فت تكون الكلمات^(١).

ما الذي يتكون إذا اندمجت الكلمات بعضها إلى بعض وترابطت فيها بينها، في

◊ «تعرّف» يستعمل معنى الماضي «اطلع»، يمْدُّ بما يعتدّ به «اطلع»، فتقول «تعرّف عليه».

الثانية: تعقّب على الأول ومضمونها:

- أن ورود هذا التركيب في الاستعمال المنوي الواقع الذي لم تفسده معرفة نظرية مجرورة معدّة بشكلٍ طبيعيًّاً عشوائياً لقاعدة التضمين التي بياناً.

- أن حضرنا لهذا الاستعمال وما هو من قبله: بمجردة عدم النص عليه، من شأنه أن يُضيق على اللسان العربي المجال الحيوي الطبيعي لحركة نحوه، ويوجهه في توصيف ما يسمى بـ«حصود الفصحى»، ويجعله لساناً تارياً ينتهي إلى عمر غير حضرنا، الخ... (تناولنا «التضمين النحوي»، في بحث مستقل غير منشور).

(٢) لم تقع، شخصياً، على بحث يتناول المركب الاسمي غير الاستادي (ولا على نسبة لهذا المركب)، في أي من المراجع التي أتيحت لنا، اللهم إلا ما كان من تناول جزئي أو تقييم عارض لبعض عناصر هذا المركب. وهو ما ورد في الجزء الأول من كتاب «جامع الدروس العربية»، للشيخ مصطفى الغلاطي.

(٤) إن طبيعة السياق الذي نحن الآن فيه تبيّن لنا افتراض أن كلمة «الكلمة»، بمفهومها العام الشائع، هي أدنى مستوى من مستويات المركب اللغوي للدلالة (*signification* ou *signifié* complexe)، لأن التطرق إلى المؤلفيات، أو المونيات، لا يعنينا في بحثنا. (راجع الماشية ٣٥).

لسانٍ من الألسنة، ولقد نظَّم خاصًّا من الاهتمام والترابط؟

(طبعي أن إجابتنا عن هذا السؤال، التي تشكل توسيعًا لموضوعنا، ستكون من خلال لسان بعينه هو اللسان العربي الذي أنشئه هذا البحث من أجله).

في هذا اللسان، تنضم كلمتان إحداهما إلى الأخرى وتترابطان، أو تنضم أكثر من كلمتين، فيكون لنا فشنان من المركبات.

يمكون لنا مركبات مثل:

١ - رئيس البلاد.

- الساه الزرقاء.

- الإمام علي.

-

ومركبات مثل:

٢ - سافر الرئيس.

- الشعوب مقهورة.

- هطل مطر شديد.

- الأمل فسحة الحياة.

-

في الفئة الأولى يدخل المركب على مذُولٍ مفرد، أي مدلول يمكن أن يُسندَ إليه غيره، أو يُسندَ هو إلى غيره، إسناداً نحوياً - تركيبياً - شكلياً (سانتاكتيًّا) (٤):

(٤) إن ثبت الإسناد بالمعنى، أو الترجمة، أو التشكيل، (أو السانتاكتي)، يمكن أن يدخل في باب ما يسمى تحصيل المهاصل، بمعنى أن كل إسناد فهو، في الاستلاح المتبادل، إسناد لمعنوي، أي تركيبي أو شكلي (أو سانتاكتي) بولد جلة أو جلة إلا أن تحرّقنا من وقع التفرّق في شبهة (٥)

أي أنه يمكن أن يدخل في تكوين ما يسمى **البنية الترکيبية** (*Les structures syntaxiques*)، كدخول الكلمات المفردة فيه، سواءً بسواء.

وفي الفئة الثانية، يدل المركب على مدلول مركب يتكون منه كلام تامٌ ذو معنى تام يقوم على الإسناد النحوي المذكور، وتحسن السكوت بعده، أو عنده، كما يقول القدامي.

و بما أن مركبات الفئة الثانية إنما تقوم على الإسناد، كما قدمنا، فقد أسطلحتنا على تسميتها «**مركبات إسنادية**».

و بما أن مركبات الفئة الأولى خالية، فعلاً، من الإسناد، ولم تقع لها على أساس تركيب آخر، تشرك به وتقوم عليه، فقد رأينا أن خلوها من الإسناد يمكن أن يكون هو هذا الأساس. ثم أسطلحتنا على تسميتها «**مركبات غير إسنادية**»، بصورة السلب.

تعريف المركب غير الإسنادي:

وعلى ذلك، كان لنا: أن المركب غير الإسنادي هو ما ترکب من كلمتين فأكثر، ولم يخرج به التركيب عن حالة الإفراد، أي عن تكونه عنصراً يدخل، مع عناصر أخرى، في تكوين المركب الإسنادي بمستويه الرئيسيين، البسيط أو الجملة، والمركب أو العبارة^(١)، ويقع في أحسن موقع من موقع الأسم، موقع المند إليه.

ولمزيد من الإحاطة بهذا المركب، رأينا أن نورد ما أوقتنا عليه الاستقراء من

▷ الإسناد، في مثل المركب غير الإسنادي الوصفي، هو الذي دفعنا إلى الاحتراز بالثنتين البنين (في قولنا: «الشوب المقودة»، إسناد *فلاهري* لمعنى *النهر* إلى *الشوب*. إلا أنه إسناد دلالي، أو إسناد إفرادي، أي غير نحوي).

(١) راجع ما طرحته، في قسم ثالث، من فرق اصطلاحي بين الجملة^{*} والعبارة^{**}.

أشكاله

وهذه الأشكال، بحسب ما تقدّر أنه تسلسلٌ هابط في درجة توافرها في الاستعمال، هي:

- المركب الإضافي، المكون من مضاف ومضاف إليه.

- المركب الوصفي، المكون من صفة وموصوف.

- ما نصلح على تسميته المركب بالجرف أو بالظرف، وهو ما ترکب من اسمين (أو أكثر) يربط بينها (أو بينها) حرف جر أو ظرف (الإيمان بالله، السعي وراء الحق)،

- المركب العطفي، وهو، في سياقنا هذا، ما ترکب من اسمين اثنين، أو أكثر، تربط الواو بينها، أو بينها. وربما حلت الفاء محل الواو في هذا الربط، إلا أن ذلك قليل الوقع إذا قيس بالواو.

ولا يخفى أن خصّ المركب العطفي بالأسماء إنما يعني بذلك عطف فعل على فعل، أي عطف جملة على جملة، أو عبارة على عبارة، لا يدخل في المركب العطفي الذي يعنيه: لأن الجمل والعبارات، عطف بعضها على بعض ألم لا، إنما تخرج من باب المركب غير الإسنادي.

- المركب العددي، وهو ما ترکب من العدد ومعدوده في ما كان مركباً عددياً إضافياً، أو مركباً عددياً تمييزياً، أو مركباً عددياً وصفياً.

- المركب البديلي أو البياني^(٧)، وهو ما دخل البدل أو عطف البيان في تركيه (الأستاذ سعيد، الزلزال - الكارثة).

(٧) جعلنا البدل وعطف البيان بعدها فهنئ في هذا السياق، لما بينها من تشابه يبلغ حد التداخل، ولأن الفرق بينها فرق نظري خالص لا يترتب عليه أي تغير في الحالة الإعرابية، ولا يتجمّع عنه أي تبدل في هيئة العبارة، فمـاـهـ لـاـ يـعـنـيـهـ هـنـاـ.

- المركب التوكيدى، المكون من المؤكّد (بالفتح) والمؤكّد^(٨)، نحو: الرجل نفسه.

(أما المركب المزجى، المكون من علتين (بيت لحم، بعلبك) مُرجح أحدهما بالآخر، فإن مزجيته تركيبة المضدية إلى جهوده قد أخرجته من حكم المركبات. وأما المركب العددى الذى درج النهاة على جمله من المركب المزجى، فإن تمييزه بالمعدود المنصوب وما يمكن أن يوصف به هذا المعدود قد أخرجه من نطاق المركب المزجى وأدخله في نطاق المركب العددى الذى رأينا).

وكل مركب من هذه المركبات يكون بسيطاً ويكون مركباً.
يكون بسيطاً إذا كان بسيطاً كل عنصر من عناصره، أو كل عنصر من عناصره:

- ١ - رئيس الجمهورية.
- ٢ - الرئيس المنتخب.
- ٣ - النظر إلى الأفق.

...

ويكون مركباً إذا دخل التركيب أحد عناصره، أو أحد عناصره، أو دخل كل عناصره.

على أن هذا التركيب يكون على درجات،

(٨) لا يدخل، من التوكيد، في المركب، إلا ما يُسمى توكيداً معنوياً مكوناً، في العادة، من اسم المؤكّد، وتابعه المؤكّد (بالكسر)، كما يدخل فيه، من التوكيد اللظيفي، ما يخرج من الاسم المؤكّد (بالفتح) ولنفعه نفسه المؤكّد (بالكسر)، نحو: الرجل الرجل.
أما الأفعال التي تتكرر ألقابها، فإنها تدخل في باب الجمل، وتخرج من باب المركب غير الإسنادي التوكيدى الذي يعنيها، أي تخرج من باب المفردات.

- تختلفُ من مركب إلى مركب آخر (التركيب الذي يدخل المركب الإضافي، مثلاً، هو أوسع من التركيب الذي يدخل المركب العادي).
 - وتفاوت، في المركب الواحد، تفاوتاً يمتدُّ به المركب:
 - + من ثلاثة كلمات بسيطة (غير مركبة) فأكثر:
 - ٤ - الرئيس الجديد المنتخب. (ثلاث كلمات بسيطة).
 - ٥ - رئيس جمهورية بلاد الشمس المشرفة (خمس كلمات بسيطة).
-

- + إلى كلمات بسيطة، وجمل، وعبارات، ترابط في تركيب عام لا يخرج به المركب الناجم عنها من صفة الكلمة المفردة التي تستند إلى غيرها ويُسند إليها غيرها:
 - ٦ - الأم المتفانية والمدرسة التي / تسهر على راحة تلاميذها... (أربع كلمات مفردة + جملة).
 - ٧ - رئيس جمهورية البلاد التي / إذا هات منها سيد / قام سيد / يحل عمله... (٤ كلمات بسيطة + ٣ جمل).
 - ٨ - رئيس جمهورية البلاد المنتشرة ظلّلها فوق مناطق من الأرض / لا يحسُ الغريب فيها أنه / قد غادر أرضاً / ولد فيها / و / نما / و / تزهع .. (١٢ كلمة بسيطة + ٥ جمل) أو: (١٢ كلمة بسيطة + عبارة من ٥ جمل).
-

درجات يُخرِجُنا التوسيع فيها من نطاق سياقنا هذا.

(على أن نشير، في هذا السياق، إلى أن الأشكال النحوية التي قدمتها للمركب غير الإسناطي المركب، عبر الناذاج المبنية، ليس لها صفة الاستغرابي، لأنها أشكال (ونماذج) مفترضة يتجاوزها الواقع الكلامي^(٩) يعني اليومي الشخص، الذي يمكن

(٩) نسبة إلى الكلام بمعناه الاصطلاحي الحديث. والكلام، بهذا المصطلح، هو مجسم الأفراد اليومي لقواعد اللسان الفمنية.

أن يقدّم لنا أشكالاً أخرى (ونماذج أخرى) إذا نحن أخذناه لاستقراء منهجه مُوسَع).

بقي، من الكلام على المركب الاسمي غير الإسنادي، إشارات تُشكّل خاتمة لهذا الكلام، ونَعْمَق فهمنا للموضوع:

الأول:

أن المركب غير الإسنادي يقع، في سُلْمِ المركبات النحوية الصاعد^(١٠)، فوق الكلمة، وتحت الجملة والعبارة.

الثانية:

أن المركب غير الإسنادي المركب قد يتّبع من التركيب مستوى يضم معه كل مركب من المركبات النحوية الأخرى التي يتألف منها السلم المذكور.

قد يضم من هذه المركبات:

+ ما كان دونه، أي الكلمات.

+ ما وزاءه أو جانسها من مركبات غير إسنادية أخرى.

+ ما علاه، في السلم، من جُمْلٍ^{*} أو عبارات^{*}، أو من جمل وعبارات،

دون أن يؤدي مستوى تركيبه هذا:

- لا إلى إخراجه من صفة الكلمة المفردة؛ لأنـه، في الجملة، يقع في موقع الكلمة المفردة ويعامل معاملتها (ولا يشكل، بذاته، كلاماً تاماً «يمسّ السكت عليه»)،

(١٠) نذكر بأن درجات هذا السلم صرداً هي: الكلمة (بتفهمها العام الشائع البسط)، المركب الاسمي غير الإسنادي «المركب الإسنادي البسط» أو الجملة «المركب الإسنادي المركب» أو العبارة^{*}.

ولا إلى نزع صفة الاسمية عنه: لأنّه يقع في أحسن موقع من موقع الاسم، موقع المسند إليه (وهذا ما جعلنا ننعته بالاسمية، فنقول المركب الاسمي غير الإسنادي)، - ولا إلى إخراجه من مرتبته التي يُثناها له في سلم المركبات: لأنّه لا يكون جملة* أو عبارة*، وإنْ بلغ من التركيب ما تدخل الجمل والعبارات معه كعنصرٍ من عناصر المكونة.

الثالثة:

أن المركب غير الإسنادي البسيط وحده هو الذي يقبل التعقيد ويقع في دائرة الوصف النحوي*. حتى إذا دخله التركيب، ودخلت الجمل والعبارات في تكوين عناصره، خرَّجَ من نطاق الإدراك العقلي، أي خرج من نطاق الوصف النحوي أو التعقيد، ودخل نطاق الحدس والبسالة.

الرابعة:

أن بين المركبات غير الإسنادية وما يُسمى، في المعطليخ الحديث، «مكونات مباشرة»، (Constituants immédiats) شبيهة جزئياً ربياً أو هم تعابقاً بينها. إلا أنه، كما قلنا، شبهة جزئي تظل معه أمام ظاهرتين اثنين.

★ ★ ★

٢ المُسْمَلةُ وَالْعِبَارَةُ

إذا كانت كلمتا «المحلة»، و «العبارة»، بمدلولها المتداول، الذي يختلطُ فيه مضمونان اصطلاحيان اثنان مستثنئاً في متن بحثنا، هما من مصطلحاتنا القدية، فإن الفصلَ بين المضمونين المذكورين، وتحميص كلّ منها بكلمةٍ من الكلمتين، من شأنه أن يجعل الكلمتين القديتين مصطلحين جديدين؛ لأنَّ جدَّةَ الكلمات، أو المصطلحات، في مرحلة اكتمال اللسان، تكون بعضُها أكثر بكثيرٍ مما تكون بعدها الصوتية – اللفظية^(١١).

في الاصطلاح الشائع المتداول، أند «المحلة» مركبٌ لغويٌ دالٌ^(١٢) مكسون،

(١١) من الطبيعي أن تكون «المجدة باللفظ» ذات نطاق ضيق، بل باللغ الفصيق، في مرحلة يبدو اللسان فيها مكتمل التكوين أو قل: إن المجدة باللفظ هي ذات نطاق باللغ الفصيق إذا قيَّبت «المجدة الدلالية»، أو «المجدة بالدلالة».

وفي حين أن المجدة بالدلالة تبدو حركة طبيعية تصدر، عفويًا، عن الكاتب الباحث للتعبير عن يواجهه من مدلولات جديدة يفرض بها البحث الأصيل المتجدد، نرى أن اشتراق كلمات جديدة، من مادة لفظية قدية، يبدو أمرًا متھيئاً لا يقدم عليه إلا مجتمع اللغة واللغويون المميزون أمثال الشيخ عبدالله العلايلي في معجمه (في بحثٍ وصفنا فيه هذا المعجم، ونشر في جريدة «النهار»، ال بيروتية، عدد ٤٧/٩/٨٣، يبيَّن أن العلايلي قد اشتق، في القسم الأول من المجلد الأول من هذا المعجم، ٤٤٢ كلمة جديدة من ٥٧ جذرًا فستها ٧١ صفحة يتألف منها القسم المذكور).

(١٢) Le complexe linguistique signifiant

في اللسان العربي، من عُنصرٍ رئيسيَّين اثنين هما: المستد والمستد إليه، اللذان يظهران، في غاية الكلام المُشخص^(١٢)، بِصُورٍ متعددة متوجة باللغة العربيَّة تضمُّنها بُنى تركيبيةٍ أساسية، كلُّ منها يُشَهِّدُ النواة، وأبرزها:

- المبتدأ والخبر،
- إن واسمها وخبرها،

-

- الفعل وفاعله،
- الفعل وفائب فاعله،
- كان واسمها وخبرها،

-

وتطلاق «الجملة» على مدلولها المبين أيَّاً مَا كان شكلُّها، أيَّ مهْما تكون درجتها من الترَكيب والتَّعْقِيد والغُنْي الذي يفرزه كلامُ الأفراد.

قولنا:

١ - «الطقس رائق»،
هو جملة.

وقولنا:

٢ - «الطقس في بلادي حديث لا ينقطع»،
هو أيضاً جملة،

وقولنا:

٣ - «الكلمات، في تصوُّري الذي هو عندي تصويرٌ لحقيقة مُشرقة في يقيني، هي التي تولدُ الأفكار وتُخرجها من سديميتها العارية، أو من غُربتها السَّدِيمِيَّة»،

(١٢) كلمة مُشخص (بتشديد الماء المفتوحة) تُقابل كلمة *Person* الفرنسية.

وليست الأفكار هي التي تولّد الكلمات، وإن كانت حقيقةً ما يجري، خارج ذهنا المدرك، أي في ذات الأشياء، هي أمراً يتجاوزُ، بواقعيته وتعقيده وغناه، هذا الذي نقيمه بين الكلمات والأفكار، أو بين الكلمات والأشياء، من علاقات تُسطّعُ الأشياء أكثر بكثيرٍ مما تصورُها»،

هو: جملة ثالثة،

على الرغم من التفاوت الظاهر بين درجات التركيب العائدة للتصوص الثلاثة، وربما أخطأوا، هكذا بلا قصدٍ مقصودٍ، كلمة «عبارة»، محلّ، كلمة «جملة»، فرادّوا، بذلك، بين الكلمتين مرادفةً ما أكثر ما نقع عليها حق في كتب اللغة المتخصصة.

أما «نحن»، فقد يخالفنا بهذا الواقع المتداول، ويعزّزنا «المهملة»، من « العبارة»، وطرحنا، لكلٍ منها، مضموناً اصطلاحياً بخلافها، أما « الجملة»، فقد رأينا أن تختصرها في ما تسميه «مركباً إسناديّاً بسيطاً»، وأما « العبارة»، فقد أطلقناها على المركب الإسنادي المركب^(١٤) الذي تدخلُ الجمل في تكوينه.

ونوضح هذا الذي تقدّمُ ب نقاط :

الأولى:

أن « العبارة»، بالمفهوم المطروح، أصبحت كلاً، و « الجملة»، أصبحت بجزءاً من أجزاء هذا الكل: تماماً كما هو الشأن في مصطلح النحو الفرنسي حيث نجد أن

(١٤) لا يعني أن كلمة « المركب» الثانية هي وصف يقابل كلمة « بسيطاً» التي سبقتها، في حين أن الأولى هي موصوف بمعنى: « ما يتركب»، أو « ما يتألف»، أو « ما يتكون من عناصر معينة»، وربما قابلته كلمة *Coplate* الفرنسية.

الـ *Phrase* هي كلّ، وأنَّ الـ *Proposition* هي جزءٌ منْ أجزاءِهِ. وذلك يعني أنَّ الجملة تَذَخُّلُ في تركيب العبارات كدخول الكلمات فيها بسواءٍ.

الثانية:

أنَّ هذا المفهوم لا يَعْنِي أنَّ كُلَّ كلامٍ، فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ عباراتٍ وجملٍ، أيٌّ مِنْ عباراتٍ تتَكَوَّنُ مِنْ جُمْلَةٍ. قد يكون الكلام مكوَّناً مِنْ عبارةٍ - أو مِنْ عباراتٍ - لا تتَكَوَّنُ إِلَّا مِنْ كَلِمَاتٍ مُغْرِدةً، أيٌّ لَا تَذَخُّلُ الجُمْلَةُ فِي تَكْوينِهِ. وهذا يُؤَدِّي إِلَى نوعٍ مِنَ التَّطابِقِ بَيْنَ «الجملة» و«العبارة»؛ فَتَكَوَّنُ العبارات مَكَوَّنةً مِنْ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ، أو تَكُونُ الجملة مَكَوَّنةً لِعبارَةٍ تَامَّةً، أيٌّ تَكُونُ الجملة عبارةً، أو العبارَةُ جُمْلَةٌ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَلِيلٌ الْحَدُوثُ، أَوْ نَادِرٌ إِذَا وُضِعَ فِي بَحْرِ الْكَلَامِ الْمُتَلَاطِمِ.

الثالثة:

أنَّ عملية الإسنادِ، بعناصرِها الرئيسيَّةِ في الجملة، أو عناصرِها الرئيسيَّةِ في العبارَةِ، هي نَوْأَةٌ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا، أَوْ تَرْتَبِطُ بِهَا، عَنَاصِرٌ تَحْوِيَّةٌ أُخْرَى (غير المُسند والمُسند إِلَيْهِ)، عَنَاصِرٌ بِهَا تَتَقَلَّبُ الْجَمْلَةُ أَوْ الْعَبَارَةُ مِمَّا يَكُنُ أَنْ يُعَدَّ مَسْتَوِيًّا مِنْ مَسْتَوَيَاتِ مَا يُسَمِّيهِ الْمُحَدِّثُونَ الْبُنْيَةَ الْعُمِيقَةَ^(١٥) إِلَى مَا يَكُنُ أَنْ يَذَخُّلُ فِي مَسْتَوَيَاتِ مَا يَسْمُونَهُ بُنْيَةَ سَطْعَنَةٍ^(١٦)، وَمَا نُوَثِّرُ، نَحْنُ، أَنْ نُسَمِّيهُ بُنْيَةَ كَلَامَةٍ^(١٧)، أَوْ بُنْيَةَ شَخْصَةٍ.

(١٥) الْبُنْيَةُ الْعُمِيقَةُ، ترجمَةُ المصطلحِ الفرنسِيِّ *Structure profonde*، هي مِنْ المصطلحاتِ الألسُنِيَّةِ المُحَدِّثِينَ، فِي مَا يُسَمِّيُ عَنْدَهُمْ بالنحوِ التَّحْوِيلِيِّ التَّولِيدِيِّ. وَيرى التَّولِيدِيُّونَ أَنَّ كُلَّ عَبَارَةٍ مَتَعَقِّدةٌ فِي الْكَلَامِ فَلَهَا، عَلَى الأَقْلَمِ، بُنْيَانٌ: بُنْيَةُ سَطْعَنَةٍ. هي الْبُنْيَةُ الظَّاهِرَةُ الْمَشَخَّصَةُ فِي كَلَامِ الْأَفْرَادِ، وَبُنْيَةُ عُمِيقَةٍ هي شَكْلُ خَوْيِي تَحْتَهُ عَجَزُ خَالٍ مِنْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ الْلُّغُوفِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ الَّتِي تَنقَلُنَا مِنْ تَحْرِيدِ الْبُنْيَةِ الْعُمِيقَةِ، إِلَى تَشْغِيْصِ الْبُنْيَةِ السَّطْعَنَةِ (راجعِ قَامِوسِ الأَلْسُنِيَّةِ *Dictionnaire de linguistique* تَأْلِيفِ دُو بُوا / DUBOIS وَآخِرِينَ، مَشْورَاتِ لَارُوسِ).

(١٦) نَسْبَةُ إِلَى الْكَلَامِ بِمَعْنَى الْمُصْطَلِحِيِّ الْمُحَدِّثِ. وَهُوَ مَا سَتَّارَهُ فِي قَسْمٍ مُسْتَقْلٍ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ.

الرابعة:

أنا نطلق كلمة « العبارة » على مضمونها الأصطلاحي المعروض أيّاً ما كانت درجة تركيبها : لأن تفريع التركيب الذي يدخل العبارة إلى درجات أو مستويات كل منها يولد نوعاً من أنواعها (من أنواع العبارة) إنما يُفضي إلى تعقيد العبارة : إذ هو (أي التفريع) جانبٌ من جوانبه (جوانب التعقيد). وتعقيد العبارة أمر متعدد ، كما سرر.

بعد هذا العرض يواجهنا سؤال :

لم يدرك فداماً مضمون « العبارة » ، وما الذي أطلقوه من مصطلحاتهم على هذا المضمون ؟

بلى ، أدرك نحاتنا مضمون العبارة (أدركوه بمستوى من الإدراك يختلف عن المستوى الحديث ، وأشاروا^(١٧) إلى ما يُفهم منه أن الجملة هي جزء الكلام ، أو جزء منه ، كما جعلتنا ، نحن ، الجملة جزءاً من العبارة في الذي طرحناه ، لماذا ، إذن ، تكفلنا اعتماد مصطلح جديد ولنا ، في التراث النحوي ، مقابل ربما أغنانا ؟

أربعة أسباب :

الأول :

أن كلمة « كلام » أصبحت « مشغولة » بدلول ألسني جديد لا نرى أن هناك كلمة أخرى تصلح لأن تُشَفَّلَ به . إنه المدلول الذي أفردنا له موضعاً خاصاً من عرضنا هذا .

(١٧) مثلاً : ابن مثام في المعني ، الباب الثاني ، في تفسير الجملة وأقسامها وأحكامها بـ

الثاني:

إحساسنا أن إقامة الثانية التقابلية بين «العبارة» و«الجملة» هي أقرب إلى التجانس التقابل اللغفي - الشكلي من إقامتها بين «الكلام» و«الجملة».

الثالث:

أن مما يتفرض تمييز «العبارة» من «الكلام»، ويُفضي بنا إلى مزيد من الدقة الاصطلاحية، أن «الكلام»، بأيّ معانٍ له، يتسمُّ فيكون من عديد من العبارات؛ أي أن «العبارة»، منها بلغت درجة تركيبها، تبقى جزءاً من «الكلام»، فنقول، مثلاً، إن في هذا الكلام عبارتين، أو ثلث عبارات، أو عشر عبارات، أو أكثر. فإذا رفضنا المضمون الاصطلاحي المقترن لكلمة «عبارة»، ومسكتنا بهذا المضمون، بكلمة «كلام»، الماثلة في قاموس القدامي، وقعنافي الارتباط الاصطلاحي، ورأينا أنفسنا أمام كلام ي تكون من عدة وحدات لغوية كل منها يسمى «كلاماً»، فيصبح «الكلام» كلاماً وجزءاً في آن. وبين أن الخروج من هذا الارتباط هو مسألة بسيطة تكون باعتماد المصطلح المطروح، مصطلح «العبارة»، وهو، أي الخروج، أمر مفضل.

الرابع:

هو أن كلمة «عبارة» هي، حتى الآن، كلمة لغوية^(١٨) عامة. وهي، حتى الآن، وعلى الصعيد الألسني، كلمة طلبة لم تُشغل بعد بالمضمون الاصطلاحي المناسب، في حين أنها، في المقابل، تقع على مضمون اصطلاحي «شاغر»، فأردنا «توظيف» الكلمة فيه، بما أظهرناه بينها من التناسب.

(١٨) يُقابل «لغوية» الكلمة «اصطلاحاتها». ومعلوم أن كل اصطلاح له وجهة لغوي يدل على مضمون عادي يومي، وأن المضمون العادي، الذي يسمى عادة بضموننا لغرياً، يبقى المضمون الاصطلاحي ويكون له كالمدخل.

وإذا كان بحثنا إنما يتناول الجملة والعبارة ككلتيها، فإن ما نراه للعبارة من الأهمية الناجحة عن كونها، بتعبير بلومنفيلد^(١٩)، الوحدة التحورية الكبرى، يجعلنا نفرد لها، في ختام البحث، رقة قصيرة تعمق بها فهمنا لهذا الجانب منها.

العبارة، إذن، هي الوحدة التحورية الكبرى^(٢٠):

عند منتهاها ينتهي التركيب، ويتوقف التأرجح التحوري،

وفي كيانها تتكمّن أسرار اللغة وتحتشد قوانين اللسان التي لا يقيض التحاة إلا على خطوط رئيسية عامة من صورها المعقّدة باللغة الغني، خطوطٌ تبلغُ، من سلم المركبات التحورية الصاعد، مستوى الجملة وتقف عندَها، أي أنها تقف على أبواب العبارة لا تلتجُّ حرمها، فتبقى العبارة خارج عملية الوصف التحوري^{*}، أي خارج عملية التعقيد، ويبقى للمحاسن وخدمة، يقدّرته التقادمة، أن يكتبه عالمها المترامي.

نعم، العبارة تقع في نطاق المحاسن، أو في نطاق السليقة بكلمة أبسط. أما العقل، الذي يعتمد لغة القياس المنطقي – وهي لغة محددة ومحدودة – فإنه، بطبيعته، لا يستطيع أن يستوعب أشكال العبارة ببحرها المتّسّع. إنه يقف على شاطئها وقوفه أمام الألغاز. وصحّيغ أنَّ العبارة تنطلق من نواةٍ نحوية محددة تقوم على عملية الإسناد البسيط التي تدرك وتُقْدِم، إلا أن النواة، التي تُفْتَنُ بأشكالٍ نحوية يفرزها نموُّ المعنى المتحرك في دائرة تندّس أمامه، لا تثبت أن تحول إلى كيانٍ لفظي معقدٍ، بالغ الغنى، متّسّعٍ، يُفْلِتُ من كل وصفٍ، أي من كل تعقيد.

وما الذي تفهمه عندما نقول عن العبارة إنها «الوحدة التحورية الكبرى»؟

شيئين مهمين من المفهود إياضاحهما:

(١٩) ليونارد بلومنفيلد الذي أسمى كي معروف (١٨٨٧ - ١٩٤٩).

(٢٠) راجع: لايبونز *Wörter*، الألسنة العامة، مدخل إلى الألسنة النظرية، لاروس، باريس، ١٩٧٠، ص ١٣٣.

الأول:

أن كل عبارة من عبارات النص، أو من عبارات الكلام، فهي مستقلة عما قبلها، مستقلة عما بعدها، استقلالاً نحوياً - شكلاً يظهره لنا أننا نستطيع أن نُخرِّي، بين عبارات الكلام، تبديلاً في ترتيب ورودها، دون أن يتَّسَّع التبديل، من «شكل»، النص، أو من «شكل»، الكلام - مما نفترضه شكلاً للنص^(٢١)، أو الكلام^(٢٢) - ما يتَّسَّع، من **شكل العبارة** أو **شكل الجملة**، أو من **شكل الكلمة**، أي^(٢٣) تبديل نُخرِّيه في ترتيب ورود العناصر المكونة لكل مركب من هذه المركبات.

الثاني:

أن الوحدات التحوية الأخرى، أي الوحدات التي هي دون العبارة في سلم المركبات التحوية الصاعد^(٢٤)، هي وحدات متراقبة نحوياً فيها بينها ترابط لا كيان لها إلا به.

(٢١) نحن نرى أن النص، أو الكلام، بما هو مجموعة من العبارات المتتابعة في الزمان، للتراقبة ترابطاً دلائلاً، ليس له شكل نحوبي بل شكل العبارة، في السلم الصاعد للمركبات التحوية^{*}. (ومن هنا انعدام القواعد الشكلية العامة، وإنعدام القيد الذي تهيمن على عملية ورود العبارات وتتابعها في الكلام. القيد الوحيد، القيد الجوهري، هو قيد دلائي).

وإذا كان الترابط بين عناصر العبارة، أو بين عناصر الجملة، أو... بين عناصر الكلمة، هو ترابط نحوياً وترابطاً دلائياً في آن، فإن الترابط، بين عناصر النص، أي بين عباراته، إنما هو، في جوهره، ترابط دلائي: يعني أن النص، في تصورنا، هو مجموعة من العبارات المتتابعة في الزمان، الدائرة في ذلك دلائلي واحد. أما ما نقع عليه، أحياناً، بين العبارات من روابط لفظية - نحوية، كحرفيّ وعطف العطف مثلاً، فإنه من الصيغة المذهبية - الشكلية، ومن الاصطدام، بحيث لا يكون منصراً حسوساً من عناصر الشكل.

أما الترابط، بين العبارات المتتابعة في النص، بأشكال الفهارس، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وما تفرزه هذه المبنيات، في بنية العبارة، في عناصر غير أساسية من هذه البنية، من صور نحوية تنجم عن التطابق بين هذه المبنيات وعناصر العبارة التي ترتبط بها، فإنه، أي الترابط المذكور، يبقى، بجوهره، ترابطاً دلائياً، لأن مظهره الشكلي المبين لا يتجاوز مستوى حامشياً سطحياً في المستوى الشكلي للعبارة.

(٢٢) كلمة، أي: فاعل للفعل الذي تضمنه لفظة دينه.

(٢٣) الصالحة من الكلمة، إلى المركبة غير الأكاديمية، إلى الجملة، أفتح ...

٣ الكلام

لكلمة «كلام» معنیان اصطلاحیان اثنان أشرنا إليها في كلامنا على معنی «الجملة والعبارة»:

- المعنی الأول هو معنی تقليدي معروف («كلامنا لفظ مُقیدٌ كاستقام»)،
- والمعنی الثاني هو معنی السَّيِّدِ مُحدث.

وعلی الرغم من أن تغییر معنی من معنی يمكن أن يكون بالسياق الذي ترد الكلمة فيه، فإننا، بافرادنا لهذا القسم من البحث لمصطلح «الكلام»، أردنا أن نبين أن استعمالنا له، في بحث أبحاثنا اللغوية، إنما يدور في ذلك المعنی الثاني، المعنی المُحدث المذكور.

على أنَّ من المفيد أنْ تشير، في هذا المجال، إلى أنَّ كلمة «كلام»، بمعناها الاصطلاحی الثاني، رُبما اتسعتْ فصارَ لها مضمونٌ عامٌ واسعٌ يجاوزُ بعمومیته، المعینین المذکورین ويتضمنُها: إنه المعنی الحاصل باطلاق الكلمة على كل تعبیر لغوي صادر عن منشئ، واحد أو أكثر، في موضوع واحد أو أكثر (كلام المعلم، كلام التلاميذ، كلام الصحیفة، كلام الناس، كلام الأطفال، كلام المجانين، كلام الشعراء،...) سواءً أكان التعبير شفهیاً أم كتابیاً، سواءً أكان مستواه عادیاً في حدود سلامته المنطقية على قواعد النحو، أم فیتاً في نطاق الأسلوب.

الكلام، بالمعنى الاصطلاحی الثاني المحدث الذي يعنيها، هو المظهر التطبيقي المحسوس للسان، هو المفهون الذي يجتهدُ الأفراد في عملية تعبيرهم اليومي المشتمل

الخايف بالفروق الفردية التي تبلغ، على صعيد الأدب، ذروتها العليا في ما يسمى الأسلوب، أو، بكلمة أدق، في ما فرضنا شخصياً على تسميتها الجانب اللغوي من الأسلوب^(٢٤)، وهو الجانب الذي يعني اللغوي كما يعني الناقد الأدبي. أما على صعيد التعبير العادي، فإن الفروق الفردية اللغوية ليست متوازنة مظهراً من مظاهر الفروق الفردية العامة، ولا تعني سوى اللغوي الذي يرى فيها ما ذكرناه من مظهر تطبيقي محسوس للسان وقواعد العامة.

ثم نشير إلى أن كلمة «كلام» العربية، بمعناها الاصطلاحي هذا، تقابل كلمة PAROLE الفرنسية التي تستعمل بمعنى اصطلاحي مماثل، كما تقابل، في مصطلح النحو التحويلي التوليدي، نحو تشومنسكي، كلمة PERFORMANCE التي، بمعناها اللغوي العادي^(٢٥)، ترمز إلى الإبداع في عملية استخدام قواعد اللسان (أي في عملية توليد الكلام)، سواء أكان الإبداع يعني توليد عبارات جديدة (أو فهم عبارات جديدة) انطلاقاً من قواعد نحوية قديمة مكتورة، أم كان يعني أن يتحدث الفرد المتكلم، أو أفراد الجماعة اللغوية، من التنوع في عبارات الكلام، ما يزدي، إذا بلغ حدّاً من التراكم، إلى تغيير بنية النظام النحوي، أي قواعده^(٢٦).

(٢٤) نحن نرى أن للأسلوب، فضلاً عن جانبه اللغوفي، ضرورة بلسانه، بحيث ارتبطا بعذرٍ معه انتقاله (انتقال الجانب اللغوفي) إلى لسان آخر من طريق الترجمة، نرى أن له جانباً دلائلاً يبروي عليه مثل هذا الانتقال، مما لا يعني، هنا، الدخول في تفاصيله.

(٢٥) أكثر معاني هذه الكلمة تابعاً مع المعنى الاصطلاحي الذي نحن بصدده، معنى «التجعلية في المثابق»، أي الإبداع فيه بين المثابقين. وغير خاف أنَّ التجعلية وفي استخدام قواعد اللسان تبلغ ذروتها العليا في التعبير الغني الذي يبلغ المعبر فيه مرتبة الأسلوب التي نذكرها، شخصياً، بعدها ثالثاً لما يسميه تشومنسكي إيماناً باللغة (البعدان الآخرين هما، في ما فهمناه،

١ - أنك، بعنابر لغوية محدودة - أصوات اللسان، مفرداته، قواعده - تستطيع أن تفهم من العبارات التي تسمعها وأن تنشئ من العبارات، ما لم يسبق لك سعاده.

٢ - أن التغيرات التي يهدّها أبناء اللسان في صور نظام المجرى للسانهم من شأنها، إذا تراكمت، أن تحدث تغييراً في هذا النظام).

(٢٦) الحاشية السابقة.

وإذا كان اللسان، في نمادجه ومتونه الدائرة في فلك الحياة اليومية، كياناً شفهياً صافياً، يكتسب عن طريق الأذن وحدها، وكانت عملية إنشاء الكلام المجرد للسان، والدائر، هو الآخر، في فلك الحياة المذكورة، هي عملية عفوية آلية سلسلية ينتفي معها كل تفكير، فإن الكلام الذي ينشئه الإنسان في شؤون حياته العلمية، والفكرية، والأدبية، إنما يصبح كلاماً مختلفاً، يعني أنه، وإن كان، بمحضه، يصدر عن السلسلة، فإنَّ عنصراً آخر يشارك السلسلة في إنشائه، ويطبعه بطابعه، دون أن يخرج، في مشاركته إليها، عن الدوران في فلكها. وهذا العنصر هو: إعداد العبارة قبل نشرها في الناس، وإعمال الفكر والرواية في صياغتها، واستناد ذلك كله إلى عملية التدوين، أو انطلاقه من هذه العملية التي تسع للمنشىء أن يعود إلى ما أنشأ: ليعيد النظر في ما أنشأ، ويعود، إذا أراد، لها أنشأ، مرةً ومرةً ومرات، كما قال الشاعر - الناقد الفرنسي المشهور نيقولا بوالو في القرن السابع عشر^(٢٧).

وهذا كله يجعل الكلام، حتى مجانية اللغو - اللغطي - الشكلي، يصدر عن العقل ومنطقه، فضلاً عن صدوره عن السلسلة، وإن كان دور العقل ومنطقه في صياغة الكلام، دوراً ثانوياً، وثانويَاً جداً إذا قيس بدور السلسلة الذي هو الدور الأساسي.

نضيف إلى ذلك عنصراً ثانياً يجعل دور العقل ومنطقه - وهو دور ثانوي كما قلنا - أكثر حضوراً في عملية إنشاء الكلام:

أن يكون اللسان الذي يغينا لساناً أجنبياً، ويكون تحصيله، أو تعلمه، قد تم بطريقة معايرة للطرق الطبيعية التي يكتسب بها اللسان - الأم.

(٢٧) قال هذا الشاعر ما ترجمته:
وليمر على التردد عشرين مرة سبائك.
وليتمدد من يدرك سهل لا يعرف التوقف
وليكن ما تمحوه منه أصواتاً ما تُنفيه إليه.

أو أن يكون، بين لغة التخاطب الشفهي ولغة الكتابة المتميّتين إلى لسانٍ واحدٍ، من الفرق ما يُوهم غير المدقق أننا، إزاء لغة الكتابة، أمام لسانٍ أجنبيٍّ، وأن يكون، في عملية تحصيل هذه اللغة من الخلل البيداغوجيٍّ، ما يقوّي هذا التوهم، كذا هو الشأن في لغتنا المكتوبة، المعروفة باللغة الفصحى^(٢٨).

في كل هذه الحالات، أو في بعضها، يتبيّن دور العقل ومنظقه، وفي عملية صياغة الكلام، أكثر حضوراً، وبحضور، بالمقدار نفسه، دور السليقة، وتصبح صياغة بعض البني التركيبية، وصياغة بعض المفردات أو اختيارها، خاضعة لقوانين المنطق المخالفة، أحياناً، لقوانين اللغة واللسان. وهذا، في ما نرى، واقع يُحابي السوية اللغوية المتوجهة إلى الصفاء، والتي يتعلّم إليها كل لسان.

* * *

(٢٨) ليس ما نراه، في متن هذه الماحية، من تلب للتراب الأسطلاحي بين «اللغة»، و«اللسان»، سوى مظهر من مظاهر ما نسميه «دينامية الخلل الدلالي»، الذي يندفع به الإهانة للتشكي للكلمة في اتجاه الحاجة المتولدة، بلا توقف، عن حرارة الحياة اليومية النابضة.

وفي هذا السياق نشير إلى أن تلب الغواصي الذي يُمن بهم يصدّر من شأنه أن يفسر لنا كلامنا، في نطاق اللسان العربي الواحد، عن لغة للتخاطب اليرمي، ولغة للكتابة، أو، بالتعبير المتداول، عن لغة عاصية ولغة تصميم، عن لغة للعلم ولغة للأدب، الخ... درّزن أن «هرجتنا» تعدد اللغات هذا بين نطاق لساننا العربي الواحد.

٤ اللُّغَةُ وَاللِّسَانُ

إذا كانت الكلمتا «اللغة»، و«اللسان»، في قاموس الحياة اليومية، أو في قاموس الكتابة العادية، هما من الكلمات المترادفة التي يحمل بعضها محلًّا بعض، ويُنفي بعضها عن بعض، فإنهما، في القاموس العلمي، قاموس الألسنة الحديثة، مصطلحان فنيان مختلفان متبايان، كلٌ منها يُعتبر عن مضمونٍ يخصه، وينفرد بحقلٍ دلاليٍ يستقل به، وإن كان بينهما من التداخل ما لا يخفى على أولي العلم.

أما دافعنا إلى تحصيص هذا القسم من عزفينا هذين المصطلحين، فأمورٌ أبرزها ثلاثة:

- إظهار الفرق بينها.

- ما لاحظناه من قلة مراعاة هذا الفرق حتى في الأبحاث العلمية المتخصصة، وما يشجع عن عدم المراعاة من استخدام لكلمة «اللغة»، بالمعنىين الاصطلاحيين المذكورين. ولعل قلة المراعاة هذه، التي يظهرها أولو الاختصاص، هي نوع من العُرف المترسخ، الجاري باللغويين منذ عصورنا الخواли، عصر سيبويه وعصور من تلاه، حتى عصرنا هذا، الذين لم تكن مسألة تمييز اللغة من اللسان مطروحة لهم بمثل الوعي الذي طرحت به في نطاق الألسنة الحديثة ومعطياتها المتدالة.

- إشارة إلى أننا، في يحمل أيديانا الشخصية، واعينا هذا الفرق، وسنظل نراعيه ما وسعتنا مراعاته، وأننا لن نهمل هذه المراعاة إلا حيث يفرض علينا إهانها سياقًا لا

ملك أمامه إلا الإذعان.

علَّ أتنا لن نتناول مصطلحينا بالتعريف الجامع المانع؛ لأنَّ تعريف أحدهما هو
شديد التداخل مع تعريف الآخر. بل سنصرف إليها من خلال العلاقات المترابطة
بينها، والفارق الذي تغزِّل أحدهما عن الآخر.

اللغة كيانٌ نظريٌّ مُجردٌ، يتحقق أو يتعلَّم في الألسنة المعروفة، المتغيرة في بقاع
الدنيا، وبها.

اللغة واحدة واللسان كثير. اللغة لغة واحدة واللسان ألسنة متعددة، بل باللغة
المتعدد. اللغة نوع من القاسم المشترك يجتمع فيها من الألسنة المتعددة، من ألسنتها
المتعددة، خصائص عامة تشتراك بها الألسنة. للغة تحكمون من هذه الخصائص.

ولأنَّ خصائص الألسنة المختلفة تجتمع في اللغة، فقد أطلق على علم اللغة الحديث،
في اللسان العربي، ما يقين هذا المعنى: لقد صنَّفَ هذا العلم بـ«الآلسنة». ولا
نبعد أن يكون الذي أطلق هذه التسمية^(٢٩) قد انطلق من المعنى الذي تدور هذه
الفكرة في سياقه.

اللغة هي لغة البشر جميعاً. والألسنة موزعة على الشعوب أو الأمم، أو المجموعات
اللغوية المتعددة.

ولأنَّ اللغة هي لغة البشر جميعاً، فقد جازت نسبتها إلى الجنس البشري، أو إلى
البشر، وجاز أن يقال: اللغة البشرية.

أما الألسنة، فكل لسان إنما ينتمي إلى شعب من الشعوب، أو أمّة من الأمم.
تقول: اللسان العربي، اللسان الفرنسي، اللسان الروسي، الخ...

وإذا كانت اللغة كياناً ذهنياً نظرياً عاماً تجتمع فيه، كما قلنا، خصائص الألسنة
المختلفة، فإنَّ كل لسان من ألسنتها هو كيانٌ خاصٌ ينفرد عن سواه بنظامه النحوي

(٢٩) ترجمة الكلمة «linguistique».

المتكامل، ونظامه الدلالي، أي قاموسه، ويتجسد في / بكلام الأفراد اليومي
المشخص.

هذه هي الصورة العامة التي نراها للغة واللسان من خلال العلاقات القائمة بينها
والفروق التي بها يتباينان.

إلا أن ثمة نقاطاً تصبح الصورة بها أدنى إلى الاكتئال أبرزها أربع:

• الأولى:

أن ما بيننا من تراث اصطلاحي بين اللغة واللسان ليس حقيقة مكونة جامدة
تشمل حقل دلاليًا ذا حدود ثابتة، وأن تحرك هذا الحقل، أي ديناميته، قد أدت،
في القاموس العربي على الأقل، إلى قلب واضح لهذا التراث، فصار اللسان فيه هو
العام، أو الكلم، وصارت اللغة فيه هي الخاص، أي الجزء. وصار اللسان العربي من
اللغات بقدر ما تُبَيِّنُ فيه من المستويات. صار له لغة لـالخاطب اليومي، أو لغة
محكية (وهي المعروفة باللغة العامة)، ولغة لـالكتابة (وهي المعروفة باللغة الفصحى).
ولغة الكتابة تتدنى، في سُلْطَنٍ صاعد متدرج، من لغة الإعلان التجاري، إلى لغة
المعاملات الإدارية، إلى اللغة الإعلامية، إلى لغة البحث الرياضي، إلى لغة البحث
العلمي، إلى لغة البحث الفكري، إلى لغة الأثر الأدبي التي تمثل درجة السلم المثلث،
وهي تُبَيِّنُ فيها لغة للنشر، ولغة للشعر، ولغة ثالثة تُبَيِّنُها طه حسين من هاتين اللتين،
ونعني لغة القرآن.

• الثانية:

أن الفروق الفردية، التي تظهر في اللسان مثلما تظهر في نشاطات الإنسان
الأخرى، من شأنها أن تولد، بـكلام الأفراد، من الصور المتعددة المختلفة ما حل
اللغويين على القول: إن لكل إنسان لغته في نطاق لسانه.

ولا يخفى أن تُبَيِّنَنا لـللغة من اللسان، بالمدلول الاصطلاحي الذي بيناه لكل

منها، إنما يحمل الكلام عن هذه المسألة، من الناحية اللغوية على الأقل، أقرب تناولاًً من إطلاق كلمة واحدة، كلمة «لغة»، على المدلولين المذكورين كلبها، كما هو الشائع الآن. وهذا يعني أن قولنا، مثلاً، «إن لكل إنسان لغته في نطاق لسانه»، أسهل وأكثر وضوحاً من قوله «إن لكل إنسان لغته في نطاق لغته».

هل نحن في حاجة، بعد، إلى أن نختلط كلامنا عن هذه المسألة بالقول: إن لغة الفرد، المندرجة في نطاق اللسان، إنما تبلغ ذروة علية تتصف بالجليل إذا كان الفرد أدبياً يرتفع اللفظ، في أدبه، إلى مرتبة المضمون؛ وتصبح فردية اللفظ عنده فرادية هي جوهر الأسلوب، نقصد جوهر ما نعرض على تسميتنا «الجانب اللغوي من الأسلوب»؟^(٣٠)

• الثالثة:

أن القدامي من لغويي العرب أو لحاظهم قد أطلقوا كلمة «لغة» على مدلول اصطلاحي يرتبط بالمدلول الوارد في الأولى من نقاطنا، إلا أنه لا يطابقه، وهذا المدلول يتبيّن لنا، مثلاً، من النصوص التالية:

- قال ابن يعيش (ت ٤٤٦ هـ) في «شرح المفصل»^(٣١): «... فإن المراد بذلك أنه يكون في حال الرفع والتسبب والخبر بالألف، فتقول: جاءني ذان، ورأيت ذان، ومررت بذان... وليس ذلك مما يختص بأسماء الإشارة، بل يكون في جميع الأسماء المثنية نحو قوله: جاءني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان... وهي لغة لبني الحارث وبطون من زبيعة».

(٣٠) لأن للأسلوب جانب آخر هو جانبه المضمني الذي يظهر، مثلاً، في صور الأدبية للنص، وفي نظام تألف الأفكار والمعاني أو التأليف بينها، كما يظهر في الرمز والأسطورة وما ينطويه كل منها من دور في التعبير، الخ...

(٣١) المبر، الثالث، بحث أسماء الإشارة، ص ١٢٨ من طبعة تأسيسية لدية لا يحمل أي تاريخ.

- وقال ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، في كتابه المسمى «شرح ابن عقيل»، (أي شرحه لألفية ابن مالك)، في سياق كلامه عن الأسماء الستة (المشهورة بالأسماء الخمسة)؛ «... فترفع بالعواو، وتنصب بالألف، وتحجر بالباء... وهذه هي اللغة المشهورة...، وسيذكر المصنف، لغيرتين آخرين».

ثم أورد قول الشاعر:

بأيْه أَقْدَمْتِي عَدِيْهِ فِي الْكَرَمِ... وَمَنْ يُشَاهِدْ أَبَةَ فَمَا ظَلَمْ،
وقال: « وهذه اللغة نادرة في «أب»، و«ثانية»...» (يقصد «أخ»، و«حم»).
وإذا أردنا، نحن، محاكاة القدماء في استعمال الكلمة «لغة»، بالمعنى الذي نحن نحن الآن في صدده (لتشير بهذه المحاكاة إلى أن هذا المعنى هو معنى آني فيه حداثة متعددة)، قلنا، مثلاً:

«إن استعمال «رئيس» بدلاً من «رئيس»، صيغة بالمعنى المعروف للكلمتين، هو لغة نادرة تتصدر عن موقف لغوي متزمع».

فربما، من الناذج المتقدمة، أنت، فضلاً عن المعاني التي أوردناها لكلمة «لغة»، نجد أنفسنا أمام معنى آخر نفهمه من الكلمة كلها أطلقناها في سياق مشابه لسياق الناذج المذكورة. وهذا المعنى يقارب معنى «اللهجة»، التي تفيد الانفراد عن الجماعة اللغوية. والذي يلفت، في المسألة، أنّ لمعنى الانفراد هذا أصنافاً يقع عليه في بعض مشتقات جذر «لغ»، أو «لغ»، جاء في «اللسان»: «لغافلأن» عن الصواب وعن الطريق إذا مال عنه. قاله ابن الأعرابي. قال: «واللغة» (بالمعنى الثالث الذي نحن نحن الآن في صدده) أخذت من هذا، لأن هؤلاء تكلموا بكلام هالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين».

• الرابعة:

أن الكلمة «لغة»، بأيّ من المعاني التي أوردناها، لم ترد في القرآن الكريم.

وخدّها كلمة «لسان» هي التي وردت فيه، وكان ورودها بالمعنى الاصطلاحي الذي
بياناً:

- **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُلْسَانَ قَوْمَهُ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾** (الآية ٤ من سورة إبراهيم).
- **﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾** (الآية ١٠٤ من سورة النحل).
- **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ أَنْتُمْ كُمْ وَأَنْوَاهُكُمْ﴾** (الآية ٤٢ من سورة الروم).

أما استعمال الكلمة «لغة» في موضع الكلمة «لسان»، ويعندها الاصطلاحي المذكور، فقد ظهر مع ظهور علوم اللسان العربي، أو مع ظهور علم النحو، بكلمة أكثر تحديداً. إننا نرجع، بما يقرب من اليقين، أنّ أول ظهور للكلمة، بالمعنى المبين، كان مع الرائد الأكبر للنحو العربي، سيبويه (٧٩٦ - ٧٦٥ م) في كتابه المشهور. في الفصل الأول من هذا الكتاب نقرأ: «هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكلمٌ من العربية». وفي الفصل الثاني نقرأ: «هكذا بابٌ متجاريٌ أواخر الكلمٌ من العربية». وبين أنه، بقوله «من العربية»، إنما يُضمرُ الكلمة «لغة»، أي أنه حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه. والكلام، كما نلاحظ، لا يستقيم إلا بهذا التقدير.

وظهرت الكلمة، بعد ذلك... ظهوراً واضحاً صريحاً مكتنفاً في مصنفات علم آخر من أعلام علوم اللسان العربي، وعني عثمان بن جني المتوفى سنة ١٠٠٢ م. وظهورها في مصنفات أبي الفتح هو من الكثرة بحيث لا يتطلب استشهاداً عليها.

ثم انتشرت الكلمة انتشارها الواسع، وما تزال.

ونحاول التعليل: فنرجع أن استعمال «لغة»، في موضع «اللسان»، ويعنى اللسان، كان، في منشئه، مرتبطاً بما بياناه في القسم السابق لكلمة «لغة»، من معنى، ونراجعاً عن أن اللغويين قد وسعوا هذا المعنى وجعلوه يتناول، من اللسان العربي، لغة الأدب التي كانت، في تصورهم للمسألة، تشمل لغة القرآن ولغة الشعر اللتين كان يجمعهما

تَمْيِيزُهَا مِنْ لُغَةِ التَّخَاطُبِ الْيَوْمِيِّ

وبما أن عناية اللغويين كانت منصرفة إلى لغة الأدب، محصورة فيها بدافع الحفاظ على لغة القرآن التي كانت ركناً بارزاً من أركان الدولة الإسلامية، فإن «اللغة العربية»، كانت، إذا أطلقت إنما تدل على لغة الأدب دون لغة التخاطب اليومي.

ولما تكررت الكلمة، وشحخت بمعناها الذي نعرفه لها اليوم، لم تسقط الكلمة الأخرى من الاستعمال، وتعني كلمة «اللسان»، وإن كان لا يستعمل الكلمة، بمعناها الاصطلاحي الذي يبناء في أول أقسام البحث، إلاختص بمحرض على تمييز المصطلحات بعضها من بعض، يعنيها كان التمييز ممكناً.



المعنى الثالث هو إطلاق الكلمة، بمفهوم النحو التقليدي، على شئون المعرف الذي يدرس الكلمة

المفهوم الثالث هو إطلاق الكلمة على مفهوم المعرف

٥ مكتبيان اصطلاحيان إثنان بلكلمة «قواعد النحو»

المعنى الرابع هو إطلاق الكلمة على مفهوم المعرف

المعنى الخامس هو إطلاق الكلمة على مفهوم المعرف

المركب الإضافي • المثلث أماننا، **قواعد النحو** كائنون، كما ترى، من كلمتين:

- كلمة «قواعد»،

- كلمة «النحو».

وكل كلمة من هاتين الكلمتين، فلتها، مفردة - أي منقطعة عن الإضافة - أو منضمة إلى صاحبها، لها معنيان اصطلاحيان إثنان، يتباينان أو يتقابلان، وفقاً للسياق الذي يرددان فيه.

وفي هذا القسم من بحثنا، نحاول أن نتناول هذه المسألة من خلال تناولنا لكلمة «النحو» التي تعتبر هي الكلمة - النواة في المركب الإضافي الذي نحن بصدده (هي تعتبر كذلك ولو استخدمنا مركبة وصفياً بدل المركب الإضافي، فقلنا: «قواعد النحوية»، بدل «قواعد النحو»).

«كلمة «نحو» معانٍ اصطلاحية ثلاثة. تقبّل منها، أمام اثنين نترك بحثنا عليهما، مكتفين، من الكلام على الثالث، بإشارة هامشية تناسب مع مكانته في الأبحاث الأكاديمية العامة التي نستعرض هذه المصطلحات من أجلها^(٢٢)».

(٢٢) المعنى الثالث هو إطلاق الكلمة، بمفهوم النحو التقليدي، على شئون المعرف الذي يدرس الكلمة المفردة التي لا يضمها كلام. أو إطلاقها على مقابلة (مقابل «الصرف») الذي يدرس الكلمة

* المعنى الأول:

إن نحو لسان من الألسنة هو نظام^(٢٣) من القوانين التي تخضع لها ذلك اللسان بمستوياته التركيبية المختلفة؛

من مستوى تمازج الوحدات الصوتية اللغوية، أو تمازج الفونيمات^(٢٤)، الذي يولد ما يسمى بالمورفيمات، أو المونيمات، أو الكلمات^(٢٥)، أو اللفظات^(٢٦).

إلى مستوى ما سميـناه، شخصياً، المركبات الاسمية غير الإسـادية،

إلى مستوى المركبات الإسـادية البـسيطة^{*}، أو الجمل^{*}،

إلى مستوى المركبات الإسـادية المركبة^{*}، أو العبارات^{*} التي تبلغ «اللـعـبة» النحوية معها مداها الأقصى، كما رأينا.

وهذه القوانين إنما تنهـمـنـ عـلـيـ اللـسانـ، وتحـركـ جـزـيـاتـهـ الـبـوـمـيـةـ الطـافـيـةـ عـلـ سـطـحـ الكلـامـ المـشـخـصـ، سـوـاـ أـتـيـعـ لـأـبـنـاهـ اـكـتـنـاهـاـ وـإـدـارـكـاهـ، أـمـ ظـلـتـ خـائـيـةـ عـلـيـهـمـ، تمامـاـ كـمـاـ هوـ الشـأنـ فـيـ قـوـانـينـ الـطـبـيـعـةـ غـيرـ الـلـغـوـيـةـ، الـطـبـيـعـةـ الـخـارـجـيـةـ الـمـمـتدـةـ حـولـنـاـ فـيـ ماـ نـسـمـيـهـ، فـلـسـفـيـاـ، الـعـالـمـ الـخـارـجـيـ، أـوـ طـبـيـعـةـ النـفـسـ الـبـشـرـيـةـ؛ إـنـ حـرـكـةـ الـظـواـهرـ الـقـيـاسـيـةـ

*) المركبة، أي الدالة في تركيب الكلام. والمعروف أن كلمة «نحو»، بالمعنى الثالث هذا، إنما تقابل الكلمة *Système* في المصطلح الفرنسي.

(٢٣) تفضل الكلمة «نظام»، ترجمة الكلمة *Système* الفرنسية، على الكلمة «تنظم»، أو الكلمة «منظومة»، اللتين يستعملها بعض الباحثين.

(٢٤) فونم هو تعرـيف *Phonème*. وقد أثـرـناـ تـعـرـيفـ الـكـلـمـةـ عـلـ تـرـجـعـهاـ.

(٢٥) «مـورـفـيمـ» هو تـعـرـيفـ *Morphème*، وـ«ـمـوـرـفـيـمـ» هو تـعـرـيفـ *Morphème*. ولا يـفـسـرـ عـلـ أـرـيـلـ الاـخـتـاصـ أنـ الـكـلـمـتـيـنـ تـقـدـمـ قـيـاسـاـ يـنـتـهـيـ (عـنـدـمـاـ تـنـدـلـ كـلـ مـنـهـاـ عـلـ أـسـفـرـ وـحدـةـ نـحـوـيـةـ دـالـةـ). وـقدـ تـرـادـقـانـ لـفـقـةـ، كـلـمـةـ، هـنـدـمـاـ يـدـلـ الـمـوـرـفـيـمـ وـالـمـوـنـيـمـ وـالـكـلـمـةـ عـلـ أـسـفـرـ وـحدـةـ نـحـوـيـةـ دـالـةـ. حقـاـ إذا دـخـلـنـاـ فـيـ التـنـاسـيلـ الـفـيـيـةـ الـعـائـدـةـ لـكـلـ مـنـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـذـلـكـ الـقـيـاسـيـةـ أـنـقـنـاـ أـمـ مـصـطـلـحـاتـ ثـلـاثـةـ يـغـرـقـ بـعـضـهاـ عـنـ بـعـضـ بـعـضـ ماـ يـمـاـزـزـ تـفـصـيلـهـ حدـودـ هـذـهـ الـخـاشـيـةـ.

(٢٦) «ـالـلـفـظـاتـ» جـمـعـ «ـلـفـظـةـ». «ـالـلـفـظـةـ»، يـفـهـمـنـاـ الـفـصـصـ، هـاـ مـدـلـولـ اـصـطـلاـحـيـ خـاصـ يـبـرـزـهـ عـنـ «ـالـكـلـمـةـ»، وـ«ـالـمـوـرـفـيـمـ»، وـ«ـالـمـوـنـيـمـ». (راجع المـاـخـاشـيـةـ ١٠ـ مـنـ الـمـقـالـةـ الـأـولـىـ).

لا تعرف السكون إنما تجري وفقاً لقوانين طبيعية صارمة -سواء أدركتناها أم بقينا لها جاهلين.

ويطلقُ الفرنسيون على النحو، بمعنىه المبين بهذا الاسم «النحو الضمني» (*la grammaire implicite*) ، ليُميّزوه عن اسميه تُخْفَى («النحو التجريدي»)، أو («النحو المجرد»)، أو («النحو النظري»)، أو («النحو النظري - التجريدي»)، أو («النحو التجريدي - النظري»)، الذي يُقابل عنهما *la grammaire explicite* دون أن يكون ترجمة له، كما نرى؛ لأنَّ آليَّةَ من الكلمات التي يترجمون بها كلمة *Explicite* لا تلائِم المفهوم الاصطلاحي لما سميَّناه النحو التجريدي - النظري ...

* المعنى الثاني:

النحو، بمعناه الثاني هذا، هو مجموعة من الصيغ اللингوية الواسعة^(٢٧) للقوانين النحوية المهيمنة على اللسان بمستوياته التركيبية التي يبيّنها، وصفة كلها مجرداً يستخرجها النحاة من جزئيات اللسان، أي من شواهد الكلامية^(٢٨) المحسوسة، استخراجاً يُشبه، من حيث الشكل، استخراج التواميس الطبيعية من ظواهر الجاذبية التي يدرسها العلماء في الطبيعة الواسعة، أو في المختبر من خلال التجارب التي يجريونها.

وإذا كانت القوانين النحوية واحدة في نطاق التنوُّع الذي يجسده كلام الأفراد، ثابتة في نطاق التطور العام الذي يُسْتَرِي بطيئاً في أوصال الألسنة، فإنَّ الصيغة اللингوية الواسعة لتلك القوانين يمكن، نظرياً وعملياً، أن تتعدد وتتنوع، فيكون للسان الواحد أكثرَ من وصفٍ نحوِي واحدٍ، أو أكثرَ من نحوٍ مجرداً واحداً.

(٢٧) كان من الممكن أن يُسمى «النحو المجرد» هذه، «النحو الوصفي» (على غرار تسمية مل حسين للنقد الأدبي، أو للدراسة الأدبية، «الأدب الوصفي»). على ما في هذه النسبة من ... التباس بالأدب الوصفي الذي هو أدب الوصف) إلا أن انشغال هذا المركب («النحو الوصفي») يعني آخر يُقابل معنى «النحو المعياري»، صرَّفنا عن اهتماد هذه النسبة.

(٢٨) نسبة إلى «الكلام»، بمعناه الاصطلاحي الذي يبيّن.

نقول: «نظرياً»، ويعني بقولنا أنَّ لغافرة اللغوسة الواحدة، لو أطلقنا النحوى الواحد، يمكن أن يكون له أكثر من تحليل نحوى واحد، أو أكثر من وصف واحد، وأنَّ تعدد الوصف وتتنوعه إنما يعود إلى تعدد ما يصدر عنه النحاة من مفاهيم مبدئية عامة تتناول اللغة واللسان، كما تتناول عملية التحليل النحوى نفسها التي يقومون بها، أي رؤيتهم النظرية لعملية التحليل.

ونقول: «عملياً»، ونعني بقولنا هذا أن تعدد الوصف النحوي وتتواءم، للسان الواحد، هو أمر حاصل، فعلاً، في التطبيق العملي. ثم توضح هذا الأمر بالتمثيل عليه.

وطبيعي أن يتناول تمثيلنا للسان العربي الذي إنما أنشأه هذا البحث من أجله، وأن يكون أول وصف نحوي نورده لهذا اللسان هو النحو العربي *المكلاسيكي* المأثور، الذي بدأ تكتوّنه، في القرن الأول الهجري مع أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ/ 689 م)، ثم تماهٍ بلغ ذروةً عاليةً مع الخطيب بن أحمد الفراهيدي (100 - 140 هـ/ 718 - 782) وشقيقه العظيم ميسوبيه (748 - 180 هـ/ 765 - 796)، واستمر في غزوه واكتبهله حتى وصلنا بصورته التي بين أيدينا. ويعكّرنا أن نقول عن هذا النحو: *بلمه النحو «الرجعي»*، الذي يعتمده العرب في مشارق ديارهم ومغاربها.

ثم نشير إلى أن للمشتريتين، اللذين درسوا لساننا، وأرادوا أن يكتبهما ويدرسوه، لم يُرضيهم غونا العربي هذا، فبادروا إلى وضع أخاء^(١) ثلاثم ذهنيتهم، وتفق مع منهجهما في البحث، فطبلموا بهما بأجنحة متعددة، أو صبغ من التحليل النحوzi، ذكر منها، على سبيل المثال، ما أورده الأَب هنري فليش اليسوعي في مصنفه المسمى **بحث في فقه اللغة العربية**^(٢)، في هذا السفر النافيس، تعالعنا صيغة

(٣٩) - أغاء - جم - غر.

(٤٠) *Henri Fleisch, traité de philologie arabe* (١٩٦١)، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، مجلدان: الأول ١٩٦١، الثاني ١٩٧٩. (ترقى الأب فليش سنة ١٩٨٥).

منَ الوصف النحوي للسان العربي معاييرٌ لتصنيفة العربية المعاصرة معاييرٌ واسعة تظهر
بوضوح لدى أبسط مقارنة تجربها بين الصيغتين بما لا يحال لأكثر من هذه الإشارة
إليه.

ولا بأس، في هذا السياق، من إشارة أخرى إلى صيغة أخرى، من الوصف النحوي، للسان العربي، ظهرت عندنا، في لبنان، في سنة ١٩٥٩، بعنوان «الأخرافية»، لواضعها يوسف السودا^(٤١)، الذي اطلق، في محاولته، من رفضه لما اعتبره شكلية للنحو العربي الكلاسيكي، ثم حاول، هو، أن يقدم صيغته المطروحة على أساس من اعتقاد المعنى دون الشكل، غالباً عن واحدة من أبرز خصائص اللسان العربي، بمستواه الكتابي المعروف بـ «اللغة الفصحى»، ومعنى الشكلية الناجمة عن إعراب هذا اللسان، وما أفضت إليه هذه الشكلية - وهي مظهر من مظاهر النحو الضمني للساننا - من شكلية للنحو المجرد تجسد ظاهرة الإعراب تجسيداً عنها.

بقي، من تتمة الكلام على معنى النحو اللذين بينا، إشاراتان ترى من المفيد إيرادهما:

الأول:

أن إطلاق كلمة «نحو» على المعنين اللذين فصلنا عائد إلى افتخار اللسان العربي إلى كلمتين تختص كل منهما بمعنى، أو إلى أن تداخل المعنين قد دفع النحاة إلى إطلاق كلمة واحدة عليهما. وجدير بالذكر أن وضعاً بمثابة نفع عليه في اللسان الفرنسي الذي تعلق فيه الكلمة Grammaire على النحو الضمني والنحو المجرد كليهما.

الثانية:

أن تميز معنى من معنى، في سياق البحث النحوي، يمكن أن يكون:

(٤١) يوسف السودا، الأخرافية، أو القواعد الجديدة في اللغة العربية، بيروت ١٩٥٩.

- + إما من طريق السياق العام للكلام،
- + وإنما ينفتح الكلمة، كلمة « نحو »، بإحدى الكلمتين المناسبتين: الكلمة « ضمني »، وكلمة « مجرّد »، أو « نظري »... إذا ذهبت طبيعة السياق إلى اعتقادها (النحو ضمني ≠ النحو المجرّد).

وطبيعي، بعد هذا الذي تقدم، أن يكون للمركب الإضافي « الذي نحن بصدده، قواعد النحو» (أو المركب الوصفي « الذي يمكن أن يجعل عمله، القواعد التحوية») معنيان اصطلاحيان اثنان يقابلان المعنين اللذين بيناهما الكلمة « النحو » نفسها:

فتارة يطلقون كلمة « قواعد النحو »، أو « القواعد التحوية »، أو « القواعد » على القراءين نفسها الكامنة في اللسان، المحركة لجزئياته الطافية على سطح الكلام، وتارة يطلقونها على الصيغة اللفظية الواصفة لتلك القراءين، مما تقع عليه عادة في مصنفات النحو.

وتحيز معنى من معنى يمكن أن يكون:

- إما بسياق الكلام،
- وإنما ينبع كلمة « قواعد النحو »، أو « القراءات التحوية »، أو « القواعد »، ينبع « الضمية » من جهة، وينبع « النظرية »، أو « المجردة »، أو « النظرية المجردة »... من جهة ثانية.

ونحن، في كل حال، نرى أن تُخصّص كلمة « قواعد »، (وما ترکب معه) للمعنى المجرد للنحو، وكلمة « قراءات »، (وما ترکب معه) تخصّصها للمعنى الضمي، فيكون هذا التخصيص أميراً آخر يضاف إلى ما تقدم.

* * *

٦ الكلمة «نحوى»

لكلمة «نحوى» معانٍ اصطلاحية متعددة يميز بعضها من بعض السياق الذي ترد فيه.

وقد اخترنا ثلاثة من هذه المعانٍ لإيضاحها في عرضنا هذا. وبيننا هذا الاختيار على أمرين:

- ورود الثلاثة في متن أهتمانا، وإن كان ثالثها أكثرها وروداً.

- أن المعنى الثاني هذا (بفتح همزة «أن») هو ما يوْلِف كثيراً في أوسع المختصين عندنا باللسان العربي، مع أنه ليس جديداً على التراث النحوي العربي، فأردنا مزيداً من إيضاحه، كما أردنا إبرازه.

• المعنى الأول:

نطلق كلمة «نحوى» في مقابل كلمة «صرافي» بمعناها المروف المرتبط بالكلمة المفردة: التي لا يضيقها كلام، أو عبارة، فيكون لها بهذه المقابلة معنى أول للكلمة (كلمة «نحوى») يرتبط بالكلمة المركبة: الدائمة في الكلام أو العبارة، والقوانين التي تخضع لها الكلمة في علاقتها بكلمات العبارة.

وهذا يعني أن كلمة «نحوى»، بالمعنى الأول هذا، إنما تتناول العبارة وقوانين تركيبها، مع توجّه النظرة العربية الموروثة (نقطة النجاة) إلى عنصر الإعراب فيها،

قبل توجّهها إلى عنصر البنى التركيبية، وإن كان الإعراب، في نظرنا، وفي ما لم يكن إعراباً تركيبياً^(٤٢)، وفي ما كان دون المستوى الفنـي - الأسلوبي للكلام، قشرة خارجية غير وظيفية، معرفة، في كثير من الحالات، للسقوط العـلـمـيـ، وكانت البنـى التركـيـبـيـةـ جـوـهـرـاـ ثـابـتـاـ فيـ كـلـ مـسـتـوـيـ مـسـتـوـيـاتـ الـكـلـامـ.

* المعنى الثاني:

تطلق الكلمة، كلمة «نحوـيـ»، في مقابل كلمة «دلـالـيـ»، بـعـنـاـهـاـ الـأـلـسـنـيـ المـحـدـثـ المـعـرـفـ، فـيـفـهـمـهـاـ، بـالـمـقـاـبـلـةـ الثـانـيـةـ هـذـهـ، بـعـنـيـ اـصـطـلـاحـيـ ثـانـ يـعـودـ إـلـىـ شـكـلـ المـادـةـ الـلـغـوـيـةـ، الشـكـلـ الصـورـيـ - الـلـفـظـيـ لـلـمـادـةـ الـلـغـوـيـةـ بـعـتـرـيـاتـهـاـ التـرـكـيـبـيـةـ الـمـخـلـفـةـ؛ـ منـ مـسـتـوـيـ الـكـلـمـةـ^(٤٣)، إـلـىـ مـسـتـوـيـ الـمـرـكـبـ غـيرـ الـإـسـنـادـيـ^{*}، إـلـىـ...ـ مـسـتـوـيـ الـعـبـارـةـ^{*}.

وبـهـذـاـ الـمـعـنـىـ، نـتـكـلـمـ عـنـ وـجـهـ نـحـوـيـ لـلـكـلـمـةـ وـوـجـهـ دـلـالـيـ، عـنـ وـجـهـ نـحـوـيـ لـلـمـرـكـبـ غـيرـ الـإـسـنـادـيـ وـوـجـهـ دـلـالـيـ، عـنـ وـجـهـ نـحـوـيـ لـلـعـبـارـةـ وـوـجـهـ دـلـالـيـ؛ـ

وـهـذـهـ أـهـلـةـ توـضـعـ مـاـ نـقـولـ بـهـ.

(٤٢) «الإعراب التركيبـيـ»، بـصـطـلـاحـناـ الشـخـصـيـ، هوـ إـعـرـابـ بـعـضـ الـمـصـبـوـتـ الـإـسـمـيـةـ الـقـيـاسـيـ الـيـسـرـيـ، إـعـرـابـ الـكـلـمـةـ فـيـهـاـ إـلـىـ جـزـءـ مـنـ هـذـاـ التـرـكـيـبـ، ولـمـ يـعـدـ مـعـهـ مـاـ تـنـسبـ لـهـ وـصـيـغـةـ مـبـداـتـاـ وـأـخـرـاتـاـ، لـاـقـتـارـانـاـ، مـشـصـبـاـ، إـلـىـ شـيـءـيـهـ الـخـرـىـ لـتـحـلـ مـعـهـ هـذـهـ الـصـيـغـةـ أـنـ تـكـونـ هيـ الـتـنـوـيـجـ الـأـبـرـزـ مـنـ خـلـاجـ الـإـعـرـابـ الـتـرـكـيـبـيـ الـذـيـ يـنـتـهـيـ لـهـ مـصـدـرـهـ.ـ وـلـاـ يـعـنـيـ أـنـ هـذـهـ الـصـيـغـةـ تـضـمـ مـاـ كـانـ مـنـ نـحـوـ، فـلـسـفـيـ، عـلـمـيـ، سـيـاسـيـ، اـقـتصـادـيـ، أـمـيـاءـ الـغـيـرـ...ـ وـمـنـ خـلـاجـ الـإـعـرـابـ الـتـرـكـيـبـيـ:ـ الـمـفـعـولـ لـأـجلـهـ، الـمـفـعـولـ الـمـطـلـقـ، الـظـرفـ الـتـصـرـفـ، الـغـ...ـ

(٤٣) عـلـىـ اـفـرـاقـ تـبـيـطـيـ مـضـمـونـهـ أـنـ، الـكـلـمـةـ بـعـدـ الـمـرـكـبـ الـلـفـظـيـ الـدـالـ الـأـدـنـيـ، يـقـيـمـ الـمـرـكـبـاتـ الـلـغـوـيـةـ الـتـيـ يـنـتـهـيـ فـيـهـ، فـيـ هـذـهـ مـوـقـعـ مـنـ الـجـعـثـ.

المثل الأول:

بين الكلمة «قاتل»، (فعلًاً ماضيًّا) وكلمة «قاتلته» (فعلًاً مضاربًا)، شيء نحوه يصلع حد التطابق، ولكنها، دلاليًا، كلامتين مختلفتين، فـ«قاتل» يدل على فعلٍ ماضٍ، بينما «قاتلته» يدل على فعلٍ مضاربٍ، وهذا يعني أنَّ دلالة الكلمتين مُختلفة، وأنَّ دلالة الكلمة المضاربة تختلف عن دلالة الكلمة الماضية.

المثل الثاني:

إذا قلنا: «الملوك العاق»، وقلنا: «الملوكُ حفضل والديه»، كان الناس يكتفون غير إسنادين بينهما تطابق دلالي ولهذه لافتة نحوية الأولى هو مركب وصفي، والثانية مركب إضافي.

المثل الثالث:

إذا أشرقت الشمس، نهض الناس من قوامهم.
نهض الناس من نومهم عندما اشراق الشمس.
عباراتان تختلفان نحوياً، وتتفقان دلاليًا.

ولا يخفى أننا، بالمثل الأول، قد أوضحنا نحوية الكلمة المفردة، وبالثاني، مثلاً على نحوية المركب غير الإسنادي^{*}، وبالثالث على نحوية المركب الإسنادي المركب^{*} أو العبارة^{*}، وبالثلاثة معاً: أنَّ صفة التحويَّة إنما تتناول المادة اللغوية بمستوياتها التركيبية المختلفة، الممتدة من الكلمة إلى ... العبارة^{*}.

«التحويَّي» إذن، بالمعنى المبين، يمكن أن يُرادِف «التركيبي»، أو «الشكلي»، وربما رادف «اللفظي»، أو «الصوتي»، في بعض السياقات.

ونقرأ لهذا الترادُف، ولزيده من إيضاح المعنى المقصود، رأينا أنفسنا، في بعض مواضع البحث، تُرْفَقُ الكلمة «تحويَّي» بما يناسب من هذه الكلمات، وجمعتنا الكلمتين، أو الثلاث، بخط صغير يُوحِي بأنَّ الكلمتين، أو الثلاث، إنما هي كلمة واحدة (تحويَّي - تركيبي، تحويَّي - تركيبي، شكلي، تحويَّي - شكلي، ...).

* المعنى الثالث:

تطلق الكلمة «غيري»، في لسان من الألسنة، على كلّةٍ من الكلمات المفردة، أو على مركبٍ غير إسنادي^{٤٤}، كالمركب الإضافي^{٤٥}، أو على مركب إسنادي^{٤٦}، كالمجملة^{٤٧} أو العبارة^{٤٨}: يعني أن كل واحداً من هذه المركبات (والكلمة مركب من المركبات) هو خاضع لقوانين النحو العائدة لذلك اللسان. فـ«غيري» الكلمة، أو نحوية المركب غير الإسنادي، أو نحوية المجملة أو العبارة، إنما تعني سلامتها بمقاييس اللسان المنتجه إلية، أي بقواعدِه، أي تعني أصوليتها.

وـ«النحوية»^{٤٩} هي عنصرٌ شكليٌ خالص: يعني أن نحوية مركبٍ من مركبات اللسان لا تفترض، بالضرورة، ومن الناحية النظرية التي نواجه بها الموضوع، أن يتضمن ذلك المركب معنى مقبولاً بمقاييس العقل. نقول، مثلاً، خارج تطبيق الشعر الحديث: «زوايا الخط المنحني غير المُعقل هي زواياها حادّة»، فيكون لنا، على مستوى التركيب الإسنادي البسيط، مركبٌ نحويٌ سليم، وإن كان معناه عملاً يقبله العقل.

★ ★ *

(٤٤) يقابلها، في المصطلح الفرنسي، كلمة *l'antonymie*.

٧ القواعد الخاتمة

نجاوز الجدل في مسألة هامشية عابرة، مسألة النسبة إلى الجمع التي يتشبث بها «النحاتيون»، لنقف قليلاً أمام جوهر الموضوع، أي مضبوط المصطلح المطروح.

نعلم أنَّ كلمة «نحوٍ» هي نسبة إلى الكلمة «نحو»، وأنَّ نحو لسان من الألستة، بمعنى اصطلاحِي أولَ بناء، هو نظامٌ من القوانين التي يخضع لها ذلك اللسان بمستوياته التركيبة المختلفة: من الكلمة، إلى... العبارة. والنحو، بمعنى ثانٍ، هو وصفٌ لذلك النظام يتكون من مصطلحات وتحديدات وأحكام تتناول البنية العائدة إلى المستويات التركيبة المختلفة.

ونعلم أنَّ المعنيين المبيّنين يتدخلان في الكلمة، كلمة «نحوٍ»، حتى يفصل بينها سياقٌ يحددُ المعنى المقصود.

ونعلم أيضاً أنَّ النحو، الذي هو وصفٌ للنظام النحوي الكامن في جسمِ اللسان، إنما يكون، في النظري - المثالي - المطلق، وصفاً واقعياً موضوعياً، وأنَّ عالمَ النحو، أي النحوي، أو الناهي^(٤٥)، إنما يستوحي مصطلحاته، ويستخرج تحدياته وأحكامه من متن اللسان الذي يُخلله، أي من جزئياته التي يتكون منها الكلام؛ كما يستمد عالمُ الطبيعة وصفته لقوانين الطبيعة من «من»، «الطبيعة» وظواهرها المحسنة. أما

(٤٥) «ناهي»، اسم فاعل من «نها» (نها نحو اللسان العربي). والكلمة ترافق الكلمة «نحوٍ»، وتتبع على «نها»، إلا أنها، مفردة، تادرة الاستعمال.

رغبات النحوي، وأراوه الشخصية، وأفكاره، ومنطقه العقلي بمقاييس المعرفة، فلا يجوز أن يكون شيء منها عنصراً من العناصر المكونة لضمون القاعدة الكلية المجردة التي يستخرجها من جزئيات الكلام، أي من شواهده، تماماً كما هو شأن عالم الطبيعة الذي يستخرج نواميس الطبيعة من ظواهرها المحسوسة، والذي يدرك، متلاً، أن انتقامه إلى الوقود ورغبة في أن تُبْعَلِّي الماء على ١٠٠ درجة مئوية، لا يكفيان لجعل الماء يغلي على هذه الدرجة.

ولتكنا نعلم، كذلك، أن النحاة العرب، في عملية وصفهم للسان العربي، واستخراجهم لقواعد المجردة، كانوا كثيراً ما يحللون متنطفهم هم، وأحكامهم هم، عمل فنطقي للسان وأحكامه، ولا سيما في المسائل التي كان اللسان فيها ضامناً:

- كمسألة بعض أوجه الإعراب التي قرروها في «لا»، التالية للجنس إذا تكررت، وكان اسمها تكررة متصلة بها (مسألة «لا حول ولا قوة إلا بالله»).

- ومسألة بعض من أوجه الإعراب لفت اسم «لا» نفسها المفرد بمفرد متصل بها («لا حاكم عادلاً/ عادل في زماننا»)، أو منفصل عنها («لا حاكم في زماننا عادلاً/ عادل»).

- ومسألة: هل يجوز ترجيم الاسم الثاني، والقاعدة التي صاغها الكوفيون للقول بالجواز واستعدها، لأن من متن اللسان العربي وشواهده في المسألة، بل من القياس المنطقي الخالص (٤٦).

- ومسألة هذا العدل الذي جعلوه هلة ثانية من عذرين حللاها بها منع «غير»، وأخواتها من الصرف.

- ومسألة تعريف العذر الأصل (٤٧) (التي تناولناها تناولاً مبطولاً في بحث لنا

(٤٦) راجع المسألة في كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والkovيين»، لابن الأثيري، المسألة ٤٩.

(٤٧) أي إخراجه من التكثير إلى التعريف.

عن العدد غير منشور).

- إلى مسائل أخرى كثيرة استمد النحاة قواعدها النظرية المجردة من منطقهم ومقاييسهم بمقدار ما استمدوها من منطق اللسان وشواهده، أو مزجوا منطق اللسان بمنطق العقل في موضوعات وكيفيات تتطلب من الدراسة والتحديد ما لا نعلم أن دارساً قد أفرد بحثاً له.

وفي كل موضوع تفرد منطق النحاة بتصوّغ قاعدته: ليصمد اللسان فيه، أي لأنعدام الشواهد عليه؛ أو طغى هذا المنطق فيه على منطق اللسان: لضآل الشواهد العائدة إليه، تظهر القاعدة المصوّغة وكأنها قاعدة المنطق، أو قاعدة النحاة، لا قاعدة اللسان، أو قاعدة النحو.

ولتميّز قواعد النحاة هذه من قواعد النحو، رأينا أن تُنسبها إلى النحاة أو نفسيّها إليهم، كما نُسب قواعد النحو إلى النحو نفسه أو نفسيّها إليه، فقلنا: قواعد نحاتية، وقواعد نحوية.

وعلى ذلك، فإننا نقرر، مثلاً، أن قول عطية^(٤٨)، في مسألة اكتساب المضاف من المضاف إليه تائيه أو تذكيره: إن «الأولى مراعاة المضاف» فنقول: قطع بعض أصابعه، إن هذا القول هو قاعدة نحاتية أكثر مما هي قاعدة نحوية: لأنّها مبنية في ذهن الرجل وتصوره، على مبدأ منطقي عقلي يقتضي بأن نقيم، بين المضاد والمضاد إليه، تجانساً مطلقاً في التذكير والتائيّث، أكثر مما هي مبنية على أساس لغوی من الشواهد المحسوسة.

ولا يخفى أننا، بالمعنى الاصطلاحي المطروح، إنما نستطيع أن نقول: «قاعدة نحاتية»، أو «قاعدة نحوة»، وفقاً للسياق الدلالي أو التركيبي الذي ترد الكلمة فيه.

(٤٨) جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، المرقاة الرابعة، بحث الإضافة، مشيرين إلى أن «سلم اللسان» هو من المراجع الحديثة التي يمكن اعتقادها إلى حد مقبول.



بيان حسنه الدين

المقالة الثالثة

نظريات في نظام الكتابة بالحرف العربي

نشرت في جريدة «السفير»، بيروت، في ٢٥/٥/٨٠

نظارات في نظام الكتابة بالحرف الهندي

أخي الدكتور أحمد نواساني،

قبل الشروع في تعليقي على كلمتك المطولة، التي وجهتها لي، في «سفير» ١٩٨٠/٤/٦، حول مقتضيات الرامية إلى إصلاح الإملاء العربي، أرى من واجبي أن أوجه لك، على صفحات «السفير» الغراء، كلمة تقدير لا تشوبها المعاملات، وأن أحثّي فيك طاقة جعلتْ منك جندياً صامداً «يُقاتل»، متنقلاً من جهة إلى جهة، ويواجه كل سلاح بسلاح يُجاهسه، ويتصدر، في كل ذلك، عن إيمان بالفكرة لولاه لما كان له أن يصمد.

وأرى بعد ذلك، أو قبل ذلك، أن كلمة من الشكر الواجب يتبعها أن توجه إلى جريدة «السفير» التي أفسحتْ لي وللآخرين، أن تناقش قضية عامة تعود، في نهاية المطاف، إلى أولئك الذي لا صوت لهم، بخير لا شر عندى فيه.

ثم أنتقل لأقول للأخ أحمد نواساني: إنني، ياخلاص الباحث عن الحق، الحال من تزغّات الهوى (بالغين المعجمة)، المتوجّه إلى الموضوع، لا المرتدّ إلى الذات ارتداداً ترجسياً ما تبني معرفة وإن أدعى، أعترف لك بأن ما كتبته لي، ولسوالي، في «سفير» الأحد ٦/٤/٨٠، قد زادني معرفة بالموضوع، وأوضح لي منه، ولغيري، جوانب لم تكن واضحة لدى، فحقق بذلك بعض أهداف النقاش.

إلا أنني، أيضاً ياخلاص الباحث عن الحق...، الخ...، رأيتُ، على الرغم من ضيق وقتي، أن أمضي شوطاً آخر في مفهمي الموضوع، معيلاً نفسي، وعانياً غيري، بشارة تقرّ بها عيني وعينك وعين سوانا، وتعوضنا جميعاً من وقت انفقنا، وجهدنا

وبعيداً عن الذات الباحثة وهو اطافها وانفعالتها التي تُفسد البحث، تعال متناول
الموضوع من أسمائه؛ تناولاً هادئاً نرى أنه يكون عبر النقاط التالية:

ألف - المضمون الواقعي للمقتراحات التي يتكون منها مشروعك الاصلاحي.

باء - حالات عدم المطابقة التي تظل خارج المشروع، وننظرنا إلى عدم المطابقة.

جيم - مسألة توحيد الآلهتين، وهل عدم التوحيد يكون مشكلة تتطلب الحل؟

DAL - هل مسألة نظام الكتابة تشكل قضية جوهرية مصرية؟

هاء - متفرقات.

واو - هل الوضع الراهن للإملاء العربي يتكون مشكلة حقيقة؟

* * *

ألف المضمون الواقعي لمشروع الاصلاح المقترن

إن المضمون العام المُعلن (المضمون الذي تُعلنه أنت صراحة) للمقتراحات التي
ترمي بها إلى إصلاح الإملاء العربي هو:

الدعوة إلى مطابقة الملفوظ للمكتوب: (في مقالتك المنشور في «غير»،
٦/٤/٨٠، متلاز تقول حرفيًا: «أنا دعوت إلى مبدأ عام، هو أن يكتب كما
تلفظ»).

وبما أن مطابقة الملفوظ للمكتوب لا تشكل، كما يرى، سوى جزء محدود من
مشروعك،

وبما أن مشروعك مضموناً واقعياً يختلف عن المضمون المعلن،
فإذنا نعرض هذا المضمون الواقعي، في هذا القسم من البحث الذي جعلناه يعنوان
 المناسب.

يتكون مشروعه، إذن، من شقين،
الشق الأول يتضمن المبدأ العام الذي ذكرناه، وتعني به مطابقة المفروض
للمكتوب والدعوة إليها.

والشق الثاني هو توحيد صورة الألف المتطرفة في الأفعال والأسماء.

ما الذي يتناوله، بالضبط، كل واحد من الشقين؟

الشق الأول يتناول، فيما نفترضه نحن افتراضاً مستنداً إلى ما عرفناه من أفكارك:

+ إسقاط الألف:

من المضارع والأمر المستدين إلى واو الجماعة (رحلوا/رحلوا، أكتبوا/أكتبوا)،
من المضارع المنصوب أو المجزوم المستند إلى واو الجماعة أيضاً (لن تعدلوا/لن
تعدلوا، ثم تنجحوا/لم تنجحوا)،
من كلمة «مائة»، في إحدى صورتها الشائعة.

+ إسقاط الواو:

من كلمات «أولو/أولي»، «أولات»، «أولئك»،
من كلمة «عمرو»، في حالتي الرفع الجماعي،
+ إظهار الألف الساقطة من كلمات متعددة أبرزها: هذه، هذه، ...، هؤلاء،
أولئك، لكن، الرحمن، إله، ...

- إظهار اللام المخدودة في «الذى» و«الذين»، الخ...

- إظهار الواو في «داود»،

(مع إشارة واحدة، في ختام هذه الفقرة من البحث، مقصورة أنها لم تورث، من
هذه الكلمات، بمعنى ملتفق للإجماع على اعتقاد صورته الشاذة هذه، أما الكلمات
الأخرى التي هي من قبيل: سارات، إبراهيم، الحارث، ثلات، صلاة، حيلة، ...)

التي تكتب، في القرآن، بغير أخرى، فإننا نعتبرها خارج هذه المجموعة لأن صورتها السوية قد استقرت في الاستعمال، ولم تَعْد مشكلة بحاجة إلى علاج).

والشق الثاني يتناول كل ما خُطِّب بالف، من فعل ماضٍ أو مضارع، أو اسم من الأسماء (باستثناء عدد محدود من الأدوات التي أعادت أنت الإبقاء على ألفها المقصورة).

إنك، في هذا الشق من مشروعك، ترى توحيد صورة هذه الألف بحيث تُصبح، حيثها وردت، قائمة، فنكتب: مثـا، يـثـا، مـسـتوـا، الأـغـلاـ، الـأـوـلـاـ (بدلًا من «الأول») مستشفـاـ، إـنـتـهاـ، يـشـمـادـاـ، اللـغـ... اللـغـ...

* * *

باء حـالـاتـ عـدـمـ الـمـطـابـقـةـ الـيـقـيـ تـظـلـلـ خـارـجـ الـمـشـرـوعـ، وـنـظـرـتـهـاـ

نشغل الآن إلى عملية تشريح لخواص أن تكون شاملة، تتناول بها الحالات الإملائية التي تقيّض مطابقة الملفوظ والمكتوب فيها أمر غير متحقق، أي بقيّض خارج المشروع اللواعي، والتي لا يطالب الدكتور لواساني بإغضاعها لمبدأ المطابقة العام، لأسباب يراها وستتطرق إليها في موضعها.

في جزء أول من هذا القسم من البحث، نورد هذه الحالات، وفي جزء يليه، لخواص ارتبطها بذلك ذكرناه في مقاله ٣٤٦/٨٠ من أن عدم المطابقة بين الملفوظ والمكتوب، في بعض جوابات المكتوب، أمر طبيعى - حتم - وهو ما رفضه الدكتور لواساني رفضاً بلغ به حد تسييجينا في الذي ذهبنا إليه جهولة، بما سنتناوله في موضعه.

ونشير، بعد ذلك، إلى أنّ هذه الحالات وإن كانت أمراً طبيعياً، إلا أنها تشكل صعوبات لا مفر منها.

ها نحن، إذن، نورد هذه الحالات، أو ما هدانا إليه استقرارنا الشخصي منها:

+ كتابة الناء المربوطة تاء ولغتها هاء، عند الوقف أو في درجة الكلام (مثلاً: هذه قضية راجحة = هذه قضية راجحة، القضية الراجحة هي قضيتنا = القضية الراجحة هي قضيتنا)،

+ كتابة لام (أَلْ)، الدالة على حرف شمي، لاما، ولغتها حرفاً مجانيَا للحرف الدالة عليه، وإدغام الحرفين في اللفظ (الرجال - أَرْجَال).

+ كتابة الياء والألف المترافقين، في الحرف والاسم والفعل، وكتابة (أَلْ)، التي تليها، وسقوط الياء والألف وهمزة الوصل التي تليها من اللفظ، وتحول اللام الدالة على حرف شمي إلى حرف عجائب لهذا الحرف الشمي (في الرياضة فوائد - فِرِيَاضَه...، انبعاث السباق - بِلْتَه سَبَاق،...).

+ كتابة همزة الوصل، أو الألف التي تحمل همزة الوصل، وفقدانها، في كل موضع من الموضع التي لا تلفظ فيها هذه الممزة (تسألني عن أسمى باستخفاف التكبير وأزدرائي = ... عنِ سَمِيٍّ بِسْتَخْفَافِ لِمُتَكَبِّرٍ وَزَدْرَائِي).

+ كتابة الألف المترافق في الحروف والأيماء والأفعال، ويستوطنهما من اللفظ، وسقوط همزة الوصل التي يغدوها (أَمَا السَّفِينَةِ = أَلْمَ سَفِينَة، يا أَبْنَ أَخْيَ = يَقِنْ أَبْنَ أَخْيَ، بِنَ اعْتِزَازِكَ = بِنَ هَبْرِيزَازِكَ، مَضَى العَمَرُ = يَضَى لَعْمَنُ، يَعْنِي الإِنْسَانُ بِحَيَاةِ تُفَيِّهَ = يَتَعَنَّ لَانْسَانٍ...، مَسْتَشْفِي الْإِهَالَ = مَسْتَشْفِي لَاهَالٍ،...).

+ كتابة الياء المترافق، وسقوطها من اللفظ مع همزة الوصل التي تليها (بلادِي التي أَحِبَّهَا = يَلَادِ لَيْ أَحِبَّهَا وَفِي اتَّحَادِنَا قَوَّةَ = فِي تَحَادِنَا قَوَّة،...).

+ كتابة و هو الجماعة والألف التي تليها، (و سقوطها) من اللفظ (الحرفان كلامها يسقطان يا دكتور أحد وليس الألف وحدها)، وسقوط همزة الوصل التي تليها من

اللفظ (اسمعوا القول = استمع لقوله)

- + لفظ واو غير مكتوبة وواو غير مكتوبة، بعد حصر المفرد الغائب المذكور المتصل المسبوق بحركة (له صديق - له صديق، به صم - بهي صم)
- + لفظ ياء غير مكتوبة بعد آلة في الكلمة (هذه) (هذهي)
- + كتابة ألف (أنا)، وعدم لفظها إلا في ضرورة الشعر وعند الوقف عليها في النثر (وطن النجوم أنا هنا = أنا...). ولعل من غير المشهور أن هذه الألف تكتب ولا تلفظ إلا في الحالتين اللتين بيناهما.
- + اسقاط نون التنوين من اللفظ مع إثباتها في الكتابة واستعادتها من الكتابة وإثباتها في اللفظ.
- + أخيراً، سقوط الحركات من الكتابة اليدوية ومعظم الكتابة المطبوعة، وكيفية هذه الحركات. ولا يختفي أن هذا الباب، من أبواب المخالفة المفترضة للمكتوب، هو أوسع هذه الأبواب وأشملها. وللأهرة المخالفة تجاوز ذاتها قبة، لتحول إلى ما هو أبعد منها، وتفضي بنا إلى ملفوظ لا يقابلها بكتوبه.

هذه، إذن، هي حالات عائلة الملفوظ للمكتوب، التي استخلصناها باستقراء سريع قمنا به في نطاق كتابتنا لهذا المرصد وいくون، باستقراء «أقل سُوّعة»، أن تكمل الصورة التي رسمنا، ولو تعذر بعض خطوطها.

أما عملية تأثير هذه الصورة، فيتمكن أن يتكون من النقاط التالية:

الأولى: أن هذه الحالات، تغطي مساحةً، واسعةً جداً من حقل الإملاء العربي، مساحة تتضاعل أمامها المساحة التي تغطيها كل تلك الأخرى التي أخذت إليها الساقط من ألفاتها (هذا، هازلا، لاكن...) أو استقطبت ما لا يقراً من أحرفها (للألف بعد واو الجماعة، الواو من أولئك، الواو من أولو/أولي...).

الثانية: أن هذه الحالات، على الأقل من الناحية النظرية، تشكل صعوبات

إملائية حقيقة لا يُشَفِّي وجودها بتعديلك الذي قدمتها.

الثالثة: أن تلميذنا الابتدائي، حتى في مدارسنا الرديئة (وَمَا أَكْثَرَ الرِّدَاءَةَ فِي مدارسنا) يستطيع التخلص من هذه الصعوبات، أو التخلص من بعضها، مع نهاية المرحلة الابتدائية، بسهولة نسبة تلفت الباحث. لماذا؟ لأن هذه الصعوبات، وإن كانت ناجحة عن خالفة الملفوظ للمكتوب، إلا أنها تختلف، مثلاً، عن صعوبات خالفة الملفوظ للمكتوب في اللسانين الفرنسي والإنكليزي. ففي حين أن صعوباتنا مرتبطة، في محلها بحالات عامة، أو قوانين يستطيع تلميذنا، عن طريق المراس، وهن طريق المراس وحده، أن يدركها ويطبقها، نرى أن صعوبات اللسانين المذكورين إنما تتشكل، في محلها، بخلاف إملائية خاصة لها أن التعليم لا يتناول منها سوى حالات معدودة. وهذا يعني أن على الفرنسي مثلاً أن يتعارف على كل الكلمة بذاتها، ويتعلم كتابتها بذاتها. وفي هذا من الهول على التلميذ ما لا يُشكِّر. خذ ذلك مثلاً الكلمات الفرنسية المقابلة لكلمات فيل، سبب، كثير، صغير، أنت، غشيان، دفتر، قلم، جميل، قبيح، ...، وتأمل كتابة كلها منها، ليدرك بسهولة معنى ما أقول.

الرابعة: أنك لم تدخل هذه الحالات في مشروعك الإسلامي جنباً إلى جنب الحالات طبيعية لا مفر منها، ناجحة، في رأيك، عن ظاهرة يتميز بها اللسان العربي، سميتها أنت ظاهرة «الكلمات التي تُقرأ بصورتين»، كالناء المزبوجة، وهوزة الوصل، ونحوها، كذلك، في رأيك أيضاً، هن تكون اللغة المحكية هي الأساس. على أن بما نراه لك سمعة أقوى هو ما بيناه، في النقطة السابقة، من تحون هذه الحالات حالات حامضة أساسية مطردة، تتلاشى من ذهن التلميذ الصعبوبات النظرية، الناشطة عنها، مستغرين الربط الذي جعلته، في هذا الموضوع، بين الصورة الإملائية لبعض الكلمات، وبين اللغة المحكية. وهو ربط لا تشاطرك إيه، أو أننا لم نفهمه على الأقل.

الخامسة: أن وجود هذه الحالات الطبيعية التي لا مفر منها، بالحجم الذي بينا، إنما يؤيد بوضوح ما ذهبنا إليه، في كلمتنا إليك في «سفر» ١٦ - ٣ - ٨٠، من أن خالفة الملفوظ للمكتوب أمر طبيعي جسم، وهي مقوله يبلغ اندفاعك في تطبيقنا

فيها أنت ... سهُوتْ فحسبتَ إلَيْنا، بِسُؤالِكِهِ منَ الْوَأْيِبِ ما لا يَعْنِدُهُ عَنْ إِنْسَانٍ يَمْتَلِئُ
الْحَدُّ الْأَدْنِي مِنْ قُوَّاهُ الْعُقْلِيَّةِ، فَجَعَلْتَنَا، سَاعْدَكَ اللَّهُ، نُرْفَضُ، يَعْتَابُ ظَاهِرٌ، كِتَابَهُ
كُلَّ كَلْمَةٍ يُطَابِقُ فِيهَا الْمُفْرَظُ الْمُكْتَوبُ، وَنُطَالِبُ مَطَالِبَهُ سَادِيَّةً بِلَهَا، بِتَغْيِيرِ كُلِّ
صُورَةٍ كِتَابِيَّةٍ مِنْ صُورِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يُطَابِقُ لِفَظُهَا كِتَابَهَا، لِيَتَحْقِقَ مَا جَعَلْتَنَا
نَتَصُورُهُ، فِي عَمَلِيَّةِ تَدوينِ الْأَلْسَنَةِ، مِنْ ضَرُورَةِ خَالِقَةِ الْمُفْرَظِ الْمُكْتَوبِ؟ ثُرَى، مَنْ
يَطَالِعُكَّ بِثَلَاثَ هَذَا الرَّأْيِ، أَيْكُونُ جَدِيرًا بِتَجْزِيَّدِ رَدْكَ عَلَيْهِ، فَضْلًا عَنْ تَحْصِيصِ
الصَّفَحَاتِ الطَّوَافَ لِتَنَاقِشِهِ؟

السادسة: إننا، إِذَا توَغلْنَا فِي ظَاهِرَةِ خَالِقَةِ الْمُفْرَظِ الْمُكْتَوبِ، الَّتِي بَيْنَا أَنَّهَا
ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ مُحْتَمَةٌ، وَجَاؤُنَا بِهَا مَسْتَوِيَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي عَابَنَا الظَّاهِرَةُ فِي بَعْضِ
حَالَائِنَّا، إِلَى مَسْتَوِيِّ الْفَبَارَةِ الَّتِي تُهْلِكُ، فِي الْلُّغَةِ، غَايَةً بَعِيدَةً، الَّتِيَّا أَنْفَسَتَا أَمَامَ
دُنْيَا مِنَ التَّمُوجَاتِ الْذَّلِيلَةِ الْمُتَلَاهِيَّةِ، الَّتِي يَجْسُدُهَا تَعْلَقُنَا الْمُتَمَوجُ التَّابِعُ بِعِرَارَةِ
أَحَاسِسِنَا وَأَلْوَانِ مَعَانِنَا، دُونَ أَنْ نَجِدَ لَهَا، عَلَى قُرْطَاسِنَا، سُورَى ظَلَالٍ باهِةً مُسْتَمَثَةً
فِي هَذَا الَّذِي نَسَمِيهُ عَلَامَاتُ الْوَقْفِ: مِنْ نَقْطَةِ، أَوْ فَاصِلَةِ، أَوْ مَا شَاءَهُ، وَأَفْيَنَا
أَنْفَسَنَا تَشَدِّدَتْ، فَلَا عَنْ خَالِقَةِ الْمُفْرَظِ الْمُكْتَوبِ، بَلْ عَنْ مُفْرَظٍ لَا يَقْابِلُهُ مُكْتَوبٌ،
عَنْ مُفْرَظٍ لَا يَسْتَدِعُهُ عَلَى الْمُكْتَوبِ.

السابعة: أَنَّ الْمَطَالِبَةَ بِالْمُطَابِقَةِ الْكَلِمَوْلَةِ بَيْنَ الْمُفْرَظِ وَالْمُكْتَوبِ هي مَطَالِبَةٌ بِأَمْرِ
مُتَوَهِّمٍ، وَإِذَا نَعْنَى اسْتَعْلَمُنَا تَحْقِيقَ مُطَابِقَةٍ وَاسِعَةٍ فِي كِتَابَتِنَا الْمُطَبَّرَةِ، فَإِنَّ تَحْقِيقَ
الْمُطَابِقَةِ، فِي كِتَابَاتِنَا الْهِدْوِيَّةِ يَظْلِمُ أَهْرَأً مُغَایِرًا لِلطَّبِيعَةِ عَمَلِيَّةِ الْكِتَابَةِ هَذِهِ، فَوَصِحَّ هَذَا
التَّغَيِّيرُ أَشَدَّ، كَلَمَا تَقْدَمَنَا فِي دَرْبِ الْكِتَابَةِ، وَكَلَمَا تَسْتَدِعُ حَيْرَتَنَا وَمَهَارَتَنَا فِي سِيَادَتِنَا:
وَمَعْنَى التَّغَيِّيرِ هَذَا هُوَ أَنَّهُ يَنْذُرُ، أَوْ يَقْلِلُ مِنْ زِيَّبَتِنَا كِلَمَاتِنَا بِالصُّورَةِ النَّفَرِيَّةِ الْكَامِلَةِ
الَّتِي تَرْسِمُهَا لَنَا حِرَوفُ الْمُطَبَّعَةِ.

هُنَّاكَ، مِنْ تَارِيَخِيَّ، اجْهَلَلِفَّ وَفَرْوَقَيْلَ، تَوَاهِيَّةٌ لِمَا يَهْدِي صُورَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَكْتُبُهَا
الْأَفْرَادُ، وَهُنَّاكَ تَبَوِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْحِرَوفَةِ وَالْكَلِمَاتِ، وَانْجِهَافٌ بِالْحِرَوفَ وَالْكَلِمَاتِ عَنْ
صُورَهَا الْطَّبِيعِيَّةِ، وَهَا تَبَوِيَّهُ وَانْجِهَافُهُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا، فَلَعِبَنِيَّ عَدِيدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ، درجةٌ

قد يتسلوى منها وجوب الكلمات وعدم وجوبها في النص المدرّس.
وهناك، من ناحية ثانية، الكتابة المختزلة، التي تغفل كتابتنا العربية نوعاً من أنواعها - ومعلوم أن الكتابة المختزلة إنما تقوم على كتابة الكلمة ببعض أجزائها، وأن قراءة الكلمة، مع ذلك، تبقى أمراً مستطلاعاً.

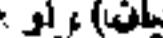
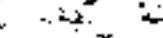
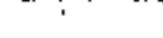
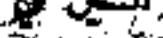
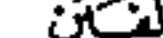
وهناك الكتابة المختصرة، الكتابة بحرف أو حرفين أو ثلاثة من أحرف الكلمة، كما هو الشأن، مثلاً، في الكتابة الفرنسية والكتابية الانكليزية، وفي كتابة بعض الكلمات الرياضية والعلمية، في اللسان العربي أيضاً، ببعض الرموز الاصطلاحية المعروفة (الغ، كلم، مم، لـ. لـ...، الغ...).

وهناك، أخيراً، الكتابة بلا كلمات، أو الكتابة بلا كتابة، إذا جاز التعبير، أقصد الكتابة التي تستقطب بعض كلماتها يقوطاً كلياً (التارين المدرسية، مثلاً)، ونتمكن مع ذلك من قراءتها.

نخلو بعد ذلك خطوة أخرى في طريق التوغل في مسألة المطابقة في الكتابة بين الملفوظ والمكتوب، فتناول مسألة العلاقة بين الملفوظ والمكتوب وبين معناه، وهي علاقة دينامية قائمة بين الصورة الكتابية للكلمة أو العبارة، وبين معنى الكلمة أو معنى العبارة، إنما، كما ذكرنا، معنى الكلمة أو العبارة بزاوجة صورتها المكتوبة، وكذلك فإن المعنى الإجمالي للعبارة، أو المعنى الجزئي لميفعون جوانبها، أو بعض الإشارات المكتوبة للثلاثة أمامنا على القرطاس، يمكن أن يؤديها إلى إدراكه الصورة الكتابية لكلمة أو عبارة لم نكن نتوصل إلى إدراك صورتها، أي إدراك كتابتها، لولا إدراكنا لما ذكرناه من معنى إجمالي، أو معنى جزئي.

ويترتب على ذلك نظرة جديدة، نظرة معنوية، إلى جوهر العلاقة بين الصورة الكتابية للكلمة ومعناها. نظرة هي رفض لحكومية العلاقة المذكورة، فهو مبدأ عن أن تكون العلاقة بين الصورة الكتابية للكلمة أو العبارة ذات المفاهيم واحدة، من الصورة إلى المعنى، ثم تصبح العلاقة ذات المفاهيم تتحرك بها من الصورة إلى

المعنى، ومن المعنى إلى المصوّر قد يصبح إدراكتنا المفظاً وصورة الإملائية عن طريق المعنى، متّماً لإدراكتنا للمعنى عن طريق اللفظ وصورة الإملائية، وتُصبح أهمية اللفظ وصورة الإملائية، مرتبطة بهذه الديّالية القائمة بينه وبين المعنى، وتُصبح نظرتنا إلى نظام الكتابة والإملاء، ثغرة واقعية، مجردة من الأوهام والبالغات (هذا هو الأساس النثري المبدئي لما أشار إليه الدكتور عمر فروخ في سياق رده على الدكتور لواساني في «نهار»، ١٥/٤/٢٠٠٣، من أنّ العربي الذي يجهل اللسان الفارسي، لا يستطيع أن يقرأ، من الشعر الفارسي مثلاً، بيتاً واحداً مكتوباً بالحرف العربي، الخ...)



السوة (مشى - مشيئن)، دعاء (هونَ، هبُوي، هبُوي بـ ملستون)، ونوا (لوه)،
اللخ...
وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ كِتَابَهُ هَذَا الْأَلْفَ، فِي الْجَمِيلِ الْحَالَاتِ، لَمْ تَكُنْ عَمَلاً لِحَكْمِيَّةِ

اعْتِباْطِيَّاً، بَلْ اسْتَندَتْ إِلَى هَذَا الرِّبْطِ الْصَّرْفِيِّ الَّذِي بَيَّنَاهُ. وَهَذَا الْاسْتَنْدَادُ هُوَ مَا قَلَّنا،
فِي مَقَالَةٍ ٢٠١٦/٤٢، أَنَّهُ يُمْكِنُ (قَلَّا «يُمْكِن»، وَلَمْ تَقُلْ «يَنْبَغِي»)، أَنْ يُشَيرَ إِعْجَابَنَا
بَدَلَ أَنْ يُشَيرَ سُخْفَتَنَا، وَقَالَ الْأَسْتَاذُ إِمِيلُ يَعْقُوبُ، فِي رِدَّةِ عَلَيْنَا، فِي «سَفِيرٍ»
٢٠١٤/٤٢، أَنَّهُ يُشَيرُ إِلَى السُّخْفَةِ وَلَا يُشَيرُ إِلَى الْإِعْجَابِ.

ثُمَّ نَسْأَلُ: هَلْ كِتَابَهُ الْأَلْفُ الْمُتَعْرِفَةُ، بِصُورَتِهَا الَّتِي نَتَكَلَّمُ عَنْهَا، وَالَّتِي لَا تَخْلُو
بِمِبْدَأِ التَّطَابِقِ بَيْنَ الْمَلْفُوظِ وَالْمَكْتُوبِ، هَلْ كِتَابَهُ الْأَلْفُ هَذَا تَكُونُ، فَعَلَّا، مَشْكُوكَةٌ
إِمْلَانِيَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ نَبْحُثَ هَذَا عَنْ حَلٍ؟

إِنَّ الإِعْجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ تَدْرِجُ فِي سِيَاقِ الْقَسْمِ «هَاهُ»، مِنْ بَحْثَنَا.

* * *

ذَالُّ هَلْ مَسْأَلَةُ نِظَامِ الْكِتابَةِ تُشَكِّلُ قِصْيَةً جَوْهَرِيَّةً مَصْرِيَّةً؟

إِنْ إِجَابَتْنَا عَنْ هَذَا السُّؤَالِ يُمْكِنُ أَنْ تَشَكُّوْنَ مِنَ النِّقَاطِ التَّالِيَّةِ:

النِّقطَةُ الْأُولَى،

أَنَّ اللُّغَةَ، فِي جَوَاهِرِهَا، هِيَ كِيَانٌ شَفَعِيٌّ يَتَدَنَّدُ مِنَ اللُّسُانِ إِلَى الْأَذْنِ، وَمِنَ الْأَذْنِ
إِلَى اللُّسُانِ، وَ... اللُّغَةُ...، فِي سُخْرَةِ دَائِرِيَّةٍ يَفْسِرُ بِهَا، قَبْلَ غَلَوْرِهَا، كَثِيرٌ مِنْ حَقَائِقِ
اللُّغَةِ أَوْ غَلَوْرِهَا، وَلَيْسَ صَلِيقَةً تَقْدُوْنَ اللُّغَةَ: مُوْسَى عَرَضَ حَدِيثَ هَرْفَتَةِ الْأَلْسُنِ
الْمُخْتَلِفةِ فِي أَزْمِنَةٍ مُعَاصِرَةٍ جَدًا، وَلَمْ يَتَنَلَّوْنَ مِنَ اللُّغَةِ سُوْيِّ بَعْدِهِ مُحَمَّدَ مِنْ أَبْعَادِهَا،

بعد أشرنا إليه في البند «سادساً»، من القسم «باء»، من هذا البحث.

ونضيف هنا أمرين:

الأول: أن المفهوم الذي يكتسبه المتكلم في لسانه هو مفهوم الكلمات المحيطة

أن العبارة^{*}، التي هي الوحدة التحورية الكبيرة، كما يرى بعض الألسني الأميركي كي
بلومفيلد^(١)، ليست كياناً صوقياً ملائكيّاً مسطحاً، مولفاً عن كلمات متداورة،
متراقبة، متعاقبة في الزمان، وفق ترتيب خاص يحمله «فركيبيه» أو يُسَى
تركيبة، تُجسّد قاعدة من قواعد اللسان أو أكثر، وتكون مشحونةً بهذا المعنى أو
ذاك من المعاني اللامتناهية التي تخطر ببال المنشي، أو المتكلم. العبرة هنا، إلا
 أنها، فضلاً عن هذا، كيان متحرك، متّسخ، متلون، مصطبغ بالسوان من المعاني
التي يرثب المنشي، أو المتكلم في يوصافها إلى الآخرين، أو يرغب في التغفيّ بها في
مواقفه الوجدانية الغنائية.

والثاني:

أن ما يستطيع الإنسان أن يدونه، من هذا الكيان الصوقي المتحرك المتّسخ... هو
هو صورةٌ يعيّنها من صوره المتحركة...، أو ينقل إله استطاع أن يقبض على بعد
واحد من أبعاده، هو بعده المطبع، أما أبعاده الأخرى، فقد تمردت على الحرف،
 واستعصت على التدوين، وتُرك للآخر، للقارئ... - المخاطب، المزود بمحاجةً أدنى من
الثقافة، أن ينقد إليها، من كُرة الحرف الملقي هكذا أمامه ساكناً على
الق�큰اس، كما يجري، على وجه التقرّب، في نص موسيقي تتحول فيه الإشارات
المusicale الصامتة، على يدي موسيقيٍّ مختلفٍ، إلى دنيا من الأنعام.

(١) راجع مثلاً، هايس. هوزمن، *علم النفس التربوي، الترجمة الفرنسية، لجوائز داروا - شارليه،*
ص ٤٦، لاروس، ١٩٧٢، ترجمة - Hervé Mignot Chedier.

النقطة الثانية:

أن نظام الكتابة، كما تبين لنا شخصياً، وكما يقول مارتي^(٢) صراحة، لا يكون فرعاً من فروع الألسنة، وإن كان (نظام الكتابة) في الواقع ملحقاً بهذا العلم. إن نظام الكتابة، في رأي هذا اللغوي الفرنسي، لا يعني عالم اللغة إلا بقدر ما تُعْدِيه عملية الكتابة من أثر في الكيان الصوقي للغة.

وبعد ذلك تستنتج أنه، لوركاني نظام الكتابة، وما يفرج عنه من مشكلات إملائية، قضية جزئية، لكنه فرعاً منها من فروع الألسنية.

النقطة الثالثة:

أن القرآن الكريم مليء بالكلمات المرسومة بـإملاء، لا تطابق فيه بين الملفوظ والمكتوب، فإذا عدت أحدنا إلى إبراد آية من القرآن، أو أكثر، في مقالة أو كتاب أو ما شابه، فإنه يوردتها بالإملاء العادي، بالإملاء العثماني، إذا جاز التعبير، دون أن يتلفت ذلك نظر أشد المترمّتين أو انتباذه، فضلاً عن احتجاجه واستنكاره. فإذا هو أقدم على تعديل بسيط في كلمات الآية، في ذات هذه الكلمات، كان يجعل كلمة محل كلمة شرada لها، أو أن يستحيط، مثلاً، حرف جر يمكن إسقاطه من مثل قوله: ويا أئها الذين آتوكوا إذا تؤدي للصلوة من يوم الجمعة...، فيقول: لا...، إذا تؤدي للصلوة يوم الجمعة...، فإن الشفاعة تقوم في وجهه، ويصحح عليه حق فاتروا الإيمان، وأبعد الناس هرفة بجهود البستان اللفظي لهذه الآية أو ما شابهها.

لماذا؟ لأن الحرف الذي ترسّم به الكلمة، في أي لسان من الألسنة، ليس جزءاً منها من الكلمة. وأعتبر ذلك في جواز تبديل هذا الحرف، وجواز أن تكتب اللسان

(٢) أندريل مارتي، السني فرنسي عشهور، راجع، حول الفكرة التي توزعها له، كتاب المعروف، «بادى، في الألسنة العامة» (*Éléments de Linguistique générale*)، باريس ١٩٣٠.

العربي، مثلاً، بالحرف اللاتيني، أو المحرف العبرى، أو غيرها، جواناً نظرياً مفترضاً على الأقل.

النقطة الرابعة:

أنَّ الغَربَ، الَّذِي نَسْتَهَدُ بِهِ أَسْتَشَاهَدُ بِمَوْضِعِهِ مُتَهَجِّيًّا وَلَا هَيَا، بِمِدَّهُ مِنْ عَقْدِ النَّفْعِ، الْغَربُ الَّذِي يَلْعُغُ مِنَ الْمُخْصَارَةِ وَالْتَّطْوِيرِ الْفَكْرِيِّ درَجَةً إِسْتِطَاعَ بِهَا أَنْ يَفْلِتَ مِنْ أَقْدَسِ مَقْدِسَاتِهِ، وَإِسْتِطَاعَ مِثْلًا أَنْ يَبْلُغَ الْأَلْحَادَ، وَأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ كُثُرَتِ تَقَالِيدِهِ، وَإِسْتِطَاعَ، عَلَى صَعِيدِ اللُّغَةِ، أَنْ يُطَوَّرَ وَيُبَدِّلَ وَيُعَدِّلَ، لَمْ يَنْهِ يَقْسُنُ نَظَامُ الْكِتَابَةِ، وَاسْتَمْرَ، مُمْكِنًا فِي الْلِّسَانِيَنِ الْفَرَنْسِيِّ وَالْأَنْكَلِيزِيِّ الَّذِيْنِ يُشَيَّعُ لَنَا مَا نَعْرِفُهُ مُشَهِّدًا أَنَّ نَسْتَهَدُ بِهَا، اسْتَمْرَ فِي الْمُحَافَفَةِ عَلَى إِمْلَائِهِ التَّقْلِيدِيِّ الْمُعْرُوفِ، عَلَى الرَّغْمِ مَا يَرْزُحُ تَحْتَهُ هَذَا الْإِمْلَاءُ، مِنْ عِيُوبٍ لَيْسَ عِيُوبَنَا يَا زَانَهَا شَيْئًا ذَا بَالَ.

لَمَّا تَخَلَّصَ الْفَرَنْسِيُونَ وَالْأَنْكَلِيزِيُونَ مِنْ كُثُرَتِ تَقَالِيدِهِمْ...، وَلَمْ يَمْسِوْنَا نَظَامُ الْكِتَابَةِ عِنْهُمْ، بَلْ لَمْ يَذْخُلُوهُ عَلَيْهِ حَقِّ الْإِصْلَاحِ الْجَزَئِيِّ؟ الْجَوابُ الَّذِي نَرَاهُ هُوَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ لَيْسَ قَضِيَّةً جَوْهِرِيَّةً أَوْ مُصْبِرِيَّةً. وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَرَأَيْتُمْ بِهِمْ هَبَةً رَجُلَ وَاحِدٍ : يَعْدُلُونَ وَيُبَدِّلُونَ وَيَسْفُونَ.

★ ★ ★

هَاهُ مُسْتَفِرَقَاتٌ

فِي الَّذِي تَقْدَمَ مِنَ الْبَحْثِ، حَاوَلْنَا أَنْ تَرَدَّ عَلَى الدَّاكْتُورِ لَوَاسَانِيِّ، مِنْ خَلَالِ بَحْثٍ عَامِ ذِي أَقْسَامٍ وَاضْعَافَةٍ. إِلَّا أَنْ تَقَاطَعَتْ مُتَفَرِّقةٌ وَرَدَتْ فِي سِيَاقِ رَدِّهِ عَلَيْنَا فِي ٤/٨٠، وَيَقِيَتْ خَارِجَ بَعْثَانَا، لِأَسْبَابٍ مِنْطَقِيَّةٍ تَعْلَقُ بِمُنْهَجِ الْبَحْثِ. وَهَمَا أَنَّ هَذِهِ التَّقَاطِعَاتِ هِيَ مَا يَتَوَلَّ بَدْ تَعْلِيقَهُ عَلَيْهَا، فَقَدْ رأَيْنَا أَنْ تَقَاطَعَهَا فِي قَسْرٍ

- شخص من البحث هو هذا، على أن يكون تناوحاً تناولاً لا يعبر بعما...
+ حول ما ذكره اللواساني من أن للخط دوراً في تحديد المعاني وتركيزها في ذهن الكاتب والقارئ، نكتفي بأن نقول: لو كان الأمر كما تصف، لأصبح إدراك المعاني عن طريق خط متعرج، مثلاً، إدراكاً متعرجاً، ...، ولا أصبح إدراك المعاني، عن طريق السمع الشفهي، أمراً متعمداً...
+ حول ربطه لإملائنا الراهنة بعملية القراءة، وما يتجزأ هذا الرابط، في رأيه، من إضاعة للوقت، نرى أن مسألة القراءة لا علاقة لها بالبحث الذي نجادل فيه، وإن كانت مترتبة بنظام الكتابة العربية برمته. هذا أمر آخر...
+ حول عدم دعوته إلى تعديل الحرف العربي، ونفيه عن نفس تهمة التفكير في هذا التعديل، نقول له: ولم لا؟ إذا كنت ترى أن نظام الكتابة العربية، بوضعه الراهن، هو نظام فاسد، وكنت تدعو إلى إصلاحه، فإننا، لأسباب لا مجال لتفصيلها ههنا، لا نرى أن الإصلاح الجذري لهذا النظام يمكن بغير التعديل الذي تدقع عن نفسك تهمة التفكير فيه (كما ذكرنا في ردنا على الاستاذ إميل يعقوب في «سفر» ٤/٢١، ٨٠).
+ حول قوله: إن في إصلاح الإملاء إصلاحاً للتعبير الأدبي، نكتفي بالسؤال:
أحادي هو في هذا؟
+ حول قوله: إن المتمسكون بكل ما هو قديم (بكل...) يمثلون ظاهرة مرضية في جسم هذه الأمة الخ...، نقول له: إن أبرز ما يتضمنه القديم الذي له بحثنا بعض اتصال أمران: نظام الكتابة بالحرف العربي، واللسان العربي الفصيح وما يرتبط به من تراث، ثم نسأل: لماذا يتمسك هو بهذه؟
+ حول إطلاقه كلمة «معروفة»، على قول من يقول: «إن هناك مؤامرة على اللسان العربي» الخ...، نقول له: إن قولكم هذا هو، أيضاً، معروفة، بل هو سفنونية تعرفها أور كسترا يفسّر عدد المخالفين فيها، عدد المازفين في المخيم

الأور كسترا المتسلفة المعرفة

+ حول ما ورد من كلام صادر عن الدكتور لواساني، في فقرة رده علينا، وصادر عن غيره، مما يتعلّق بaram أديبات الكتب طه حسين، في موضوع نظام الكتابة والإملاء، لا يسعنا شوحاً، إلا أن نستعرض بالتفاصيل الرجل في موضوع أبسط مقومات دراسته واستيعابه، وأهم هذه المقومات غير متوفّرة لديه، ونعني حاسة البصر. ألا يكون طه حسين، في ذلك، شبيهاً بطبّيب بداوي، على الهاتف مثلاً، حالة مرضية تفوق الزكام، وتتجاوز التهاب اللوزتين؟

+ إشارة أخرى توردها في سياق نقاطنا المتفرقة هذه، وهي أنه، لو أتيح للأجنبي يجهل اللسان العربي، أن يتعلم، من طريق الترجمة، على سجالنا هذا الجاري حول مشكلات الإملاء العربي، لتصور أن ما نكتبه، في شؤون حياتنا اليومية، وما تنشره صحفنا في إنتاجها المتذوق، إنما هو «ملي» باختطاف إملائية لا تقبل الخضر، ولما صدق، إذا أخبرناه، مثلاً، أن أشدّ منشوراتنا الصحفية زدادة وأعطّها مستوى، خاليةٌ من أخطاء الإملاء، أو تكاد.

* * *

واو هكذا توضع الراهن للإملاء العربي يكون مشكلة حقيقة؟

بعد أن بتنا:

+ أن مخالفة المفروض للمكتوب، في كتابة اللسان العربي خاصة، وفي الكتابة عامة، هي ظاهرة طبيعية محتملة.

+ أن هذه المخالفة تحدّ، في جسـوـ الكتابة العربية، لتفطي مساحات شاسعة، في هذا الجسد،

- + أن المطابقة، التي يدعى إليها الدكتور لوasanی، لا تشكل، من هذه المساحات، سوى نسبة محدودة،
- + أن كتابة الألف المترعرعة بصورة فيها المعرفتين، لا تدخل في نطاق مخالفة المفروض للدكتور، وأن هذه الكتابة إنما تعود إلى أسباب حصرية بينها، وأن الدهورة إلى توحيد الألفين لا تدخل، هي الأخرى، في نطاق الدهورة إلى المطابقة بين المفروض والمكتوب،

بعد أن بينا ذلك، وبيننا أموراً أخرى أوردناها بعنوان «متفرقات»، نرى أن استكمال البحث، واحتتمامه، يتطلبان أن نطرح على الأخ الدكتور لواساني سؤالاً يحصل بالبحث، أملين أن تكون إجابته عنده بالبراءة حينها الكامنة وراء طرحه:

و حول أسباب مشروع الإصلاحي، أو دوافعه، نسأل براءة:

هل قمت بها سيدى ، أنت أو غيرك ، برواية ميدانية علمية ، شملتْ قطاعات
متنوعة من أبناءنا التلاميذ والطلاب ، ونسمت لله بنتيجتها ، مثلًا :

+ أن هناك نسبة معينة من تلاميذنا الأسيوبياء الذين يتلقون عصراهم في مدارس
تسود في جدأً أدنى من الشروط التربوية والعلمية ، يصلون إلى نهاية المرحلة الابتدائية ،
ويكتبون ، مثلًا ، كلمات «لكن» ، «هذا» ، «عُصْنِي» ، «موسيقى» ، «سافروا» ،
الخ ... ، كما تكتبها أنت ؟

+ أن هناك نسبة من تلاميذنا الأسيوبياء في بعض المدارس الجوزية يصلون نهاية
المرحلة المتوسطة ، أو نهاية المرحلة الثانوية ، وهم يرتكبون «أخطاء» ، مماثلة للأخطاء
المذكورة فوق ، أو أخطاء من نوع آخر ، مما يتصل بمشروع الإصلاح ، من قريب
أو بعيد ؟

إذا كنت ، أخي الدكتور ، قد قمت بهذه الدراسة ، أو قام بها غيرك ، واستندت
إليها ، فإننا ، ببراءة الباحث عن الحقيقة والحق ، نقترح أن تنشرها في الناس ، وتجعل
كل واحد من غالبيك ، يضع إصبعه على الداء الذي ترمي بمشروعك لعلاجه .

أما إذا كان الأمر على خلاف ما ذكرت ، فإننا لا نخفيك في المضي في ما أنت
ماض فيه ، أو تقوم بالدراسة التي ذكرنا ، وتكون نتيجتها متفقة مع ما تدعوه إليه .

وحول أهمية الإصلاح بذاته ، فإننا ، بالبراءة عنها ، نطالبك أن تبين لنا ،
ولسوانا ، بالوقائع والأرقام ، النتائج السلبية ، في حقل اللغة أو غيرها ، لإقدام تلميذ
في نهاية المرحلة الابتدائية ، على كتابة كلمة «هذا» ، مثلًا ، بالآلف ، كما تكتبها أنت ،
كتابة لا يلتبث بعدها طويلا حتى يعدل إلى سواها ، وإقدام تلميذ ، في المرحلة
المتوسطة أو في نهايتها ، على كتابة كلمة «مسا» ، مثلًا ، بالآلف ، كما تكتبها أنت ،
كتابة لا يلتبث بعدها طويلا حتى يعدل إلى سواها ، وإقدام تلميذ ، بل طالب من
طلابك في كلية الآداب ، على كتابة كلمة «مرؤوس» ، بواوين اثنين ، أو بواو واحدة
أو كتابة كلمة «موسيقى» ، بالألف المقصور ، أو «موسيقا» ، بالألف القائمة ، كما

تكتبها أنت، وكان هذا طالب شاهراً موهوباً، أو كاتباً فذاً، على قصائده، أو
مقالاته على زميل له لا يُحسن من اللغة سوى الإملاء...
إذا استطعت أن تُبين لنا، بالواقع والأرقام، في حقل لغة نفسها، أو في حقول
التحصيل الأخرى، أو في ميدان الشخصية البشرية أو في ميدان الحياة الاجتماعية
والوطنية، أو في ميدان الحياة الاجتماعية والوطنية، الناتج السليم لأنخطاء الإملاء،
فإننا ندعوك إلى المضي في ما أنت ماضٍ فيه، ونجد أنفسنا للقتال وراءك...
أما إذا كان الأمر على غير ما نصف، فإننا نرى أن خدمة اللسان العربي، في غير
ميدان الإملاء، تكون خدمة لمجده، والله أعلم.

* * *

المقالة الرابعة

الاقتباس المغربي بمسؤولية المدرسة من خلل تحرير المغيري

نشرت في جريدة «النهار»، البارحة، ابتداءً من الأحد ٦/٧/٨٣.

مُكْدِّسْ جَل

إذا كان اغتناء اللسان بالاقتباس هو، في ظاهره، اغتناء خارجياً يمتدّ اللسان المقتبس (بكسر الباء) بعناصر الألسنة الأخرى، فإن هذا الاغتناء يظلّ اغتناءً ما دام اللسان المقتبس يتمثّل العناصر المقتبسة، ويحومها، يعنصر الشكل الذي ينجزها فيه، إلى خلايا طبيعية تندمج بجسد اللسان وتتلاشى عجمتها في خلاياه وأنسجته، ويصبح الاقتباس، بهذا الذي نقول، وكما سيظهر لنا من متن البحث، سبيلاً طبيعياً من سُبُل التكافر، تكاثر الألسنة، ورافداً من روافد نُعُوها.

وإذا كان الاقتباس، من جهة البحث النظري، موضوعاً قدّيماً، وكان كلامنا عنه لا يمكن، للوهلة الأولى، إلا أن يُعدّ كلاماً مكروراً مُعادداً، فإنّ ما لمحناه من جوانب الظاهرة جعلنا نخسب أنّ القول المجدّد فيها أمرٌ في المتناول، وجعلنا ننشيء بحثاً هنا.

أمر آخر كان من دوافع البحث: أنّ ظاهرة الاقتباس، بجانبها العملي التطبيقي، يسّرّ الصلة بنشاطنا اللغوي اليومي الجاري على مختلف الصعد و مختلف المستويات، فأردنا، بتوسيع الكلام عليها، ولا سيما في مثل مقامنا الإعلامي هذا، أن نوضح، في أذهان المترافقين حيالها، ما نراه حقيقتها، وأن نوضح هذه الحقيقة، بصورة خاصة، في أذهان المترافقين حيال مستوى يعنيه من مستوياتها (مستوى «المعنى الدلالي»)،

وكانت مقوله المستويات، التي بحثناها بوضوح في الفاصله، دافعاً نالنا، جعلنا
نُقبل على تناول الموضوع، لأنها كشفت لنا من جوانب الموضوع ما يسلواني عنه
الاقبال على بحثه.

وما هي هذه المستويات؟

إنها ثلاثة:

مستوى الكلمة المفردة (وهو المستوى الأشهر والأوسع).

مستوى «البني الدلالية»، (ما نسميه نحن كذلك).

مستوى البنى التركيبة.

وهي مستويات لم تُعهد أنها رُوِّعيت مراعاةً مركزةً في دراسة الاقتباس.

وإذا كان هذا الذي نقوله يعني أن بحثنا سينقسم إلى أقسام رئيسية ثلاثة، تقابل
المستويات المبيّنة، فإن قسماً رابعاً رأينا إلحاقه بهذه الأقسام، وإن كان، بعنطق
المنهجية المألوفة، إنما يأتي قسماً أول: لأنه، من الكلمة التي يدور حولها البحث (كلمة
«اقتباس»)، إنما يتناول جانبها اللغوي الاشتراقي. والجانب اللغوي الاشتراقي يكون
عاده في مطالع الأبحاث. إننا آثرنا لهذا القسم أن يُؤخَر؛ لأنَّ الكلام عن الجانب
اللغوي من المصطلح، يُغَلِّب الكلام عن مضمونه، يكون أقرب إلى الإدراك والاكتناء
والتمثيل، كما سررنا.

أما تعليل حصول الاقتباس بين الألسنة، الذي يمكن أن يُعدَّ قسماً خامساً
للبحث، فإننا رأينا أن يكون للأقسام الأخرى كالمدخل يجعله بعد هذا التمهيد.

بقيت إشارة أخيرة تختَم بها تمهيدنا، وكان من الممكن أن تأتي في مستهله. ليس
بحثنا هذا للاقتباس بحثاً عاماً للفاصله المتجلدة في العلاقات التفاعلية القائمة بين
الألسنة البشرية المختلفة، بقدر ما هو بحثٌ خاصٌ يتناول الفاصله من خلال
تجسيدها في ما يقوم من علاقات بين لسان بيته، هو اللسان العربي الذي كان
البحث من أجله، وبين لسان آخر أتيح لهذا اللسان أن يحيط بها، ويتفاعل معها،

في فترات تاريخه المتعاقبة. إنه، بمزيد من التتجديد، يبحثollar بأحدثها هذه العلاقات في اللسان العربي من آثاره، وما أثراحته له من الاقتباس. أي أنه يبحث التجربة التعرّيف أكثر مما هو بحث للاقتباس كظاهرة لغوية عامة تنطبق قوانينها على كل لسان. ولا يخفى أن ما يتطلبه اكتناء الاقتباس كظاهرة عامة من معطيات، هي الإحاطة بعدد كبير من الألسنة، إنما هو أمرٌ من النادر جداً أن يتيسر لباحث.

古 古 古

الف تعليم حصول الاقتباس

من المسلمات البسيطة الملائمة للبيهارات أنّ حصول الاقتباس بين الألسنة هو نتيجة حتمية طبيعية للاحتكاك الذي يقوم بينها، وهو احتكاك يترافقه ترابطُ الشعوب وتدخلها، وما يقوم بينها من تبادل يتناول مرافق الحياة اليومية، كما يتناول شؤون الفكر بعاداته ومستوياته.

ولا يخفى أنّ وقوع الاقتباس بين الألسنة ليس ظاهرة حادثة طرأت على الألسنة في أزمنتها المتأخرة. إنه، في تصورنا، من القديم، بحيث نستطيع أن نعتبره مرافقاً للألسنة في عصورها كلها، منذ نشأتها - إذا جاز الكلام على هذه النشأة - حتى يومنا هذا. ينذر لنا ذلك ويوضّحه جولة سريعة نقوم بها في أي قاموس من القواميس التي تشير، في سياق شرح كلماتها، إلى الكلمات المقتبسة، وأصواتها، والألسنة التي اقتبست منها، كالقاموس الفرنسي المشهور المعروف باسم لا دروس، أو في أي قاموس من القواميس المتخصصة في الكلمات المقتبسة، كـ «كتاب الألفاظ الفارسية المعرفة»، مؤلفة السيد أذى شير^(١)، أو في كتاب «الألفاظ العربية الآرامية الأصل»، مؤلفه سيموند فرانكل^(٢)، الخ...

وربما جازت الإشارة، أو وجّبت، في ختام هذا القسم من البحث، إلى أن

(١) أذى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرفة، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.

(٢) راجع ص ٦ من الكتاب المذكور في الماشية السابقة.

قواعد الاقتباس منحصرة في الاقتباس الماجري على مستوى المفردات. ولا نعلم أن هناك قواميس، أو مؤلفات أخرى تتناول الاقتباس الذي يجري على مستوى ما سميته «البني الدلالية»، أو «البني التركيبة». وهذا، في ما نرى، أمر طبيعي لأن اقتباس المفردات يجري على نطاق واسع بين الألسنة، ثم إنه من الأمور المحسومة القابلة للحصر والتعميف والتبسيب، في حين أن اقتباس «البني الدلالية»، إنما يجري على نطاق ضيق، كما نرى، ثم إن حصره أمر صعب، وتسويقه أصعب. أما «البني التركيبة»، فنرى، في الموضع المخصص لها من البحث، أنها من النذرية، ومن مقاومة حصولها، بحيث لا يُطرح حق التفكير في تبويبها، فضلاً عن وضع القواميس لها.

* * *

باء أقتباس المفردات

نشر أولاً إلى أن أقتباس المفردات هو الأقتباس المشهور المأثور الذي ينصرف الذهن إليه إذا أطلقنا الكلمة دلالة (كلمة، التأثير).

ثم نشير إلى أن كلامنا عن أقتباس المفردات موجود في المثلثة كلام عن أقتباس اللسان العربي للمفردات - إنما يتناول المسألة في صورة (هذا من الألسنة التي تثير لنا الانطلاق منها، اللسان الفرنسي، اللسان المتدلي، اللسان الإيطالي، الخ...) وهي الألسنة التي نعرف بعضها، ولم يبعضها، ويورث الكتاب المذكور في المباحث الأولى كلمات من بعضها ثالث.

إن التأمل في حجم الكلمات العربية المقتبسة من الألسنة المذكورة، والتأمل في ذات عدد كبير من هذه الكلمات، يُظهر أن لـنا مديري كون الظاهرة ظاهرة اقتباس الكلمات، ظاهرة طبيعية.

فمن جهة الحجم، نلاحظ الصخامة النسبية لعدد الكلمات العربية، وهي صخامة يُظهرها لنا عِرْد^(٢) أن توسيع لها القواميس المتخصصة (معجم المفردات، معجم

(٢) هذه (ء، لـي صـرـه) بـئـة دلـالـة أقتـبـسـها اللـانـعـارـيـ، لـي عـصـرـهـ الـحـدـيثـ، مـنـ اللـانـعـارـيـ (La famille de la famille de). وهي بـئـة مـقـبـلـة اـنـجـمـتـ بـلـاسـانـاـ، وـشـحـتـ، فـيـ، يـدـلـوـهـاـ الـمـرـوـفـ الـذـيـ لاـ يـرـىـ، غـيرـ التـرـمـتـ، مـسـرـغـاـ لـلـبـحـثـ مـنـ سـراـهاـ (راجعـ مـنـ هـذـاـ الـبـحـثـ، أـقـتـبـاسـ الـبـنـيـ الدـلـالـيـ).

ومن جهة طبيعة الظاهرة، نلاحظ أن عدداً كبيراً من الكلمات المغربية قد تلغى
اندماجها باللسان العربي درجة بُشّرنا بها تحسبها كلمات هربية، حتى إذا كشفنا
أنها مغربية أخذنا الاستغراب كل ماخذ. لا تستغرب، مثلاً، أن تكون كلمات
الأيد، والأبهة، والأسوة، والبرهان، والبستان، والبنفسج، والباب، والشرفة،
والسفر، والجادّة، والجحان، والجاه، والخنزير، والخيال، والذبور، والذرب،
والدستور، والرذاذ، والرعن، والزخرف، والزلال، والعصيف، والغوغاء، والغ...
الخ... لا تستغرب أن تكون هذه الكلمات، ومثيلاتها كثيرات، كلمات مغربية
اقتبسها اللسان العربي، في صورة المتعاقبة، من لسنة أخرى؟

ونحاول تعليمي هذا الاندماج، فنورد مقاطعاً ثالثاً توسيع المسألة:

الأولى: أن الأصوات اللغوية، التي تصاغ منها الألسنة المختلفة، هي، في
حملها، مادة صوتية مشتركة بين الألسنة، لأنها صادرة عن جهاز واحد هو جهاز
النطق البشري المعروف. فانتقال هذا الصوت أو ذاك، من لسان إلى لسان، إنما
يشكل حركة طبيعية تقع في دائرة ألف اليومي برمما كان منها يختصاً بهذا اللسان
أو ذاك، أي ما كان منها أجنبياً بالقياس إلى اللسان الذي ينتقل إليه، تناوله، في
عمله، انتقاله، من التبديل، ما يتلام به مع اللسان الذي ينتقل إليه، وما ترزوّل به
أجنبية، ويدخل في دائرة ألف اللغوي للسان الجديد.

الثانية، أن المادة الفحوى المكرمة للكلمة، المنتقلة من لسان إلى لسان، تزندى،
من اللسان الذي تنتقل إليه، شكلاً صرفاً جديداً يهتمها وجهها سجاساً يومجهو
الكلمات التي يفهمها قلوب من هذا اللسان.

الثالثة، أن تقادم العهد على الكلمة المتشبة من شأنه أن يمكن هذه الكلمة في
يئتها الجديدة، ويعمق جذورها في تربتها، ويجعلها تتكاثر في هذه التربة كتكاثر
الكلمات الأصلية سواها، ثم تختلط بهذه الكلمات وتندمج بها حتى تشتبّ في
عدادها.

وبنطّلنا هذا الذي بتلائنا إلى الجانب المبدئي من الظاهرة، جانب تقييد

الاقتباس على مستوى المفردات، أو، بكلمة مترجمة، إلى محاولة هذا التعبير وصياغة ما نراه له قانوناً عاماً. وهي محاولة تمرُّ بالنقاط التالية:

١ - إن كلامنا عن اقتباس المفردات، أو تعرّيفها، لا يعني أن الاقتباس يتناول كلَّ نوعٍ من أنواع الكلمات، ولا يعني أن الأنواع التي يتناولها إنما يتناولها بدرجة واحدة من التواتر.

ففي حين أن الكلمات النحوية « مجرّبة » جعل الاقتباس تجريعاً كلبياً، كما سرى في القسم الخاص باقتباس البُنى التركيبية، فإن الأسماء الموصوفة تظهر، من خلال تجربة التعرّيف على الأقل، وكأن اقتباس الكلمات لا يتناول سواها.

أما الصفات والأفعال، فإن اقتباسها نادر الواقع إذا قيس باقتباس الموصفات، وإن كان بين اقتباس الواحدة والأخرى من الفرق ما نحن ممتنوّه به.

ومضمون هذا الفرق أننا، أيضاً من خلال التجربة التجريب، لا يلاحظ أن الصيغات التي تنتقل باقتباس من لسان إلى لسان تكون صفات في لسانها، في حين أن الأفعال المقتبسة لا تكون أفعالاً في لسانها إلا نادراً كفعل « تلقي » المقتبس، حديثاً، من الفعل الفرنسي المقابل، و « تخسّ » المقتبس قدّياً من الفعل الفارسي « يخسّد ». .

أما غالبية هذه الأفعال، فإنها، في لسانها، تكون أسماء فتقتبس عادةً عنها الصوتية ومعناها ثم تصبح بصورة الفعل؛ وذلك مثل الفعل المعمّوب « خوزف »، (ذوين المغني عوده) المقتبس من التركي « دوزن »، (بضم الدال وفتح الزاي) الذي يعني الترتيب والنظام. أو يقتبس الاسم ثم يشتق من الاسم المقتبس فعل يناسب لفظه ومعناه؛ وذلك مثل كلمة « الفلسفة » التي اقتبساً العربي من اللسان اليوناني ثم اشتق منها فعل « فلسف »، (فلسف القضية يفلسفها)، و فعل « تفليف » المعروف. وكذلك فعل حديثاً بكلمة « بورجوازية »، التي اشتق منها فعل « بيرجز »، و « بيرجز »، بالخ

٢ - إن الاقتباس، كعملية لغوية تتجزئ في ذات الكلمة المقتبسة إنما ينبع

لقانون عام واحد، أو قاعدة واحدة، أى ما كانت الكلمة المقيدة، إنما هو صفة، أو صفة، أو فعل.

على أننا، قبل أن نقدم هذه القاعدة بضميتها العامة، نرى أن نهدى لما يشرح بوضاحتها ويتناول نقاطاً تضمن عناصر تدخل في القاعدة المذكورة.

* في كل كلمة عنصران لا تكون الكلمة إلا بهما: مادتها الصوتية، والشكل الذي ترددية المادة وظهوره به كياناً لغرياً شرعاً، إنه شكلها الصوري أو بنيتها.

* إن ما يهب الكلمة هوئتها ويقرر لها انتهاءها إلى هذا اللسان أو ذاك هو شكلها أولاً ثم مادتها؛ لأن المادة الصوتية قدر شائع بين الألسنة وما تفرق به هو الشكل.

* منها تغيرت الأشكال الصرفية لكلمات اللسان، فإن نظاماً عاماً ينظمها ويشرّها، هو النظام الصوري العام للسان.

٣ - يصل بذلك إلى القاعدة التي عهدنا بها.

في عملية اقتساس الكلمات، التي تجري بين الألسنة، لا ينتقل من الكلمات المقيدة سوى مادتها الصوتية. وما كان من هذه المادة غريباً عن أصوات اللسان المقيس (بكسر الباء) واستبداله به هذا اللسان، من أصواته ما يشبه الصوت الغريب وما يتصلح للحاول تحله (في الكلمة *Parlement* الفرنسية، مثلاً، تتحول إلى *P* الأوروبية إلى باء عربية، وتتصبح الكلمة المغربية «برلمان» على وزن «بهلوان»).

أما الشكل، فإن المادة المقيدة تتوقف عن شكلها الصوري، وتتحدد، من اللسان الذي تنتقل إليه، شكلاً جديداً ينبع للنظام الصوري للسان المقيس (بكسر الباء)، ويتهبها هوية جديدة.

على أن هذا الخصيـع يكون على ممتنعين،

* مستوى التلبيس الكامل بالشكل الصرف للسان المقتبس، وهو تلبيس تتحقق فيه عناصر الشكل الصرف كليها، أي أن الكلمة المقتبسة تكون على صورة كلمات اللسان المقتبس ومثالها :

- تأْفَنَ = دُخَرَجَ = فَعَلَلَ، دَكْتُورَ = عَصَفُورَ = فَعَلُولُ، إِكْسِيجُونَ (أو كسيجين) = إِزْبِيزَ = إِفْعِيلَ، الْبِرْمَجَةُ/الْفَلَسْفَةُ = الدَّخْرَاجَةُ = الفَلَلَةُ، الْفِلَسْفُوفُ = الْحَيْزَبُونَ = الْفَيْعَلُولُ، ...

* مستوى التلبيس الجزئي بهذا الشكل .. وهو تلبيس متتحقق فيه للكلمة المقيدة بعض عناصر الشكل المعرفي . ويكون ذلك في حالة الكلمات المعرفية التي تعثينا ، يعنى اصر توافر في الكلمة المقيدة عينمة أو منفردة .. وأبرزها :

وَأَنْ يُمْدَأَ الْكَلْمَةُ بِشَاكِنٍ، شَرَائِيجًا، تَصْبِحُ أَسْرَائِيجًا،

- أن لا يتوالى ما كنـان في حشو الكلمة؛ «ديموقراطي»، تصبح، في اللـفـظ
«ديـمـقـرـاطـي».

- أن ختم الكلمة بما يلائم بنية الكلمة العربية، «جيولوجي»، المقابلة لـ *Geologie*، تصبح «جيولوجي»، القراءة خاتمتها من خاتمة الكلمة، كراهة المخفة الياء، وأخواتها.

في ختام كلامنا عن اختيارات المفردات، نرجو أن يقف أيام ما تخضع له الأعلام من أحكام تتناول عملية انتقالها بين الألسنة.

هل يطبق على الأحلام ما يطبق على غيرها من المفردات التي كان تبرز ما بينها عنها أنّ ما يتعلّق منها ، في عملية الاقتباس ؛ إنما هو ما ذكرها الصوتية دون شكلها الصرفي ؟

شَخْصٍ قَدِيرٍ كَانَ الْعَلَمُ الْمُسْتَقْلُ فِيهِ يُعَلَّمُ مَعْالَمَ أَنْوَاعِ الْجِنِّينِ الْمُقْبَسِ، فِي جَرِي

عليه من التغيير ما يتطلّب مادته المعنوية وصوره المصرفية،
ومنحى حدثاً يظهر الاتجاه فيه إلى نقل العلم كما هو، والمحافظة عليه مادة
وصورة.

وها نحن نفصل الكلام على كلٍّ.

يظهر النحو القديم في هذه الأعلام العربية المشهورة التي غير المستشرقون معالمها الصرفية، ومنها، على سبيل المثال: حلا، الدين، ابن سينا، ابن رشد، التي أصبحت، في اللسان العربي، Averroës, Avicenna, Al-Adîn كذا يظهر في بعض الأعلام الأجنبية المعرفة التي أدخل عليها العرب من خاتمة التعرّب ما يختلف من علم إلى علم، وما يظهر في صيغها المتداولة. ومن أمثلة الأعلام العربية نذكر «اسكتندر»، وهو على وزن «استبرق»، وكلامها على وزن «استفعلن»، و«قيصر» على وزن «فيائق»، و«بطروس»، على وزن «جلجل»، و«قارلة»، تعرّب «كارل»، وهو، كما نرى، على وزن «نابغة»، الخ...

وإذا كان التغيير في هذه الأعلام هو، كما نرى، تغييراً كاملاً يتناول المادة الصوتية للكلمة وصورتها الصرفية، فإن هناك أعلاماً لحقها تغييرٌ جزئيٌ ربما اقتصر على مادتها الصوتية أو بعض العناصر المكونة لصورتها الصرفية؛ بمعنى أننا، على صعيد التهذير، لا نجد لهذه الأعلام أوزاناً عربية تقابلها، ولذلك تكون باوزان لا تابها الأذن العربية؛ لأنّ لا تبدأ الكلمة بساكن، أو لا يتوالى في حشوها ساكنان. فنحن، على سبيل المثال، قد لا نجد لكتعبق «الدُّمُشْقَ»، و«جَالِينُوس»، اللتين وردتا في شعر المتنبي، او كلمة «بِهُورَة»، التي خلدها أبو تمام بساخته المشهورة، او كلمات «إشبِيلِيا» و«أرْمِينِيا»، و«غُرْنَاطَة»، و«سُورِيا»، و«الْبَلَان»، و«فَلَسْطِين»، قد لا نجد لهذه الكلمات أوزاناً عربية ت مقابلها. إلا أن أوزاناً تظلي ملائكة، وهو ما سمعناه الناظم الضربي في المعلم الكلامي قبل العودة

ومن الأعلام المغربية ينتمي كملعوم حسني وهو من مواليد ١٩٤٣ بمراكش،

و «يوسف»، و «يعقوب»، و «هارون»، و «إسحاق»، و «لوط»، و «إسماعيل»... وهي، كما نرى، أسماء بلغ اندماجها باللسان العربي درجة يتنا معها تخيّلها أسماء عربية.

أما المشتى الحديث، فيظهر لنا في الميل الواضح إلى نقل الأحلام، ولا تنبع ما كان حديثاً منها، تقلاً أميناً يحافظ فيه على مادتها الصوتية وصورتها الصرفية ما أمكنت المحافظة عليها.

وهؤلاء هم المستشرقون يتخلفون عن منحاجهم للقدم، وينقلون أعلامنا العربية تقلاً أميناً يحافظون فيه على مادتها الصوتية وصورتها الصوتية، مستخدمن لذلك نظام كتابة الكلمة العربية بالحرف اللاتيني المعدل.

وهذا إعلامنا، بوسائله المسموعة والمنقورة والمقرئ، قد يحاول، هو الآخر، أن ينقل الأحلام الأجنبية كما هي، بمادتها وصورتها. وهذا هو الإعلام الأجنبي يقف، بدوره، موقفاً مشابهاً.

على أن نقل الأعلام، إذا كان حرفيأً دقيقاً على الصعيد العلمي الأكاديمي، فإنه، على الصعيد الإعلامي، لا يبلغ الحرفيّة والدقّة. ذلك أن الكتابة الإعلامية هي كتابة يومية سريعة لا هي، فنياً، بجهة بما تبلغ به الحرفيّة والدقّة المذكورة، ولا طبعها وطبعه القاريء تتطلّبان ذلك. أن تسمحان به... وهذا يعني، بجملتها، أن تغيير الأعلام الأجنبية ما زال قائماً. ولكن يظلّ تغييرها جزئياً يجري في نطاق ما ذكرناه من ميل واضح إلى النقل الأمين.



كتابات من ملخصاتي
كتابات من ملخصاتي
كتابات من ملخصاتي
كتابات من ملخصاتي

جيم . إقتبساتي المُسقى الدلالية

من الطبيعي، قبل الكلام عن اقتباس البنى الدلالية، أن نحدد أولاً ما نقصده بالبنى الدلالية نفسها: لأن البنى الدلالية، بالمعنى الذي جعلناه لها، مصطلح خاص نظره للتداول، ونطقه، بصورة خاصة، في الاقتباس المجازي على مستوى ترجمته - دلالي لم تؤثر الكلام عنه أمر يمكن بدون المصطلح المطروح. ولا يخفى أن من حق الباحث أن يطرح، من المصطلحات المرتبطة ببحثه، ما يفرزه البحث وما يسهل عملية البحث.

ها نحن إذن نحاول تعریف المصطلح المطروح.

ليست الكلمات اللغة، مفهومية كانت أم خورية، جذولاً من الأسماء البسيطة التي تقابلها، خارج اللغة، منصبات بسيطة عائدة إليها، فيكون كل اسم من الأسماء يزاوئ شيء من الأشياء الماثلة في الواقع غير اللغوي، كما هو الشأن، مثلاً، في هذه القصاصات التي تلصقها على أشياء تزيد بعضها من بعض.

هذا التبسيط، في تصور علاقة الكلمات بدلولاتها، أو هذه السكرنية، هي مما يغایر طبيعة اللغة. ذلك أن علاقة الكلمات بدلولاتها هي علاقة حية، متحركة، متموجة، مرتبطة بمحير التعبير وتوجهه وتحركه، ومرتبطة بمجال دلائي يتداخُل أمام حاجة المعبر، وتتعين حدوده بهذه الحاجة وتتلاؤن بها، دون أن تكون حدوداً نهائية يقف عندها كيان الكلمة، ويتجدد عندها إماها اللفظي المحسوس. الكلمة،

بتضورنا هذا المبين، كيأنَّ مفتح لا يُعرف الانفلاق والسكن، هي شبيهة بكوننا الكبير الذي يرى الفلكيون أنه آخذ أبداً في الاتصال.

وبفعل العلاقة المتحركة هذه، ينشأ حول الكلمة حقل دلالي مختلف ضيقاً وواسعاً باختلاف الكلمات، وينشأ، مما يقيمه المعتبر، بتراكيب الكلام، بين ما نصلح على تسميتها المعنى العام للكلمة، أو المعنى - النواة، وبين معانٍ أخرى لكلمات أخرى، من علاقات دلالية تولدُها حاجة المعتبر، ويكرّسها الاستعمال ويرسّخها في الضمير اللغوي* للجماعة اللغوية.

ولأنَّ الحقل الدلالي هو وليد العلاقات المبنية، ولأنَّ العلاقة، بطبعتها، هي شكل، أي تركيب، أي بنية، فقد اعتبرنا الحقل المتولد حول الكلمة، بمجموعة العلاقات الدلالية التي تربطها بالكلمات الأخرى، بمجموعةٍ من البنى.

وبما أنَّ العلاقات التي تولد لنا هذه البنى هي علاقات دلالية مصوحةٍ من المعاني، أو، بكلمة أدق، مصوحةٌ بما ينشأ بين المعاني من علاقات، فقد كان من الطبيعي أن نعمت هذه البنى بما يناسب هذا الصوغ، أن نعنّها «بالدلالية»، فنقول: البنى الدلالية.

وبصيغة التعريف نقول: إن البنى الدلالية لكلمة من الكلمات هي مجموعة العلاقات التي يقيّمها أبناء اللسان، بتراكيب الكلام، بين ما نعتبره للكلمة معناها العام ومعانٍ أخرى لكلمات أخرى، ويولدُونَ بها من المعاني الفرعية للكلمة ما يعني الكلمة وما تصبح به بنياتاً دلالياً يتسعُ به إفهامها اللغطي المحدود، وتندّج أعلاه معالمها المجموسة.

ولعلَّ مما يكتمل به تصورنا للمسألة أن نورد، من خصائص البنى الدلالية، ما تزداد بهوضوحًا:

- ١ - إن البنى الدلالية، المكونة حول كلمات اللسان، إنما تختلف من لسان إلى لسان اختلافاً نابعاً من اختلاف الحياة الاجتماعية التي يرتبط بها اللسان؛ وهذا يعني

أنت لا تقع بين أي لسانين من للألمعنة المعروفة على ما يمكن أن تسميه، باصطلاحنا الشخصي، «موازاة دلالة كاملة» بين هذه الكلمة أو تلك من كلمات أحدهما، وبين ما يعتبر مقابلًا لها في كلمات اللسان الآخر. فإذا كان العربي، لأسباب اجتماعية ورددت الإشارة إلى بعضها في «لسان العرب»، ولا مجال لإيرادها في هذا السياق، قد جمع، في حيز لفظي واحد، أي في كلمة واحدة، أو مادة قاموسية واحدة، في مادة «ض ر ب» مثلاً، عدداً كبيراً من البني الدلالية، أو من المعاني المتولدة عن هذه البني،

- منها معنى الضرب المعروف (ضربه على يده)،
 - ومعنى إيراد الأمثلة (اضرب لي مثلاً يوضع الفكرة)،
 - ومعنى السفر أو التنقل في الأرض (﴿وإذا ضررتُم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾) (السادس، الآية ١٠١).
 - ومعنى شق الطريق (﴿ولقد أوجينا إلى موسى أن أشرب بماءه فاضرب لهم طريقاً في البحر يتيسأ﴾) (الله، الآية ٧٧).
 - ومعنى الضرب الحساني المعروف (جدول الضرب)،
 - ومعنى صياغة النقوذ وصيغتها،
 - ومعنى للأضطراب،
 - ومعنى الميل إلى لونٍ من الألوان (لونه ضاربو إلى الصفرة)،
 - ومعنى المضاربة في التجولة، الخ، الخ،
- إذا كان العربي قد أنشأ، إذن، خوات مادة «اضرب» المذكورة بهذا الخصوص من البني الدلالية، للصياغة بما يناء من معانٍ الكلمة وملزم ببنية^(٤)، فإن الفرنسي مثلاً، ولأسباب اجتماعية تجهلها، لم يُنشئ حول المادة المقابلة في لسانه، أي مادة

(٤) يلغى معانٍ هذه المادة وأو بناتها الدلالية وفي «لسان العرب» بالمعنى أو بنية دلالية.

Prepper، سوى عَذْنِي محمود، منَ الْبُنْيَةِ الدلالية المتمثلة بـمعانٍ مغایرة للمعاني التي جعلها العربي لعادة دفن رَبِّ المقاولة، مما يُظهرُ الرجوع البسيط إلى القاموس.

وما قلناه عن هاتين المادتين المتقابلتين في البيانين المبينين، يمكن قوله عن بعْد المواد القاموسية المقابلة بين الألسنة المختلفة؛ ذلك أنَّ في المعانِي المتعددة المتباينة التي تفرزها الكلمة في مسارها المتحرك المتتطور المفتشي، وبفعل ما يُعَسِّهُ أبناء اللسان من حاجة إلى التعبير، في هذه المعانِي إذن، ثُوَّ الْبُنْيَةِ الدلالية، يكُنْ جانباً حين تاريخ أصحاب اللسان، الجانب الاجتماعي الذي يتتجسد في عديد منَ الْبُنْيَةِ الدلالية^(٥)؛ وكما أنَّ الجانب الاجتماعي يختلف من شعب إلى شعب، كذلك الْبُنْيَةِ الدلالية التي تمثلُ هذا الجانب. ومن هنا كان ما ذكرناه من انعدام «الموازاة الدلالية» الكاملة بين المراد المعجمية المقابلة بين الألسنة.

٢ - إنَّ المُحَقْلَ الدلالي الذي يتكون حول الكلمة، أو يُنْقلُ، حول المادة القاموسية، يُضْعِفُ جزءاً لا يتجرأ على الكلمة، أو وجوهها من وجهيتها اللذين تتكون منها (الوجه الدلالي - المعنوي، والوجه اللغفي - النجوي)، وينشأ بينه وبين الجانب اللغفي من الكلمة ارتباطٌ عضويٌ طبيعيٌ يصعبُ فكُّهُ بل يتعذر، يعني أنَّ المدلول الذي يُشَيَّعُ للكلمة يكونُ هوَ مدلولها الطبيعي المشروح سواءً وافقَ تعهُّدنا النظري الذي تمثلُه قواعدها المجردة، وتنصُّ عليه قوامينا، أمَّا خالق ذلك التصورُ، وتلك القواعد، وهذه القواميس، وهذا وبنفسه مبنٍ وبحروم التحكيم (L'arbitraire) الذي تنشأُ به الكلمات بلفظتها وبما ينشأُ حول اللفظ من مُحَقْلَ دلالي أو بُنْيَةِ دلالية ينبغي للقاموس، إذا أرادَ أن يكون متطوراً مواكِبةً للحياة، وأن يضمُّها إليه بعد أن يكتُسها الاستعمال.

نصل بذلك إلى ما نريد الوصول إليه:

(٥) يمكن لهذه الظاهرة أن تشَكَّلَ موضوع دراسة تناول الجوانب الاجتماعية والفكرية والطبيعية (الجغرافية) الكامنة في الْبُنْيَةِ الدلالية للسانِ من الألسنة، والعائدَة للتشخيص الذي تتمُّ اللسان في كتبه.

هل تكتسب هل محتوى البنى الدلالية؟ هل تكتسب هذه البنى؟
مرة أخرى نذكر أن إجابتنا عن هذا السؤال ليست إجابة عامة تتناول كل
لسان، إنها إجابة خاصة تتناول لساناً يعنى هو اللسان العربي، لكنّا بذلك نسأل:
هل يكتسب اللسان العربي من الألسنة الأجنبية التي يحيط بها بعض جذورها الدلالية؟

من المفيد، قبل الإجابة عن السؤال المطروح ومن أجل هذه الإجابة، أن نقدم
بعضة من البنى الدلالية المقترنة التي تجري على بها أفلامنا دون أن نترك جميعنا أنها
مقبضة:

- يسرّ حلّ المصلحة العامة.

- تناول الموضوع.

- تبني الفكرة.

- هو ينبعز إلى المسألة من هذه الزاوية.

- أهاره انتباذه/ستمعه.

- يعلق أهمية خاصة بحل الموضوع.

- على ضوء ذلك/في فهو ذلك.

- يلقى نظرة.

- يلقى الضوء على الفكرة.

- أعمال الشاعر الكمالية.

- ضرب الرقم القياسي.

- جرح شورة.

- أخذ في اعتباره.

- الأكثرية الساحقة.

- خاتمة الذاكرة.

- ركز يبحثه على.

- وضع النقاط على الحروف.

- لعب ورقته الأخيرة.

- لعب دوراً.

- ذر الرماد في العيون.

- طرح المسألة على بساط البحث.

هذه البياني الدلالية المُعَرَّبة دخلت في لساننا، واندمجت به حتى أصبحت أقلامنا تجري بها دون أن نحس أنها مُعَرَّبة، الذي تجده، حيثما هو حاجتنا إليها في التعبير عن أفكارنا غير مبالين بمحاجتها، فإذا أتيح لنا أن نذكر هذه المعجمة،

هل تقبل هذه البياني، إذن، أم ترفضها بسبب محاجتها؟

وإذا قررنا رفضها للسبب المبين، فهل نحن قادرون على إسقاطها من لساننا و «تنظيف» هذا اللسان من آثارها؟

هل نقبلها إذن أم ترفضها؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تقو بـالإجابة عن حواله تحو.

هذه البياني الدلالية ومشيلاتها، المقتبسة من اللسانين الفرنسي والإنكليزي كما يُعرف مُتكلمو هذين اللسانين، هل يُشيّع، لغويًا، لأن تُعدّ أجنبية بعد أن دخلت في جسد اللسان العربي وجرت بها الأقلام؟

إن التأمل البسيط لكل بنية منها يظهر لنا أن في كل منها عنصرين رئيسيين: عنصر فركبي يتناول شكلها النحوي المنفصل، من حيث هو شكل، عن مضمونها الدلالي.

وهنضر دلالي يتناول مضمونها وما يقوم بين عناصرها من علاقات معنوية منفصلة عن شكلها النحوي.

بالعنصر الفركبي - الشكلي - النحوي، هي عروبة متأصلة (أولئك)، يلتقي

الصورة على الفكره، مطابق، خروياً، لقولك: «يلقي التحية على القوم»، كلامها قول عربي). ولا ندخل في تفاصيل هذا الأمر.

فهل هي كذلك بالعنصر الدلالي؟

إن ما يلفت النظر في هذه البنية، من الناحية الدلالية، هو غرابة العلاقات التي تربط العناصر الدلالية ببعضها، وهي غرابة يمكن أن تزداد، في بعضها، إلى ما شئه خادمة خيال بعض وجوه المجاز والكتابية التي تقيم، بين معانٍ الكلمات، علاقات غير معتادة، أليس في « إلقاء الصورة على الفكرة » - والضرر لا يكفي عادةً على الأفكار، وفي « خيانة الذاكرة »، التي لا تعرف الخيانة، و « جرح الشعور » الذي لا يُخرج، والنظر إلى الأشياء « من زاوية » معينة - وما عهدنا أحداً يحمل زاوية ينظر من خلالها، « فهو »، أليس في هذا « دليلاً من دليله ضرب من ضروب المجاز »؟

فإذا علمنا أن المجاز، مستوى العادي المألوف الذي لا يدخل في نطاق الإبداع الفني (المجاز القائم، مثلاً، على علاقة الجزئية، أو الكلية، أو المعاشرة، أو المحلية، ...)، هو باب طبيعي من أبواب توسيع المدخل الدلالي للكلمات العربية (وغير العربية)، كان لنا أن **البني الدلالية المقتسة**، القائمة، يقسم صالح منها، على المجاز أو الكتابة، إنما تدخل في الباب المذكور، وكان لنا جواز أن نقتبس **البني الدلالية**، وإن نظر إلى هذا الاتساع على أنه نشاط لغوي طبيعي يسع بالتجاه إغناء اللسان، وأن لا نتردّ حيالها بحجج سطحية مضمونها الحرفي أن العرب لم يستعملوا هذه **البني** في ما أثر لنا عنهم.

على أن تحفظاً منها يستوقفنا ويقيد علينا حكمنا. هل نفتح الباب على مصراعيه أمام اقتباس البنى الدلالية؟ لقد ثبت لنا بالاستقراء أن اقتباس البنى الدلالية، أو، بكلمة أدق، اكتساب اللسان العربي للبنى الدلالية من بعض الألسنة الأجنبية - وهو الاقتباس الذي يعنينا - إنما يجري في حدود هيكلاة ويشترط إذا جهلناها، أو إذا لم نوفق إلى الإحاطة الكاملة بها، فإن اللسان نفسه يتعرفها وكيز، في البنى الأجنبية التي سمعناها، المقبول منها حين المرفوع، لا يظهر ذلك

يتصفح بسيط لقاموس مزهوج اللسان، كلاموس المنهل^(٦)، يرى مقارنة تشيرها بين البنى الدلالية الفرنسية الواردة أعلاه بعدها ملحوظة القاموس ومقابلتها العربية. بهذه المقارنة، نرى ما الذي يفتقر من البنى الدلالية الفرنسية عن المقابل المعربي وما الذي يتضمن. ونرى أن ما يفتقر به مثلك اللغة العلمي، لم يفتقر به المثل في اللغة العربية.

ولا يجرأ هذه المقارنة، تعود، مثلاً، إلى المفردات *Coeur, Epaule, Dîner, Faire, ...*، حيث تلاحظ، بوضوح، أن هناك بين دلالية يبلغ الافتراق بينها وبين مقابلتها العربية ما ينتفي معه التطابق وما يرفض معه الاقتباس المتبادل (*Prendre le lit* ≠ لزم الفراش ≠ أخذ السرير؛ *Prendre feu* = احترق ≠ أخذ ناراً؛ *Prendre le deuil* = ليس ثوب الحداد ≠ أخذ الحداد؛ *Prendre les yeux* = أغمض عينيه ≠ أغلق عينيه، ...) كما تلاحظ أن هناك بين دلالية يظهر اقتباس اللسان العربي لها أمراً مقيولاً إلا أنها تبقى في نطاق المحظوظ (*Prendre une habitude*) ≠ *تعود* ≠ أخذ عادة؛ *Prendre l'avion* = استقل الطائرة ≠ أخذ الطائرة؛ *Prendre la parole* = بدأ الكلام ≠ أخذ الكلام؛ لأن ثم نصل إلى فئة البنى التي يجري عليها الاقتباس والتي في طبيعتها الدلالية ما يُحدث شيئاً من التجانس بينها وبين مقابلتها الأخرى في اللسان العربي. وهي هذه البنى التي مثلنا عليها بقائمة البنى التي دخلت اللسان العربي واندمجت به، وانطلقت منها في توسيع الظاهرة ورفع الحظر عنها وإسقاط التزمس حيالها.

ويبقى مطروحاً سؤالاً نظري يتناول الجانب المبدئي من المسألة: هل من ضوابط غيرها البنى الدلالية التي تقتبس من تلك التي لا يجوز اقتبасها؟

قبل قليل ذكرنا التجانس. ونكرر، هنا، أننا، نحن شخصياً على الأقل، لا نملك سابطاً حسوساً سوى التجانس، ولا نرى أن اكتشاف هذا الضابط أمر في المتناول.

(٦) «النهل»، قاموس فرنسي عربى مؤلفه جبور عبد النور وسهيل ادريس، دار المعلم للطباعة.

أليست المسألة داخلة، من اللغة، في نطاق الدلالة؟ أو لم يُعلن الآتين أن عليهم
قد توقف على أبواب المعانٍ لم يستطع لها اكتناها موصيًّا مماثلاً لاكتناه الجانب
اللغوي - النحوي - الشكلي من اللغة؟ وبمعنى السائد، يحيى ابنه وحذفه
وسيقتهم، وحدهُ هو الذي يضبط المسألة ويفسُد الظاهره. فعِدَّا غيبياً بالليل،
يحيى، كامنًا في كيان اللسان، لا تلمع منه سرى خطوط عديدة شبيهة بهذا
التجانس الذي ذكرنا. وما قبله اللسان قلبناه وحكمنا بجواز اقتباصه، وإن خالف
مقاييسنا النظرية، وما رفقة رفضاً.

وعلى ذلك، كان لهما: «لَعِبْ حَوْرَا»، و «وَكَرْ الْبَحْثُ عَلَى»، و «جَلَقِي نَظَرَة
عَلَى»، و «عَلَى قَدْمِ الْمَسْلَوَة»، و «عَلَى ضَوْهِهِ أَوْ فِي ضَوْهِهِ»، الخ.

وعلى ذلك أيضاً، كان «رَفْضُ اللسان»، «رَفْضُنا»، للغالية المعنى من النبي
الدلالية الأجنبية التي يحملها الثناء، وكان لهذه النبي، في عملية ترجمتنا للغوص
الأجنبية وفي عملية تحصينا، غير السوري، للألفاظ الأجنبية، من الأثر السئي
المشوش ما يعرفه المعنيون بالموضوع، المحدثون في وجوده.



دال اقتباس البُنى التركية

نوضح بادئ ذي بدء ما يقصد بالبنى التركية، وإن كانت العادة قد جرت بالباحثين أن يتكلموا عنها (من البُنى) دون أن يعرّفواها مباشراً، مع إشارة، في هذا التمهيد، مضمونها أن البُنى التركية، أو، بصيغة المفرد، البُنية التركية والعبارة ربما تداخلتا حقاً ليُصبح الكلام عن إحداهما كائناً كلاماً عن الأخرى. وعلى الرغم من ذلك قمنا بمحاولتنا.

إذا كانت البُنية (Structure) هي أحد الأسس العامة التي تقوم عليها اللغة (وغير اللغة ما لا يعنيها)، وكان لها (للبنية) مستويات تبدأ بالكلمة، أو المونيم ، أو المورفيم ، وتتَّسع بما نصلح على تسميتها مُركبَاً اسمياً غير إسناديٍ (مركب إضافيٌ: لسان العرب، مركب وصفيٌ: الحق الموصى، مركب توكيديٌ: الذهنية نفسها، مركب عطيفيٌ: الإنسان والقدر، ...)، ثم بما نسميه مُركبَاً إسنادياً بسيطاً، أو جلةً، فإن آخر ما تبلغه هذه المستويات هو ما نسميه المركب الإسنادي المركبٌ، أو العبارة^(٧) التي قال عنها بحق الآلسي الأميركي المعروف بلومنفيلد: إنها الوحدة النحوية الكبرى.

(٧) ظاهر من السياق أننا جعلنا، لكل من «الجملة»، و«العبارة»، مضموناً اصطلاحاً تفرق به عن صاحبها. «العبارة»، بهذا الذي نظرناه، كلّ و«الجملة»، جزء من أجزاءه. «العبارة»، تقابل، عندنا، الكلمة *Please*، بمصطلح النحو الفرنسي، و«الجملة»، تقابل الكلمة *Propositiō* ... (راجع المقالة الثانية، أو قاموس المصطلحات).

وعلى الرغم من أن البنية، في كل واحدٍ من هذه المسوبيات، هي تركيب، أو تقوم على التركيب، ويمكن، لذلك، أن تُنْتَعَتْ بـ «التركيبية»، فإنها، في الواقع، لا تُنْتَعَتْ بهذا النَّفَتِ إلا إذا بلغت مستوى المركب الإسنادي، وكانت، لهذا المركب، عنصرة الشكلي - التسخيم المكون له، لكان التركيب وقف على هذا المركب، أو كان في هذا النَّفَتِ فَما يَهُنَّ إلَّا أن التركيب الذي تقع عليه في المركب الإسنادي هو أهم أنواع التركيب: لأنه أكثر تجسيداً للسان لـ «اللغة». كأنه وحدة التركيب (وهذا يتفق مع وصف بلومفيلد للمعارة^٢).

يُلْقَى أن تُعرَّفَ البنية التركيبية، أو تُقاولَ هذا التعريف.

البنية التركيبية، انطلاقاً مما تقدَّم، هي شكل العلاقات النحوية (أو أشكال هذه العلاقات) التي تربط العناصر الداخلية في تكوين العبارة، سواءً أكانت هذه العناصر كلمات، أو مركبات اسمية غير إسناديه، أو ما علا ذلك في سلم المركبات النحوية الدالة.

على أن بساطة التعريف، الناجمة عن تجرده، لا تضرُّ في حين واقع المعرف التأثير، عن واقع البنية التركيبية نفسها، وما تتعلَّمُ به البُشَرُ من عناصر نحوية تدخل في تكوين الشكل التركيبى - السانتاكى الذي أشار إليه التعريف (شكل العلاقات النحوية) دون أن تُعدَّ، هي، شكلاً تركيبياً، هناجر يختصُّ بها اللسان، وتختصر هي في اللسان لا تتجاوزُ إلى اللغة^(٨) (جاوزة تدخلُ بها في ما يسمى النحو المشترك (المشترك بين الألسنة)، أو النحو العام الذي يمكن أن يُرَدَّ إلى ما يُعْنى به شومنسكي استعداداً لغرياً فطرياً كامناً في الطبيعة البشرية).

من هذه العناصر، تبرُّز الكلمات النحوية التي تُقابل، في العادة، الكلمات المعجمية، والتي منها حروف المعاني، والأدوات، والضمائر، والتي تتشكل مفاضل

(٨) لا يخفى أننا، هنا وفي مرواضع البحث الأخرى، نستعمل «السان»، وـ «اللغة»، بالمعنى الامطلاسي المعروفي للعائد لكلٍ منها، والذي لا غرابة في امتلاكه، على الدوام، حتى في الأحداث المحسنة. (راجع المقالة الثانية أو قاموس المصطلحات).

التركيبية النحوية، الذي يرى في السُّلْطَمِ الصَّلَبِيِّ لِلْمُؤْمِنِ كِبَرَتِ النَّحْوَةُ الْهَالَةُ، يَعْلُو تَرْكِيبَ الْكَلَمَاتِ.

وَمِنْهَا الْأَفْعَالُ لِنَظَامِهَا الشَّكْلُيَّةِ - **النَّحْوَيَّةُ الْمُكَامَلُ (Lear systeme final)**.

وَمِنْهَا، فِي الْأَلْسَةِ الْمَعْرِبَةِ، هَذَا الْإِعْرَابُ الَّذِي نَسْطَعِنُ، فِي الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَقْلِ، وَفِي حَالَاتِ إِعْرَابِيَّةِ مُعْيَّنةٍ، أَنْ تَعْدَهُ شَكْلًا خَارِجِيًّا هُنْزِيًّا وَظَبِيفِيًّا شَكْلَ الْبَيْنِيِّ التَّرْكِيَّيِّ أَوْ شَكْلَ الْعِبَارَةِ الَّذِي هُوَ، لِلْكَلَامِ، شَكْلُ وَظَبِيفِيٌّ جُنُومِيٌّ.

نَصِيلُ بِذَلِكَ إِلَى صَلْبِ مَوْضِيَّعِنَا فَنَسْأَلُ:

• هل يَعْضُرُ الاقْتِبَاسُ عَلَى مَعْنَى الْبَيْنِيِّ التَّرْكِيَّيِّ؟ هل مَقْبِسُ الْبَيْنِيِّ التَّرْكِيَّيِّ؟

نَوْجِيبُ عَنْ سُؤَالِ مِنْ تَلَاهِيَتَيْنِ: الْأَنْتَاجِيَّةِ وَالْمُنْتَاجِيَّةِ، الْأَنْتَاجِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ - الْوَاقِعِيَّةِ - الْوَصْفِيَّةِ مِنَ الْمَسَالَةِ، الْأَنْتَاجِيَّةِ النَّفْرِيَّةِ - التَّعْلِيلِيَّةِ.

مِنَ النَّاحِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، نَلَاحِظُ غُوقًا جُوْهِرِيًّا يَارِزاً بَيْنَ اقْتِبَاسِ الْبَيْنِيِّ التَّرْكِيَّيِّ مِنْ جَهَّةٍ، وَاقْتِبَاسِ الْبَيْنِيِّ الدَّلَالِيَّةِ وَاقْتِبَاسِ الْمَفَرَدَاتِ مِنْ جَهَّةٍ أُخْرَى.

فِي سَعْيِنْ نُورِيِّ: الْأَنْتَاجِيَّةُ - الْمُنْتَاجِيَّةُ - الْأَنْتَاجِيَّةُ - الْمُنْتَاجِيَّةُ، أَنَّ اقْتِبَاسَ الْمَفَرَدَاتِ بَيْنَ الْأَلْسَةِ هُوَ ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ شَكْلُ زَادَهَا يَمْدُدُ الْلِسَانَ المَقْبِسَ بِعَناصرٍ جَدِيدَةٍ ثُغْيَّةٍ، وَأَنَّ الْمَفَرَدَاتِ الْمَقْبِسَةِ هُنْيَ مِنَ الْكَثْرَةِ، فِي كُلِّ لِسَانٍ، يَمْسِيُّ يَسْهُلُ الْوَقْوعَ عَلَى غَادِجَهَا بَيْنَ كَلِمَاتِهِ، وَأَنَّهَا (الْكَلَمَاتُ الْمَقْبِسَةُ) إِذَا تَدَخَّلَتِ فِي الْلِسَانِ، فَإِنَّ خَلَابَاهَا تَنْدِمُجُ بِخَلَابِهِ، وَعَجَمَتُهَا تَتَلَاشَى فِي مَا تَرْتِدُهُ مَادِهَا الصَّوْتِيَّةِ مِنْ أَشْكَالٍ صَرْفِيَّةٍ جَدِيدَةٍ،

وَأَنَّ اقْتِبَاسَ الْبَيْنِيِّ الدَّلَالِيَّةِ، مِنْ خَلَالِ تَجْرِيَةِ التَّعْرِيفِ بِهِ عَلَى الْأَقْلِ، يَفْعَلُ هُوَ ظَاهِرَةٌ مُقْبِلَةٌ، وَإِنْ كَانَ يَعْرِي بِصُورَتِهِ الْمَحْدُودَةِ الَّتِي بَيَّنَا،

في حين نرى ذلك، نرى أن الاقتباس البُنْيَى الترتكببية هو *أثْرَنْ نَلَدَرْ الْوَقْطَعْ حَقْ*
ليصعب علينا الوقع على خادجه، وأن ما يقع منه إنما يقع من طريق الضُّرُبِ،
ويلاقي من الاستهدا به ما يُتَّقِّيهُ دَخْلًا في أعني *أصْحَابِ اللِّسَانِ*، وما يتَّلَعَّلُ مِنْهُ
الشعور بغرابة عاملٍ إسْقاطِه وتخليصِ اللسان منه.

ومن نتائج هذا الاقتباس، خادجه العامة الشائعة اليوم في العبارة الإعلامية
خاصة، تذكر هذا التعلق بتقديم الاسم على الفعل حيثًا ينبغي لل فعل أن يقدم،
وهو صنيع تسرّب إلينا من اللسانين الفرنسي والإنكليزي، وتباه كثابنا الإغلاقيون
بحجة أن تقديم الاسم على الفعل إنما يخرج العبرة من رتابتها، وينعش فيها روحًا
جديدة تحذب إليها القارئ، والساعي.

ومن هذه النتائج ما نراه، أيضًا في العبارة الإعلامية خاصة، من إسقاطِ
يروا بِطِ العبارات المتتابعة في البعض، وإيراد العبارات، واحتداها بعد الأخرى، دون
رابط لفظي يربطها، من واو أو فاء أو ما شابه، مما يتطلب الكلام العربي ويختلفُ
به، مثلاً، الكلام الفرنسي الذي تتجاوز العبارات فيه وتنتابع دون ما حاجة إلى أيِّ
رابط لفظي يربط بعضها ببعض، وربما كان كثابنا، في صنيعهم هذا، فضلًا عما
نفترضه من محاكاة لـ*اللسان الأجنبي*، إنما يتصدرُون عن تصور أن إسقاط الروابط
اللفظية من العبارات من شأنه أن يخفف من الثقل اللفظي للبعض، ويُضفي على
الكلام روحًا جديدة تُخرِجُه، هي الأخرى، من رتابته المعتادة.

ولو أن هؤلاء الكتاب تذكروا، أن ثقب تتابع الفعل والاسم في الكلام العربي، وربط العبارات المتتابعة بما
يتطلبها تتابعها من روابط لفظية معروفة، إنما يخضعان لقانون عام ثابع من طبيعة
اللسان العربي، ولا يخضعان لقوانين الألسنة الأخرى، أو لرغباتنا الشخصية
تسقطها على اللغة إسقاطاً، وأن الرتابة التي يتوهمون التخلص منها هي، إن وجدت حقاً، ظاهرة قبيحة

يفرزها مستوى عبارتنا العادلة الواقعة في نطاق الآلاف اليومي، كالمهارة الإعلامية، كما يفرزها المضمون العادي، وأن اصطفانع شكلٍ جديد للكلام، شكلٍ مقتبس، لا يُنجي من الواقع في رتابة جديدة نابعة من مستوى العبارة ومضمونها العادي،

لو أنهم علموا ذلك، لرأيناهم يكتفون عن إخلال رغباتهم وتصوراتهم الشخصية محل حقائق اللغة وقواعديها العامة، ولكنوا يتجرّون على سلبيتهم التي، إذا أتيح لها تكون طبيعى، فإنها قلباً تخطى الاتجاه السوى.

ومن هذه الناذج، خارج اقتباس البنى التركيبة، تذكر إعادة الفمير إلى متاخر عنه، في ما لا يقبل من هذه الإعادة وما يُستغرب ويؤدي إلى غموض المعنى أو التباس.

ـ ومنها استعمال «إذا» حيثما ينبعى استعمال حرف الاستفهام «هل»، «وما ينشأ حول هذا الاستعمال من بُنية تركيبة»، وذلك في نحو قوله: «أنا لا أدرى إذا كنت تريدون السفر أم لا». وهي بُنية مقتبسة إما من اللسان الفرنسي، وإما من اللسان الانكليزي، اللذين يؤدى الحرف الذي يقابل «إذا»، فيما (ii) من المعاني ما لا تؤديه «إذا» في لساننا، ويفرز، لذلك، من البنى التركيبة ما لا تفرزه أداتنا العربية. يقول الفرنسي: *Je ne sais pas si vous voulez partir ou non*. ويقول العربي: أنا لا أدرى هل تريدون الذهاب أم لا.

ـ نأتي الآن إلى ما اعتربناه الناحية النظرية - التعالية من المسألة، مسألة: هل نقتبس البنى التركيبة، لنجيب عن السؤال التالي:

ـ لماذا كان اقتباس البنى التركيبة مختلفاً عن اقتباس المفردات الذي يعتمد ظاهرة طبيعية من ظواهر النشاط اللغوي الرامي إلى إغناء اللسان وإيمائه، ومتىًّاً عن البنى الدلالية التي رأينا جواز اقتباسها بال نطاق المحدود الذي يبيّنا؟

ـ لماذا كانت البنى التركيبة، أمام عملية الاقتباس، حرماً لا يُمس، أو لا يكاد

يمس؟

إن البنية التركيبية، بما هي، المركيبة المحوسبة كثُرى تتضمّن المركبات النحوية التي تأتي دونها في سلسلة المركبات النحوية الصالحة، إما فعل، من الفسان، وجففة الذي يُعرَفُ به بين الألسنة وبيته حوشة، فإذا سمع، أو أتيح، لبني الآلة الأخرى أن تدخل في جسده وستكاثر هذا الدخول فيه كثكاث المفردات المقيدة، كان من شأن ذلك أن يؤذن بطبعين بعلم اللسان، وببلبة الألسنة التي تتبادل الاقتباس، كما يؤذن بتلاشها.

البني التركيبية للسان مقوم جوهري لا يكون اللسان إلا به

على أن البنية التركيبية، بما هي شكلٌ نحوٌ - سانينا كميٌ عام، إذا كان انتقالها بين الألسنة، على نذرٍ هذا الانتقال واستغراقه ومقاومة وقوعه، أمراً ممكناً للوقوع، فإن فيها (في هذه البني) عناصر حسّن تصور انتقالها بين الألسنة يبدو أمراً متذمراً، إنها هذه العناصر النحوية التي ينشأ منها تدخل في تكوين البني للتركيبة وتكون لها كالمفاصل (الكلمات النحوية، نظام الأفعال، إعراب الألسنة المغربية)؛ فنحن لا نستطيع أن نتصور، مثلاً، أن تقضي من اللسان الفرنسي أيّاً من ضمائره (en, y, mon, je...)، أو أيّاً من حروفه (الحاءة، sur, de, ة، pour, ...)، كما لا نستطيع أن نتصور أن ينتقل إلى لساننا أيّاً من الأشكال النحوية المكونة لنظام الأفعال في اللسان المذكور، الخ...

إن العناصر النحوية هذه هي أخص خصائص الألسنة. وإذا قلنا عن البنية التركيبية إنها، أمام الاقتباس، حرام لا يُمس، أو لا يكاد يُمس، فإن الكلام عن هذه العناصر لا يقبل، على الإطلاق، فعل المقاربة هذا، ولا يكاد. إن العناصر النحوية هذه هي بالتصير المطلق الملزم، حرام لا يُمس.

ثم تضيف إلى ما تقدم أن تعدد انتقال العناصر النحوية إنما يؤذن، من جهة ثانية، إلى تعدد انتقال البنية التركيبية التي تدخل العناصر في تكوينها، أو إلى صعوبة هذا الانتقال على الأقل...

★ ★ ★

هاء كَلِمة «اقْتِبَاس»

في قسمنا «آخر» هذا نتناول الجانب اللغوي - الاشتغالي من الاقتباس، من كلمة «الاقتباس»، بعد أن فرغنا من تناول المضمون الاصطلاحي للكلمة. وسراي، في الجانب الاشتغالي لهذا، من التطابق البهوي بين المعنى اللغوي المحسوس للكلمة، ومعناها الاصطلاحي المجرد، ما تزداد به اكتئافاً لظاهرة الاقتباس، وما يمثل غودجاً لافتاً من مآذن التطابق الموصوف.

نحن نرى أن «القبس»، (فتح فتح)، الذي هو شعلة من نار ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي أَتَسْأَلُ نَاراً لَعَلَّي أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبْسٍ...﴾ (آلية ١٠ من طه)، هو الأصل المحسوس الذي اشتقت منه الكلمات الماددة (من «قبس»، الفعل المجرد، إلى «اقبس»، المزيد، إلى «الاقتباس»، المصدر المعروف، إلى «المقابسة»، التي هي التجاذب الفكري الخالص من نزعات الهوى، ...).

والقبس هو الجذوة، أي النار التي تأخذها في طرف العود.

وقبس النار، أو اقتبسها، أخذ لينفثه قبساً منها، أي شعلة أو جذوة.

والذي يقبس من نارك، لا يأخذ نارك كلها، بل يأخذ منها جزءاً يغترم به ناراً أخرى في مكان آخر، أي أنه يزيد نارك المشتعلة مشتعلة، ويُكفر هذه النار وينشر الفساد المتولد عنها.

فلما ارتفع العربي بالكلمة، من حقلها الدلالي المحسوس الذي بينا معناه (معنى

أخذ النار)، إلى حقلها المجرد، وجعلَ لها معنى أخذ المعرفة من مصدرها، إنما كان يلمح أمرين:

الأول أن المعرفة تُشَبِّهُ النُّور المولَد عن النار.

والثاني، وهو مرتبط ب موضوعنا وأكثر دقةً من الأول، أنَّ أخذني جزءاً من معرفتك يكثُر هذه المعرفة (يتشديد الباء) ويزيدها انتشاراً بين الناس.

ثمَّ لما خطا خطوة أخرى في توسيع الحقل الدلالي للكلمة، وجعلَ من معانٍها المجردة معنى انتقال الكلمات من لسان إلى لسان، كان لنا، منْ هذا المعنى، ما أشرنا إليه في مطلع هذا القسم من تطابقٍ بين المعنى اللغوي المحبوس للكلمة ومعناها الاستدلالي المجرد الذي يعنيها، معنى اقتباس الكلمات. فلون مقتبس النار الذي يأخذُ من نارك جزءاً، أي جذوةٌ يضرمُ بها ناراً آخر في مكانه آخر، هيقتبس الكلمات التي يأخذُ من كلماتك (أي من لسانك) جزءاً هو هذه المادة الصوتية المشحونة بالمعنى، التي يحملها إلى لسانٍ آخر (إلى لسانه) كجذوة النار ينزلها في ما شاء من الأشكال الصريحة لتؤدي له ما شاء من معانٍ «المجددة الصوتية» المقتبسة.

وإذا كان العربي قد اشتَقَ، أو «اقتبس»، كلمة «اقتبس»، يعني اقتباس الأفكار والكلمات من فكرة اقتباس النار والضوء المولَد عنها، كما بيتنا، فإن ذلك إنما يعود لأسباب اجتماعية - لغوية - بيئية إذا كانت قيمُ العربي وترتبط بتكوينه، فإنها لا تخصُّ غيره بالضرورة. وعلى ذلك، فإن اللسان الفرنسي، مثلاً، لأسباب تاريخية لا تعنينا في بحثنا، وليس في متناولنا على كل حال، إنما يفتقر إلى كلمة تقابل الكلمة العربية أو تكون مترافقاً معها الاستثنائية الدلالية، الحالية، إلى حد بعيد، من عنصر التحكم. على أن ذلك لا يعني أن الفروسي يفتقر إلى كلمة يعبر بها عن الاقتباس، هذه الافتقار لا يشكو منه أي لسان، الذي يعني ذلك أن الكلمة الفرنسية لا تصاهي الكلمة العربية المقابلة. الفرنسي يستعمل كلمة تقابل عندها كلمة «استعار»، أو «اقتبس» (Emprunter). إنه يقول: أنا أستعار كتاباً من جاري كما يقول: اللسان الفرنسي يستعير بعض كلماته من بعض الألسنة. وإذا كان ذلك أمراً

طبعياً غير مستغرب يقوم به الفرنسي - لأن استعماله لكلمة «استعار» يعني «اقتبس»، قد شحن الكلمة بهذا المعنى، فإن المستغرب الذي ليس طبيعياً هو أن نعمد، نفنِّ الذين غلوك الكلمة «اقتبس»، بعنادها الدلالي المتوجه، إلى استعمال كلمة «استعار»، أو «اقترض»، بدلاً من «اقتبس». وهذا ما لاحظناه لدى عديد من الكتاب.

* * *

the first time in the history of the world, the people of the United States have been compelled to make a choice between two political parties, each of which has a distinct and well-defined platform, and each of which has a definite and well-defined object in view. The people of the United States have been compelled to make a choice between two political parties, each of which has a distinct and well-defined platform, and each of which has a definite and well-defined object in view.

• • •

وَالْمُؤْمِنُونَ

— [View all posts by **John**](#) — [View all posts in **Uncategorized**](#)

¹ See also the discussion of the relationship between the two in the introduction to this volume.

الفصل الخامس

مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْكَ لِهُوكَنْ يُوْلَفُ مَعَكَ (الصَّدِيق)

نشرت في جريدة «النهار» بيروت ابتداءً من ١٨ /٤ /٨٣

مَنْ يُشَدِّدُ عَلَيْكَ لِهُوَ كُنْ يُؤْلِفُ عَنْكَ (السبه)

في ١٥ أيلول ١٩٨٢ ، نشرت الصفحة الثقافية من جريدة «النهار» مقالاً لغوريا عن نائب الفاعل ، بتواقيع «حسن غور دندشي»، رئيس مجلس إدارة المصرف الثقافي». وفي ٨٢/٩/٢٧ ، نشرت لنا الصفحة نفسها مقالاً نقاشنا فيه ما ورد في مقال الدندشي من أفكار وآراء ومقولات ، مناقشة نعتقد أنها كانت ، إلى حد مقبول ، مناقشة موضوعية ، معززة بالأدلة والبراهين.

وكان مدخلاً إلى الموضوع ، في مقالنا المبين ، عبارة^{*} واحدة امتدت على الفقرة الأولى منه اعتذرنا فيها إلى قارئنا عن إقدامنا على تناول موضوع «نائب الفاعل» في ذلك الظرف المدحوم الذي كانت عاصمتنا بالذات تمر به ، ظرف الخصار الإسرائيلي المعروف.

وفي ٨٣/٣/١٧ ، طلع علينا السيد دندشي بمقال جديد جاء في نطاق الحديث عن قاموس «أسماء الناس ومعانيها» ، الذي هو من تأليفه ، وهو حديث تحاذنه الأستاذ دندشي مع الأستاذ أدوار الزغبي ، في عدد من مقالات الصفحة الثقافية من «النهار».

وكان الموضوع الرئيسي الظاهر لهذا المقال هو الرد على الزغبي ، في اسم يعينه من أسماء القاموس المذكور ، اسم «عنترة» ، وما يرتبط بهذا الاسم من مسائل تفرّعت عن بحث هذا الاسم مما يلاحظه قارئ المقال.

وفي ٨٣/٣/٢٦ ، نشر السيد ن. ن. في الصفحة الثقافية نفسها ، وفي سياق الحديث بلقاء ، حديث قاموسه «ألمسه النعم» ومعانيها بمقالاً شارك به في النقاش الجاد ، وأيدى بعض الأفكار والأراء ، فيليب زمير (لبنان).



ونظراً لما ورد في مقال الدندشي في ٤/١٧، ومقال ن.ن. في ٢٩٦، من أفكار وآراء تمس بعض المبادئ اللغوية العامة، أو تمس بعض القواعد التحوية - وهي أفكار وآراء أقل ما يقال فيها، أنها تقبل النقاش، أو تستوجب،

ويمكن أن مقال الأستاذ دندشي يتضمن جانباً يتناولنا شخصياً بما يغاير الحقيقة مغايرة تشير إليها في موضعها من مقالتنا هذا، ويرتبط، وهو الآخر، ببدأ عام هو بدأ النقاش العلمي الموضوعي البارد، المجرد من تزاعات لغويّة قد تؤدي للبحث، فقد رأينا، ببساطة بريئة، أنَّ من حق اللسان العربي علينا، وعلينا من أصحاب الاختصاص، أن نتناول الأفكار والأواع المطروحة، وما يتصوّر من مبادئ، بنقاش يجعلوها وتيكامل به. حتى إذا فرغنا من ذلك، خلصنا بأشارة إلى ما ذكرناه من جانب شخصي لا نسمع لأنفسنا بالوقوف عنه إلا بقدر ما يحيط به أعلاه.

* * *

المبدأ الأولى الذي نقف عنده هو هذا الاستشهاد المطلق بالشعر، وهو استشهاد يُشترك القدامي بأنهم درجوا عليه: لأنَّ تجزعه للشعر من التتر، في عملية الاستشهاد النحوية، وفي كثير من المثال (جواز تجزُّع الماخفي الواقع حالاً من وقد)، جواز منقوط الفاء الرابطة لجواهير الشطر، جواز أن يحيط أدواته الشرط لمأساة كما تليها أفعال،...) لا يتناسب مع ما نراه بين «لغة الشعر» و«لغة التتر» من فروق نحوية - تركيبة هي المولدة، في رأينا، لآفاق البحرين أو للتحولية عنها....

ونحن إنما نناقش هذا المبدأ على هامش استشهاد الدندشي ببيت النابغة:

بُشِّتْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَتْيَ لَا قِرَارَ عَلَى زَارِ مِنَ الْأَسْدِ

بُشِّتْ، هكذا، ببساطة، أن «قابوس» ممنوع من الصرف.

وإذا كان توسيع الكلام على هذه المبدأ يمكن، في رأينا، أن يكون بخطأ مستقلأً متسع الجنبات، فإننا، في عجالتنا هذه، لا يسعنا إلا أن نتناوله من خلال مسألة

بعينها تطرق إليها صاحبنا في مقاله، مسألة «تابوس»: هل هو من نوع من الصرف أم هو منصرف؟

هل يكفي أن تكون الكلمة قد ورأت غير متونة، في بيت من الشعر، كي يت
النابغة الذي أورثنا، لينقطع عنها من الصرف؟

ألا يمكن أن يكون سقوط التنوين من الكلمة ناجحاً عن ضرورة الوزن - وأنت
تعلم أن هذا المقطع هو ظاهرة بلغت من التواتر في شعر الأقدمين درجة جعلت
النحاة الكوفيين يقعدونها^(١)؟

ألا يمكن أن يكون سقوط التنوين هاماً من الاسم المنصرف - كظهوره في المنوع
من الصرف - مظهراً من ظاهر «لغة الشعر» التي ترى أنها تتميز من «لغة النثر»،
بـ«نـاـهـاـلـلـزـكـيـرـيـةـالـلـلـقـيـ يـفـرـزـهـشـافـرـزـاـ عـلـيـعـاـ مـاـخـسـمـيـهـ،ـ مـعـ لـاـيـونـزـ،ـ الـفـضـطـ
الـبـيـوـيـ»^(٢)؟

ثم نتعلق من هذا الذي قدمنا لنطرح المبدأ الذي ذكرنا، ومضمونه: أننا، في
عملية وصف اللحد، أو تقييمه، وأمام الشاهد التي يستخرج منها قواهدنا
النظورية المجردة^{*}، أو تويلاً ما يعرض لنا من هذه القواعد، ينبغي، في ما يخص
لساننا العربي الذي يصنينا، أن نميز الشعر الموزون من النثر، وأن نكون حذرين في
عملية الاستشهاد بالشعر، فنحذر حذراً قدامي للذين ميزوا الشعر من النثر في
عملية الاستشهاد. وربما جاز لنا، أو وجب علينا، في هذا السياق، أن تستطرد فنشر
إلى وجوب تغيير العبارة القرآنية أليهاً من عبارة النثر، فلا انتهافت على القرآن

(١) راجع تعديل هذا الموضوع وتوسيعه، الكتبة في المائة ٤٠ من كتاب «الإضاف في مسائل
الخلاف بين التنوين البصريين والكوفيين»، مؤلفه كمال الدين أبو البركات الأبياري المتوفى سنة
٥٧٧هـ.

(٢) راجع، هذه التسمية ومضمونها، كتاب «الأسئلة العامة»، مؤلفه جون لايونز ياردين ١٩٧٠، ص
John Lyons, *Linguisitque générale*/٣١

ال الكريم تستشهد به لتأييده، بعض مسائلنا المأمور قد درون أن تنتهي إلى الطبيعة التركيبية الخاصة لعبارة القرآن، أي دونه أن تنتهي بالدrama النسبي، شخصياً والتركيبية الإيقاحية، للعبارة المنزلة.

ويسئلمنا هذا الذي يلتفت إسلاماً جديراً بالذكر في ملخص ندوة السيد ن. ن. في مقاله المذكور من مساواة الشعر الموزون بالكلام المنشور، في مسألة صرف الاسم أو منه، مثلاً. كان المسألة هي مسألة قرار ترتيبه هكذا بقافية شخصية، وتصدر فيه، مثلاً، عن سهولة قاعدة من القواعد أو صعوبتها، أمراً تعتبره، لحن، صعوبة أو سهولة. كلنا نعيّن أن اللغة هي نظام متكامل، ملائكة، متافق، من التركيب التحويي والدلالي، أي نظام من النواميس العامة التي تخضع لها الظاهرة اللغوية التي تمثل في الألسنة البشرية المختلفة، وتتجسد في كلام الأفراد اليومي، الخ ...

ومساواة الكلام المنشور بالشعر الموزون (أو بالعبارة القرآنية) هو إغفال لحقيقة جوهرية من حقائق اللغة عامة، وحقائق اللسان العربي الذي يعنينا خاصة، أن البني التركيبية التي يفرزها الكلام الموزون يتميز بضيقه البنيري (أو تفرزها العبارة القرآنية) لا يمكن إلا أن تختلف عن تلك التي يفرزها الكلام المنشور التميز بتراثيه البنيري. وهذا ما تصدّرنا به عندما ذكرنا لغة للشعر، ولغة للشعر، ثم أضفنا لغة للقرآن. وهذا ما يمكن أن يفهم من كلمة له حين المشهورة: الكلام العربي نثر، وشعر، وقرآن.

★ ★

نأتي بعد ذلك إلى هذه «التاريخية»، التي جعلتها الدندشى للسان العربي، نتأملها ونبدي رأينا فيها.

يتهم من كلام الرجل أن اللسان العربي، يحيطوا الكافي المائل الآن بين أيدينا، إنما ينتهي إلى حقيقة زمنية محددة، حقيقة نشأ فيها هذا اللسان، و تكون، و اكتمل خلقه، وبلغ صورة توقف متعلقة بالشجر، والتطور، والشكيف مع المتغيرات الطارئة

على الجالية العربية، العبارت الأجليل المعاقبة، التي أتي بعدها هذه الملحقة، كأنها أجحى
أبجبيات من اللسان، كملقاء دون أن تتفاهم منه وتساعم في إغفاله،
هذه المقولة تفهم من قول الدندشي: «أتعنِ اليوم، بعد آلاف السنين»، أدرى
باللغة العربية من أهلها أنفسهم؟! وقوله: «وهلن بأبعد اللغة كذا هي»،

هل هذا صحيح؟

هنا أيضاً خد نفسي أهمل موضوع مهم، مثل موضوع خطير، تظهر أهميته وخطورته بالنتائج النظرية والعملية للتربيـة عليه، فهو، لذلـك، موضوع منسع الجنيـات يتطلـب من البحث ما يتجاوز حدود مجالـتنا هذه، مما يـؤديـنـاـ إلىـ تكتـيفـيـ معـهاـ بـإشارـةـ تـقـرـيرـيةـ سـريـعةـ تـناـولـ تصـورـناـ لـالـمسـأـلةـ.

إن تعاملنا مع اللسان العربي، بمستوياته المختلفة، المتداة من لغة المخاطب اليومي العفوي، الجاري مشافهةً بين الناس، إلى لغة الكتابة الأدبية المتأثرة، وما بين هاتين اللغتين، إن هذا التعامل يثبت أن لساننا العربي ليس لساناً تاريناً، حق مستوى الكتاب - الفصحى، بل هو لسان آنيٌ حيٌّ، وأننا نحن الآن من أهله، أو، بكلمة أدق، من أبنائه، كما كان الجاهليون، مثلاً، من أبناءه، وكما كان الجاهليون يتفاعلون مع لسانهم، ويغزون منه صوره ما يناسب بيئتهم ومرحلتهم الحضارية - اللغوية، فإننا، نحن أيضاً، نتفاعل مع لساننا ونفرز الآن من صوره ما يتلاءم مع بيئتنا ومرحلتنا الحضارية - اللغوية، وما يشكل لنا لغة حديثة^(٢) لها من الخصائص المعجمية، والتركيبية، والدلالية، ما تتميز به، مثلاً، من لغة الجاهليين والعباسيين، تتميز لا يؤدي بأيٍّ من هذه اللغات إلى الخروج من اللسان الواحد الذي تنتهي إليه،

(٢) إن ما نذكره، في هذا المياق، من «لغة حدیثة»، يمكن أن يُعدَّ دللاً ضمیریاً، أو، على الأقل، عائلة ضمیرية لمقوله اللغة العربية الحديثة، التي ينادي بها الشاعر يوسف الحال (راجع «نهار» الأحد ٢٧/٣/٨٢)، وهو موضوع رُكِّبَ عَنْدَنا. الله يُسْتَغْفِرُ لِمَا تَرَى.

(٤) في هذه الفترة انتلاب زافيس في نظرت الاستلاحي الموزع بين ١٩٣٨ و١٩٤٠ وهذا الانلاب

لأنَّ وُضْفَنَ هذِهِ الظَّرِيفَةِ قَدْ مَنَّا، وَالْمُسْتَوْكَدُ عَلَيْهِ بِعِصْنَاهِ «تَارِيْخِهِ»، الْبَهَانُ الْعَرَبِيُّ، إِنَّمَا يَعْصِي بِنَاهِيَّا إِلَى الْقَوْلِ يَأْجُونِيَّهُ هَذِهِ الْبَهَانُ عَنَاهُ، وَمَيَاوَاتِهِ بِالْأَلْسُنِيَّةِ الْأَجْنِيَّةِ الْأُخْرِيِّ، وَمُعَامَلَتِهِ كَذَلِكَ... فَهُولُ يَوْافِقِ السَّيِّدِ دِنْدَشِيِّ عَلَى هَذِهِ التَّرِيْجَةِ؟

فَمَا نَتَأْوِلُ مَسَأَةَ الْأَعْلَامِ الْمُنْصَرِفَةِ، نَتَعَصَّدُ مَسَأَةَ أَسْتَعْمَالِنَا الْمُحَدِّثُ لَهُ، وَهُوَ أَسْتَعْمَالٌ رَأَى فِيهِ الزَّاغِيَّ مُشَعَّاً مِنَ الْعُرْفِ، وَجَعَلَهُ الدِّنْدَشِيُّ دَاخِلًا فِي بَابِ الْمُحْكَمِيَّ، أَوْ بَابِ الْمُسْمَيِّ بِهِ. وَظَاهِرًا أَنَّا، هُنَّا، أَمَامُ مَسَأَةَ تَحْوِيَّةِ خَاصَّةٍ، لَا أَمَامٌ بِدَا عَامٌ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَسَأَةُ الْخَاصَّةُ تَتَصَبَّلُ بِعِبْدِا عَامٌ مِنْ مَيَادِيِّ الْبَحْثِ مَا لَا نَرَى بِعِجَالٍ لِلتَّطْرُقِ إِلَيْهِ.

ما الَّذِي نَرَاهُ لَنَّنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْمَسَأَةِ؟

نَبَادِرُ، أَوْلَاءِ، إِلَى وَصْفِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَجَدَّدُ عَنْهَا الْأَسْتَاذَانُ الْمُذَكُورَانِ وَأَخْتَلُفُوا فِي تَقْعِيدِهَا.

لَنَّنَّ شَعْمُ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْقُسمُ، فِي لِسَانِنَا، إِلَى عِلْمٍ مَنْصُوفٍ وَعَلَمٍ مَنْزُوعٍ مِنَ الْعُرْفِ، وَأَنَّ لِذَلِكَ دِرْجَةً مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُعْرُوفَةِ، مَا لَا يَجَدُ لِتَفْصِيلِهِ فِي سِيَاقِنَا هَذَا.

وَصَرَّفَهُ عَلَيْهِ كَمْبِرِفُ سَوَادِ، إِنَّمَا يَعْنِي تَنْوِيَّةً وَهَجْرَهُ بِالْكَبِيرِ. وَعَدْمُ صِرَافِهِ مَعْنَاهُ عَدْمُ تَنْوِيَّهٍ وَهَجْرَهُ بِالْفَتْوَحَةِ يَدْلِيُّ لِلْكَسْوَةِ.

وَنَعْلَمُ أَنَّ خَلْقَهُرُ الْفَسْرَقِ فِي الْعِلْمِ يَكُونُ بِتَنْوِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بِهِرَهُ، بِالْكَبِيرِ، وَأَنَّ عَدْمَ صِرَافِهِ يَكُونُ بِإِسْكَاطِ تَنْوِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بِهِرَهُ بِالْفَتْحَةِ. وَيَتَبَيَّنُ لَنَا تَطْبِيقُ كَامِلٍ هَذِهِ

○ أَمْرٌ غَيْرُ مُسْتَغْرِبٍ مَا دَامَ مُرْتَبَطًا بِسِيَاقِ مَعِينٍ، كَالسِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَ عَنْدَنَا فِيهِ، وَمَا دَامَ مَغْهُومًا مِنْ هَذِهِ السِّيَاقِ. فَإِنْ لَهُ، فِي الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ ثَلَاثَةُ، مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِهِ، وَنَعْنَى هَذِهِ الْلِغَاتُ الَّتِي يَعْدِكُنَا عَنْهَا النَّحَاةُ عِنْدَهَا يَذَكَّرُونَ، الْكَخَالَةُ الْأَرْكَيَّةُ الْوَاحِدَةُ، صَوْرَةً مَعْدَدَةً يَسْمُونُ كُلَّ صُورَةٍ مِنْهَا لَهُ، فَيَقُولُونَ مَعْتَلًا، إِنْ يَعْرَابُ الشَّيْءَ إِعْرَابُ الْأَسْمَاءِ الْمُتَصَوِّرَ، أَيْ بِالْأَلْفَ مُغْلَظَةً، هُوَ لِغَةُ غَيْرٍ مُشْهُورَةٍ، الْيَنِّ... (رَاجِعُ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ).

القاعدة إذا ما حذنا إلى التصوّر العربي التقديم، فهو إنما هيّا صرفاً من تصوّر
مدرسية أو أدبية. حتى إذا وسّعنا دائرة استعمالها، تبيّن أن هذه القاعدة لا تُطبّق في
قطاعٍ واسعٍ من قطاعاتنا الكتابية المعاصرة، ولا سيّا قطاع الكتابة الإعلامية.

والذي يجري بالضبط، في هذا القطاع بما يرتبط بمسألتنا، هو، لا منع الأعلام
من الصرف، أي إسقاط جزءٍ من إعرابها، بل إسقاط الإعراب من هذه الأسماء
إسقاطاً كلياً، أي تسكينها، متصرفةً كانت أم غير متصرفة، أي معاملتها معاملة
الأسماء المبنية على السكون. ولهذا الاستعمال، عندنا، تعليلٌ تبيّنه في ختام هذا
القسم من بحثنا.

فلا واجةٌ صاحبنا (الزغبي والدندشي) لهذه الظاهرة، أصدر كل منها حكمًا
متّباً لحكم صاحبه. الأوّل حسّب أن المسألة هي مسألة منع من الصرف، والثاني
كانت له «رأيّة» أخرى فحسبَ أن الأعلام إنما تزخر عالماً واحداً؛ لأنّها عولمت
معاملة المتكلّمات، أو معاملة المُستَمِي به.

ونحن نرى أن الوجليين قد أجهزا هنكلَن لكلّ منها... أجزٌ واحدٌ... لا أجرون.

ذلك أنه لو كانت المسألة مسألة منع من الصرف، لكان ما يتناول الأعلام فيها
لا يتعدّى إسقاط التنوين منها (من الأعلام) وجزئها بالفتح، ولبيّن له تغريبها
بحركتي الإعراب الآخرين اللتين يحرّك بها المعنون من الصرف، الضمة للرُّفع،
والفتحة للنَّصب والجُرْ. والحال أنّ ما يتناول الأعلام، في عبارتنا الإعلامية مثلاً،
ولا سيّا ما كان منظوراً منها، إنما يُجاوز ما ذكر إلى تسكينها، أي معاملتها معاملة
المبنيات على السكون. وفي هذا دليل واضح على أن المسألة ليست مسألة منع من
الصرف كما توهّم الزغبي.

أما الحكاية، التي ذهب إليها الدندشي في تعليل الظاهرة، ثم انضم إليها السيد ن. ن.
الذّي مزّج الحكاية بالبناء، فإنّها، في وأيّنا، حكاية. وليس في استعمالنا الحديث
للمنع من الصرف (الاستعمال الذي نحن بصدده) أيّ مظهرٍ من مظاهير المتكلّمة
بعناصرها النحوية المعروفة. ولو كان الأمر على غير ما نصّيف، ورُحّنا نطبق مفهوم

الدندشي للحكاية على كلماتها، لتعين علينا أن ندخل في هذا الباب كل مبني من المبنيات، أي لستقط باب المبنيات برمته.

بقي، من تنمية الكلام على هذه المسألة، أن نشير إلى نقاط نعتقد أن تصورنا بها يتكامل بها:

- إن معاملة الأعلام معاملة الأسلمة المبنية ليس خصوصاً في المعنون من الصرف، كما يرى الدندشي - والزغبي و ن.ن.. إنه، كما ذكرنا، يتناول كل علم، منصرفأً كان أم غير منصرف.

- إن هذه المعاملة إنما تكون في مستوى بعنه، أو مستويات بعنهما، من مستويات الكلام المنثور، مستوى الكتابة اليومية المائلة في لغة الدوادين الإدارية، في لغة رسائلاً العادية، في اللغة الإعلامية. فإذا ارتفعنا باللغة حتى تبلغ المستوى الأدبي، رأينا أنفسنا نلتزم، إزاء الأعلام، بإعرابها تماماً كاملاً جارياً في نطاق القواعد المرعية، حتى إذا بلغنا الشعر الموزون، أصبح إعراب الأعلام، منصرفأً أو معنوناً من الصرف، إلزاماً نحوياً - عروضياً لا تجحيد عنه.

- إن قوين الأعلام، أي إعرابها الكامل، ولا سيما الأعلام المعنونة من الصرف، يصبح، من الناحية الدلالية، عنصراً وظيفياً يتخلّى في نطاق الإلزام التحرري، عند تكثير هذه الأعلام، أي عندما يُصبح للتثنين دالاً على التكثير دلالة السياق عليه^(٥).

- إن إسقاط الإعراب من الأعلام إسقاطاً كلياً، أي معاملتها معاملة الأسلمة المبنية، عائد، في ما نرى، إلى أن الإعراب الذي يلحقها ليس إعراباً وظيفياً (ما نسميه نحن «إعراباً وظيفياً») يرتبط بالجانبين: التحرري، والدلالي للكلام، كإعراب بعض المتصوريات، مما لا مجال لتفصيله. إنه إعراب شكلي خالص

(٥) بقى أن تناولنا، ببحث مستقل، مسألة تكير الأعلام في «نهار»، ٢٥/١١/٨٢. في وسع القارئ الرجوع إلى المسألة إذا كانت تعجبه.

معرض للسقوط، ما دام الكلام لم يبلغ حداً أدنى من المستوى الأدبي - الفن. حتى إذا بلغ هذا المستوى، انقلبت الشكلية فيه إلى وظيفية، وإن كانت وظيفية فنية - لفظية، أني وظيفية شكلية. (اللتوسع في مسألة إعراب الأفعال العربية راجع مقالة لنا منشورة في جريدة «النهار»، ال بيروتية، عدد الأحد ٨٦/١/٥).

نصل أخيراً إلى الجانب الشخصي من مقال السيد دندشي المنشور في «النهار» ١٧/٣/٨٣، وهو الجانب الذي قلنا إنه يمسّ مبدأ عاماً، وقلنا إننا لا نسمع لأنفسنا بتناوله إلا بمقدار ما يمسّ هذا المبدأ.

ما هو الجانب الشخصي أولاً؟

قال السيد دندشي، في المقال المذكور، إننا «ناقرناته» وطنياً لا تحيويها.. فلما أراد «مناقرنا» فعلأ، وقف ديك «النهار» في وجهه، وألقى علينا جناحه....

ونجلوز هذه «الخطابة» التي يرى السيد دندشي أن جريدة «النهار» قد وفرتها لنا شخصياً (ولا تبرئ ملاداً)، ويعتبرنا مد ظلل مطوية في أوراقه، لينتفت أمام مسألة تقع، من مجاوزة واقع ما كتبته، و... السهو عنها اكتبهناه في درجة لا ترى معها كيف يستقيم حوار بريء، موضوعي، بناء. إنها مسألة القول بأننا «ناقرناته»، أي ناقشه، وطنياً لا تحيويها؛ لنوضح له، ببساطة كلية، أن ما اعتبره تناولاً ميناً للجانب الوطني من مقالاته المنشور في ٩/١٥/٨٢ عن «نائب الفاعل» لا يشكل، من مقالتنا الذي ردنا به عليه في ٩/٢٧، إلا عبارة واحدة هي، من المقال، فقرة الأولى المهددة، المساوية، رياضياً، لجزء واحد من عشرين جزءاً يتألف منها مقالتنا.

ولمزيد من التحديد، تنتقل من الكل إلى النوع، من الشكل إلى المضمون، فهذا نجد؟

إن ما ورد في عبارتنا هذه المهددة كان، ببساطة بريئة، اعتذاراً صادقاً أحستنا

شخصياً، أن إبداءه للقاريء - المواطن، وإبداءه لنفسه، في ذلك الطرف المدفأة، وأمام موضوع لغويٍّ نظريٍّ متزلف يشبه الرقص في المآتم، هو المسلك العلني الوحيد المتاح للتعبير عن المفهوم الوظيفي الشكال ^{التي كانت رابضة فوق صدورنا}، وما تزال، دون أن يتضمن هذا التعبير أي تعريف بوطنيّ أحد.

أما بقية المقال، أما أجزاءه السبعة عشر فلأنها، من أولها إلى آخرها، معالجة نحوية خالصة لموضوعات نحوية يتسبّبها بسهولة جئي القاريء غير المختص.

فهل يجوز، أيام هذا الواقع، أن نرسل الكلام هكذا جزاً، ونفهم الناس علينا بما هم منه براء؟ ترى، لو لم «يتحمّنا» ديكُ «النهار» بمناجه، أفكان ردُّ الأستاذ علينا هو من معدن ما آتاه له هذا الديك في «نهار» الخميس ٢٨٣/٣/١٧ حتى إذا لم يكن ذلك كذلك، أخذتنا أمنية برقة تقع بها إلى القيم على الصفحة الثقافية أن ينشر للأستاذ مقاله «المحظور»، ليكون لنا من أفكاره وآرائه ما يلقي أفكارنا وآراءنا، وما يقترب به الموضوع المطروق من آلاكمال المنشود.

بقيت وقفتنا التي مهدنا لها أمام الجائب المبدئي من المسألة.

وبعيداً عن أن تكون هذه الوقفة درساً تلقى هكذا على الناس - وفنحن ما زلنا نتلقى من الحياة دروسها التي لا تنتهي -، نؤكد أن هذه الوقفة هي، بأمانة كليّة، درس قيم تلقيناه شخصياً منذ ثلاثين من السنين، عن علامتنا اللغوي الرائد الشيخ عبدالله العلالي، ونورده اليوم كمشاق شرف للتعامل بين الكتاب الباحثين، المخاورين المتناظرين في محارب الفكر المخالص من أدران الذات.

وطبيعي ألا تحوّل بين الشيخ وبين قوله، فنعرض أفكاره بعيارتنا، أو نحجب عبارته بعيارتنا.

قال في نشرة سهاماً مقابسة^(٦) عقب بها على الذين نقدوا، من معجمه الذي لم

(٦) قال العلالي في حاشية للنشرة نفسها في شرح كلمة «مقابسة»: «من مصطلحات القدامى الدقيقة يعني التجاذب المخالص من نزفقات الموى، والمتلحوظ فيه تبادل الأقواس وأصوات العقل».

يكتمل، القسم الرابع من المجلة الأولى الذي صدر سنة ١٩٥٣ :

« من ينقدك عليك هو كمن يؤلف معلم خطأ درج عليها كل من أخذ قضية الفكر من أخيه بقداسة، وفي القدسية، كما تعلم، تجرؤ وستُر فوق ماء الأعصاب. وفيها، إلى هذا كله، تبتلّ لعله العبادة. فيكون من يبحث كمن يصلى: كلامها يستهدف الجوهر الحق، متخطياً إليه ما اعترض من حوايل الأشياء ».

« أما الذين يأخذون القول عثنا، ويتغاضبون تغاضب العصب المائج المصطرب، فهو لا، لا يعنون بال موضوع وإن زعموا، وإنما يعنون بما شخاصهم في الموضوع... ».

« وأثنى، من بعد، لأفرغ إلى ما عقدت عليه هذه المقابلة، فقد كان، بين الذين قالوا في عمل قوله كريماً أو غيره، نظر أحترم شائتهم، وإن ثنا بعضهم القول، على أنه لا يعني إلا أن أزجي كلمة شكر جزاء وفاما يجودوا، فحظي من جهوده أن يشكر، أجاء شرعاً مع هواك، أم ضاق عنده بواقعه... ».

« ويسري أن تتجاذب أطراف الحديث تجاذباً حراً هو للمطارحة والتعود على مناهج الحقيقة، والصلة بيننا ليست أبداً صلة « تخطئة » وهي تفترض الاعتداد، وأعني تفترض في حوايلها صدق القطع والإذعان، وإنما هي صلة تناطير دائري - إذا صبح هذا التعبير - ونقطة الدائرة فيها ليس الشخص بل الصواب، وبينها الفرق ما بين الشبات والصبرورة، البطل والحق، الجمود والتغير ».



المقالة السادسة

محاجل العباره العربيه الى وطبع كلاميه بمقدمة

ومن اجتهد فاصابه ، فله أجران ؛ ومن اجتهد فاختطا ، فله أجر واحد ٠ (حدث)

نشرت في جريدة «النهار» (ابتداءً) من السبت ٢٠/٤/٨٥.

مَذْبَحَةٌ

- ٩ -

هذا نحو من التقييد لم يألفه النحو العربي. أو قُلْ: إنه لم يألفه من حيث كونه ينوجة إلى العبارة^(١) ينحصر فيها / في البنية التركيبية الداخلة في تكوينها، يتركز عليها، لا يلتفت إلى ما يشكل التوجة إليه منها تراثاً فسخاً من النظر النحوي، لا يلتفت إلى الإعراب.

ويمزيد من الإيضاح تعني: أن تراثنا النحوي الذي، منذ ألفي، ما زال يُعْدَق في جسد اللسان العربي يحاول اكتناهه ووصفه، ما زال، حتى اليوم، ينطلق من

(١) العبارة، بالمعنى المطروح، تتميز من الجملة ولا ترافقها، كما هو الشأن في الاستعمال الشائع للكلمتين. العبارة، بهذا المعنى، كلّ، والجملة جزء من أجزاء هذا الكلّ، تدخل في تركيبه كإدخال الكلمات المفردة فيه، سواء بسواء. الجملة مركب إسادي بسيط ينعدم بعملية إسناد واحدة، يكتفى بها معنى يرمي إلى المنشىء. أما العبارة، فإنها مركب إسادي مركب تدخله عمليات إسناد متعددة، متبدلة بحسب تغير التسني وتنفسه من الناحية النظرية قبل ملائحتها، تتلاطم فيه، ويترافق بعضها البعض، ويتم بآخر منها متقدماً، وتحوّل من حركة تسلسلها النامية، إلى معنى عام توحي إلى التعبير عنه. العبارة تمثل، من التركيب النحوي، المستوى الذي يقف بهذه هذا التركيب. وهذا، سيراً على الألسن، الأميركي ليونار بلومنفيلد، المتوفى سنة ١٩٢٩، الوحدة النحوية الكبرى (المزيد من التوسع في مضمون هذا المصطلح، راجع هناك مصطلحات للبحث النحوي)، في المقالة الثانية من هذا الكتاب).

الإعراب المائل في هذا اللسان: يتعذرها، أو يتحقق أحكامه المقعدة (المقعدة). حتى إذا أغوازه، من الإحاطة بوجوه التركيب، تركيب العبارة، ما يتضمن به قاعدة من قواعد الإعراب، أو يوضع سعياً من أحكامه، الفائدة يتوجه إلى هذه الوجوه يصيغها، يتعذرها، في نطاقِ من فهم القاعدة، أو شرطها، حتى يجتمع في الصفحة الواحدة من صفحاته، قاعدة إعراب وقاعدة تركيب تتصاحب قناعية الإعراب تندرج في ميقاتها.

أبحاث النحو شغلت إذن، رئيساً، بالإعراب. أما بحثنا هذا، لأنَّ ما يشغلنا، كلياً، هو العبارة، أو، بمزيد من التحديد، ما يقع، من سُلْمِ بنائها التركيبية المتوجه صُلْداً نحو الغنى أي التعقيد، في نطاق عقلنا المحلل، نقصد: في نطاق قدرة هذا العقل على التحليل والتجريد، على الوصف والتقييد.

وهذا ما يجعل البحث يندرج في جدّة من النظر يعنينا منها أمراً:

الأول: أنَّ الطرح الذي التزمناه إنما يتوجه، من العبارة، إلى جزءٍ لم يتوجه إليه النحو إلا من خلال عرض الإعراب^(۱)، توجهها صار الجوهري فيه هو العرض.

الثاني: إنما نريد لطرحنا أن يكون دعوةً لولوج باب بحثنا بكلئيه يمكن أن يكون نوعاً من الإشارة إليه.

ثم نخت هذا القسم من مدخلنا بابذاء أمرٍ نحرص على إبدائه وإيضاحه، ليس بحثنا المحدود هذا، ولا سواه من أبحاثنا الأخرى، بتطبيقاً مباشرأً لمبادئه.

(۱) أجل، الإعراب عنده عرض (فتح قفع)، على الأقل إذا قيس بجموعه البنية التركيبية التي يظلو الإعراب على سطحها، الا ترى أن الإعراب، في بعض مناسبات الكلام، وفي ما لم يكن منه أدباً يصح الإعراب فيه جزءاً من الشكل، وفي ما لم يكن إعراباً تركيبياً أو دلائلاً - في ما نسبه من كذلك - الا ترى أن الإعراب المقيد بما ذكرنا معرض أبداً للستوط، وأنه، إذا سلط، لا يكفي الكلام عن أن يكون كلاماً...!

الأُلْسَنَةِ وَمَعْطِيَّاتِهَا الْمُتَبَاوِلةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَنْ يَفِدَ مِنْ بَعْضِ زُوايا
 النَّظَرِ^(٢) إِلَى تَفَصِّيِّ الْأُلْسَنَةِ إِلَيْهَا، إِنَّمَا يَقُولُ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْأُلْسَنَةَ مُكَلِّفَةً لِلْمُتَحَدِّثِينَ فِي جَمِيعِ
 إِنَّهُ يَجْعَلُ مَا هُوَ، مُحاوَلَةً بِسَيْلَقَمِهِ إِلَى أَنْهَا جَادَةً، لِلتَّحْدِيدِ الْمُجَاهِرِ فِي جَمِيعِ
 الْلَّسَانِ الْعَرَبِيِّ، أَيْ، فِي جَمِيعِهِ، حَوْرَاصَفَ مَا يَعْنِي الْبَحْثُ مِنْ جَوَاطِنِهِ، وَمَنْفَأًا لَا يَجْعَلُ
 اتِّلَاقَهُ مِنْ مَنْ مَنَ اللَّسَانَ دُونَ إِفْلَاقَهُ مِنْ مَلْفُورِ التَّرَاثِ النَّجُومِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَلَا سِيَّا مِنْ
 مَصْطَلِحِهِ، أَوْ إِفَادَتِهِ مِنْ مَعْطِيَّاتِ الْأُلْسَنَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَلَا سِيَّا مِنْ رِوَايَاهُ، وَبَعْضِ
 مَعْطِيَّاتِهَا، وَمَصْطَلِحَاتِهَا.

٢ -

فِي بَعْثَنَا «الْلِغَةُ لَيْسَ عَقْلًا»^(٤)، وَفِي إِحْدَى صُورِ الْعِبَارَةِ الْثَّلَاثِ الَّتِي درسنا
 مَوْضِعَ الْبَحْثِ مِنْ خَلَالَهَا، كَشَفْنَا لَنَا عَمَلِيَّةَ الْبَحْثِ مُرْكَبَاتٍ نَحْوِيَّةً تَعْلَقُ بِالْبَحْثِ
 سَمِّيَّاها «الْقِطْعَ الْكَلَامِيَّة»، بِتَرْجِيَّةِ كَلْمَةِ Segment الفَرَنْسِيَّةِ وَنَعْنَاهَا، فَعَمِدْنَا، فِي
 بَادِئِيِّ الْأَمْرِ، إِلَى ذِكْرِ هَذِهِ الْقِطْعَ يَا شَازِهِ هَذِهِ الْتَّدرِيجَتِ فِي السِّيَاقِ الْعَابِرِ.

إِلَى أَنَّنَا، بِتَوْعِيلِنَا فِي الْبَحْثِ، وَتَوْعِيلِنَا، عَلَى التَّحْدِيدِ، فِي رِبْطِ بَعْضِ جَوَاطِنِهِ
 بِ«قِطْعَنَا»، الْمُتَبَاوِلَةِ لَمَنْخَنَا، وَرَاءَ الْهَاجِعِ الَّتِي شَفَلْنَا مِنْ هَذِهِ الْقِطْعِ، مَوْضِعًا
 نَحْوِيًّا - تَرْكِيَّةً لِهِ مِنْ الْجَوَاطِنِ النَّظَرِيَّةِ - التَّبَصُّرِيَّةِ، وَالْعَمَلِيَّةِ - الْتَّطْبِيقِيَّةِ، الْمُرْتَبِطَةِ
 بِإِنْشَاءِ الْعِبَارَةِ، وَلَا سِيَّا الْعِبَارَةِ الْكِتَابِيَّةِ، هَا يَجاوزُ الإِشَارَةِ السِّيَاقِيَّةِ الْعَابِرَةِ، إِلَى

(٢) «زُوايا النَّظَر»، جَمْعُ مَفْرَدِهِ «زَاوِيَةُ النَّظَر»، وَ«زاوِيَةُ النَّظَر»، وَ«بَيْنَيَّةُ دَلَالَةٍ»، مُقتَبِسَهُ،
 اقْتِنَاهَا، بِعَصْرِهَا الْمُكْوَنِينَ وَبِرَوْحَاهَا لَا يَعْرِفُهَا، مِنْ الْلَّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ الَّذِي «يَجَارِ» لِسَانَنَا
 وَيَتَعَامِلُ مَعَهُ، وَجَوْلُ تَحْوِيرِ اتِّبَاعِ «الْبَنِيَّةِ الْذَّالِلِيَّةِ»^(١)، مَا تَسْبِيَهُ مِنْ كَذَلِكَ، وَمَا يَسْبِيَهُ سَوَانَا
 وَأَسَالِيبُ، وَهِيَ، فِي رَأْيِنَا، تَسْبِيَّةٌ غَيْرُ دَقِيقَةٍ، حَتَّى لَا تَقُولُ، تَسْبِيَّةٌ مَرْجِعَةٌ وَمَنْلَوْةٌ - حَوْلَ هَذِهِ
 الْمَسْأَلَةِ، رَاجِعٌ بَعْثَنَا «الْأَلْتَبَاسُ بَيْنَ الْأُلْسَنَةِ»، الْمَقَالَةُ الْرَّابِعَةُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(١) الْمَقَالَةُ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

البحث المستقل، فكان بحثنا هذا الذي قمنا به، على الرغم من المحدودية الظاهرة
لمساحة موضوعه.

وموضوع «القطع الكلامية»، أو، عززه من التحديد، موضوع تحليل العبارة
العربية، أو السلسة الكلامية للسان العربي، إلى عناصر خورية تدخل، القطع الكلامية
في عدادها، فهو، في ما نعلم، موضوع جذري، لكنه يتبقى للخوري أن تناوله، بأي
مستوى، من مستويات التناول، أو أشار إليه في سياق من السياقات، ينغم أنواع
(أي الموضوع) يتتسّع، من العبارة، جانبًا مهمًا يفضي إلى مزيد من وعيناً لها، أي
مزيد من للتبصر، الذي يواكب حذفية تشكيلها، وينثر هذه المحدمية، مواكبة
وبنوره يمكن أن تؤدي، في عملية إنشاء العبارة الكتابية، التي تعنى بصورة خاصة،
دوراً حيواناً مرتبطة بطبعتها، أي مرتبطة بكتابتها، وما يصاحب هذه الكتابية
من رؤية تحرك عملية الإنشاء بين بدأ وإعادة، بين كتابة وإعادة للكتابة.

وفضلاً عن الوعي النظري المبين، والجانب التطبيقي الذي ربما أفضى إليه، يمكن
للنتائج التي يوصي بها البحث أن تشكل جانباً مرجعيًا لدراسة موضوعات أخرى
تتعلق بالقطع الكلامية، وتستند في بعض جوانبها إليها، إلا أن ذلك يتبقى في دائرة
الاحتال الذي لا يخل، في لحظتنا هذه، مما تخرج به إلى دائرة الميقين والتتحديد.

وقد ظهر لنا، بالتأمل، أن إخاتة أولية مغبولة بالموضوع يمكن أن تكون
بدراسته عبر الأقسام التالية:

- التعرف على «القطع الكلامية» وتعريفها.

- عوامل تكون «القطع الكلامية» في الكلام.

- «القطع الكلامية»، و«المكتبات المباشرة».

الفَ التَّعْرِفُ عَلَى الْقَطْعَ الْكَلَامِيَّةِ وَتَعْرِيفُهَا

في النظرة المبسطة إلى العبارة^٦، أنها مكونة من كلمات ترتبط بنظام نحوي.
تركيب يشكل جانباً من جولنبد نظام نحوي عام متداخل، مكون من قواعد
اللسان بكل يده، وأن هذه الكلمات تهيي الوحدات النحوية الدالة التي تتحرك في جسد
العبارة، وتترابط، ويجري عليهما، أو يجري بينها، من المطابقة^٧، من الذكر والمحذف
والتكرار، من التقدم والتأخر، ... ما يكون جانباً منها من جوانب التشكيل
النحوي، تقصد تشكيل العبارة حول النواة الدلالية، أو العمق الدلالي للكلام.

إلا أن التحديق في تكوين الكلام أو العبارة وتكوينها، أو تكوين السلسلة
الكلامية وتكوينها^٨ قد كشف بذلك أن الكلمات ليست الوحدات النحوية الوحيدة التي
تحرك في هذه السلسلة، أو قل: إنها ليست الوحدات النحوية الصيغري التي
تحرك فيها وتترابط مع عملية تشكيلها.

لقد تبين لنا أن نمة وحدات نحوية أخرى، وحدات مركبة تدخل الكلمات في

(٦) المطابقة في التذكر والتأثر، في الأفراد والثبات والجمع، الخ ...

(٧) بهذا التمييز المقصود بين «الذكرين» و«الذكور»، نود أن نشير إلى أمرين:
الأول: هو دور المنشيء، أي دور عقله، في إنشاء الكلام الكافي (الذكور) وجزء، في ما نرى،
دور محدود، محصور في عملية تطبيق بعض القواعد النحوية المجردة^٩ الراومة في نطاق التبصر
لزامي.

الثاني: هو دور كفايتها اللغوية (*Notre compétence linguistique*) في إنشاء الكلام (ذكور)، أي
دور الحدس والعفوية والتلقائية في هذا الإنشاء. وهذا الدور، كما نعلم، هو الدور الأول.

تكوينها، وحداتٌ مُركبةٌ من كلمات، إلا أنها تتحرك في السلة الكلامية، في عملية تشكّلها، كتحرك الكلمات المفردة سواها، وتتازج مع الكلمات، في عملية التشكّل، كما تتازج مع الوحدات النحوية الأخرى المائلة لها، في حركة متّسقة تعود عملية إدراّكها، بجملها، إلى *كميّتنا اللغوية**، أو ملبيتنا، بكلمة أبسط، أكثر بكثير مما تعود إلى عقلينا المستقرّ، - المخلّ *الملتجئ* - الممتع.

ولأن العملية المحسوسة التي كشفت لنا هذه الوحدات كانت عملية تقدّم عناصر العبارة وتأخرها في سياق التركيب، أو عملية التقدم والتأخير، بكلمة أبسط وأكثر شيوعاً، فإننا نرى أن ثوّقت كلامنا المجزئاً عن المساحة لتأمّل عينه المحسوسة من العملية المبيّنة، أي عينة من الشواهد، تتطلّق منها، تعرّفُ بها على قطاعنا الكلامي تعرّفاً ربما مهدّ لتعرّيفها وأفضى إليها.

• شاهد أول:

«في تلك الليلة من ليالي كانون الأول، كانت غرفة السطح في بيت الحملاوي، كعادتها في كل ليلة، تسهر على ضوء قنديل شاحب» (منصور عبد، غرباء، بيت الحكمة، بيروت ١٩٨٣، ص ٢).

نقوم أولأبكتابه هذه العبارة **كتابة مقطعة تظير لنا القطع الكلامية الدالة في تكوينها** :

- ١ - في تلك الليلة من ليالي كانون الأول
- ٢ - كانت غرفة السطح في بيت الحملاوي
- ٣ - كعادتها في كل ليلة
- ٤ - تسهر على ضوء قنديل شاهد.

ثم لخاول الحصول، لعبارتنا هذه، على **صورة نحوية عامة** (٧)، بما نستطيع

(٧) صورة العبرة، أو الصورة النحوية للعبارة، هي الصورة التركيبة الناجحة من نظام درود ()

- إجراة فيها من تقدم، وتأخر، مختلطين، في هذه الصور، لكل قطعة برقمها الأصل، أي بالرقم الذي وردت به في صورتها الأولى:
- ٢ - ١ - في تلك الليلة من ليالي كانون الأول
 - ٢ - كانت غرفة السطح في بيت الحلاوي
 - ٤ - تسهر على ضوء قنديل شاحب
 - ٣ - كعادتها في كل ليلة.
 - ٣ - ٢ - كانت غرفة السطح في بيت الحلاوي
 - ٣ - في تلك الليلة من ليالي كانون الأول
 - ٤ - تسهر على ضوء قنديل شاحب
 - ٣ - كعادتها في كل ليلة.
 - ٤ - ٢ - كانت غرفة السطح في بيت الحلاوي
 - ٤ - تسهر على ضوء قنديل شاحب
 - ١ - في تلك الليلة من ليالي كانون الأول
 - ٣ - كعادتها في كل ليلة.

عناصرها فيها، ونظام ترابط هذه العناصر فيها ينبعوا...
فإذا حلمنا أن العناصر الداخلية في تحarin العبارة يمكن، على هذى من يطلعنا الكلمة المطروحة، أن تكون فتن،:
ـ للة الكلمات المفردة، باشكالها النحوية المعروفة: من سوريات، وكلمات لفوية، وكلمات مفعمة،...
ـ وفتحه، القطع الكلامية، التي نحن في صددها،
كان لنا أن كل عبارات تدخل القطب في تكوينها، فلها صورتان ثبوتيان اثنان و
* صورتها النحوية بإطلاق - وهي الصورة التي حاولنا تحديدها في مُنهل هذه الماشية، والتي يتوجه إليها الذهن عند إطلاق الكلمة إطلاقاً.
* صورتها النحوية العامة - ما نسب لعن كذلك في سياق الكلام على النفع الكلامية.

٥ - ٢ - كانت غرفة السطح في بيت الحملاوي

٣ - كعادتها في كل ليلة

٤ - تسهر على ضوء قنديل شاحب

١ - في تلك الليلة من ليالي كانون الأول

فيتبين، من مقارنة الصور الخمس لعبارةنا، أي من خلال عملية التقدم والتأخير التي أجريناها بين عناصرها، أي بين قطعها الكلامية، فولدت أربعاً من الصور المذكورة،:

- أن التقدم والتأخير قد جرى بين قطعها الكلامية، ولم يجُز بين كلماها.

- أن القطع التي تحرّكت، بالتقدم والتأخير، هي أربع قطع وهي، بالترتيب الأول الذي أوردتها به كاتبها:

١ - في تلك الليلة من ليالي كانون الأول،

٢ - كانت غرفة السطح في بيت الحملاوي،

٣ - كعادتها في كل ليلة،

٤ - تسهر على ضوء قنديل شاحب.

وتأمل الصور التي حصلنا عليها، لعبارةنا، بتقدم قطعها الكلامية وتأخيرها، وتضم إليها الصورة الأولى التي أنشأها صاحبها، ونجزم لها كل قطعة برقم هو رقم ورودها في صورتها الأولى المبنية. ثم نعود إلى كتابة عبارتنا، بصورها الخمس، كتابة رياضية بالأرقام تظهر لنا، بشكل محسوس مُبسط، حقيقة التنوع التركيبي الناجم عن تحريك القطع الكلامية في العبارة، فيكون لنا:

○ ولذي نعنيه، على التحديد، بالصورة التحريرية المطلقة للعبارة، هو صورتها المخارجية الناجمة عن نظام ترتيب ورود قطعها الكلامية، كلها كانت، أي العبارة، مكونة من قطع كلامية قابلة للتحريك وتوليد صور تحريرية عامة أخرى مغایرة للصورة الأولى التي يولدها المنشىء، بالدفقة الحدسية الأولى، أو مغایرة للمصورة التي يختارها بين صور يظهرها له التحليل.

- ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ - ١
 ٣ ، ٤ ، ٢ ، ١ - ٢
 ٣ ، ٤ ، ١ ، ٢ - ٣
 ٣ ، ١ ، ٤ ، ٢ - ٤
 ١ ، ٤ ، ٣ ، ٢ - ٥

ونقل في نطاق التعرُّف على قطعنا الكلامية من خلال ثماذجها المحسوسة، فنورد لها شاهداً ثانياً يعمقُ لنا هذا التعرُّف.

• شاهد ثانٍ :

نورد الشاهد، أولاً، بصورةه التحوية التي أورَّدَها به صاحبها، ونكتبه، من أول الأمر، مُقسِّماً إلى قطعه الكلامية المرقمة:

- ١ - ١ - بهمنا،
 ٢ - في هذا المجال،
 ٣ - أن نُعلن:
 ٤ - أن ما ورد،
 ٥ - في البيان الوزاري،
 ٦ - سرول الإصلاح،
 ٧ - ليس حلّاً جذرّياً مشكلة معقدة.

ثم نورده بما وقعت عليه من صورة التحوية العامة الممكنة، كما فعلنا في الشاهد الأول. إلا أننا، هذه المرة، نورده مباشرةً بالأرقام التي ترمز إلى قطعه الكلامية، ضامين إليه صورته الأولى التي وردت بها لدى كاتبها:

- ١ - ٣ ، ٢ ، ١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧
 ٢ - ٤ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧
 ٣ - ٢ ، ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

٤ - ١ ، ٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦

٥ - ١ ، ٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦

• شاهد ثالث:

هذا الشاهد أيضاً نورده، من أول الأمر، مفاسداً إلى قطعه الكلامية الأصلية:

- ١ - أَهُمْ مَا فِي الْلُّغَةِ الْجَدِيدَةِ أَنْهَا^(٨)
- ٢ - بَعْدِ عَشْرِ سِنَوَاتٍ مِّنَ التَّذَابُعِ
- ٣ - تَعْنَحُنَا سَاحَةُ الْتَّخَاطُبِ.

ثم نورده، بصورةيه النحوتين العامتين، الأولى التي جعلت بها عبارة الكاتب، والثانية التي حصلنا عليها بتحريك القطعين ٢ و ٣، ونكتبه، من أول الأمر، بالأرقام التي ترعررت إلى قطعه:

١ - ١ ، ٢ ، ٣

٢ - ٢ ، ٣ ، ١

ويمقارنة تجربها بين حركة القطع الكلامية في شواهدنا الثلاثة، وينظرية بسيطة تقيها على الصور النحوية العامة المكتوبة بالأرقام، العائدة لكل شاهد، للاحظ أن هذه الحركة:

يمكن أن تتناول كل قطعة من قطع العبرة (الشاهد ١).

(٨) ربما خطر لقارئه أن يستغرب كون لفظة، أنها، جزءاً من هذه القطعة، يصور أنها جزء من القطعة الثانية.

إنما يعودتنا إلى التعريف الذي ذكرناه للقطع الكلامي، ونطبق هذا التعريف على قطعتي، وتبيننا من أن هذه القطعة تقل مقفلة على الرغم من تحريك القطعة التي تليها، وقطع العلاقة التجاورية بين القطعين، إنما، بكل ذلك، نتبين، بسهولة، أن لفظة، أنها، هي جزء من هذه القطعة، ولعل في ملاحظتنا هذه ما يزيدنا فيها لحقيقة القطع الكلامية.

ويمكن أن تتناول بعض هذه القطع (الشاهدان ٢ و٣)، فتبقى القطع الأخرى ثابتة في مواجهتها: فتحرك قطعة تليها، أو قطعة تسبقها، أو يتحرك ما يليها وما يسبقها جيغاً.

والقطع الثابتة هذه يمكن أن تقع في صدر العبارة: فتحرك ما يليها (الشاهد ٣)

ويمكن أن تقع في طرفها: فتحرك ما يسبقها (الشاهد ٢).

ويمكن أن تقع في وسطها أو خشونها: فتحرك ما يحيط بها (الشاهد ٢ أيضاً).

لترى مما تقدم كيف أن العبارة، ببنادجها (المشاربة لنتائج الشواهد)، تتحول إلى قطع كلامية - طرفية - مغلقة، تدخل في تكوينها، كدخول الكلمات، ولتشابع فيها، مع قطع تمايلها أو مع كلمات، بنظام من التابع حتى الذي يولد لها ما سمعناه «صورتها النحوية العامة»، أو «صورتها النحوية الخارجية»^(٩).

كما نرى أن هذه الصورة تتغير إذا نحن غيرنا، في العبارة ، ترتيب ورود القطع الكلامية، أن تحريك القطع فيها يولد لنا، من صورها النحوية العامة الكامنة (Les formes potentielles)، ما يساويه في عدده، وجوزة التحرير المتحقق في الكلام (Les formes actualisées)، التي تتناول قطعها المتركرة، على أن يجري ذلك في نطاق السوية النحوية التي يقررها حدثنا، أو كفأتنا اللغوية^{*}، لا في نطاق عقلنا المحلل.

ونظل في نطاق التأمل في المسألة من خلال شواهدنا المتقدمة - ومن خلال ما كان من قبلها - لشير إلى جانبين مهمين من جوانب تطعمنا الكلامية ينضيان إلى تعريفها، أو يهدان للتعرّف:

الجانب الأول: أن القطع الكلامية هي قطع مقطعة (Segments discrets): بمعنى

(٩) راجع الملاحظة ٧.

أنها، إذ تتحرك في العبارة متقدمة ومتاخرة - أو يتحرك سواها وهي ثابتة - يتخلّى لها تركيبها، أي تغدوها وحدتها وعناصرها التي تدخل في تركيبها، أي كلّياتها. ومن هنا كان تعبّتها بـ «المقطفّة»، وكان هذا النعتُ نعثّاً مهمّاً يشكّلُ جزءاً أساسياً من المصطلح.

الجانب الثاني: أنّ تخلّي السهر عن أقسام الكلام تستطيع، بالتقدم والتأخر، أن تحرّكه في السلسلة الكلامية، أو تحرّك سواه، فتقطع علاقته التجاوّرية بسواء وتنفصل له عناصره، أي كلّياته الداخلة في تكوينه، وتغدو له وحدته وتركيبه (Sa structure)، ويغدو الكلام، مع هذا التحرّيك، معناه العثم للمجمل، فهو قطعة كلامية مقطفّة.

ولأنّ القسم الكلامي الذي تقوم بوصفه هو قسم طولي (Liniéaire)، يمتدّ من اليمين كلامنا المكتوب بالحرف العربي إلى يساره، كان لذان نعثّ تان يمكن أن تدخله في تكوين مصطلحنا، فنقول: «القطع الكلامية الطولية المقطفّة»، إلا أنه، بخلاف النعت الآخر، لا يشكّل جزءاً جوهرياً من المصطلح.

نعم نأي إلى التعرّيف المباشر:

القطعة الكلامية الطولية المقطفّة هي كلّ قسم طولي من أقسام العبارة، أو من أقسام السلسلة الكلامية، يمكن تحرّكه فيها، بالتقدم والتأخر، أو تحرّك سواه، وقطع علاقته التجاوّرية بينه وبين سواه مثلاً تُعيّن بهذا التحرّيك وحدته، ولا تُعدّ صورته النحوية - التركيبة، ولا يتغيّر، لهذا التحرّيك، ما للكلام من معنى مُحمل.



وهي تُعيّن بهذا التحرّيك كلّ قسم طولي من أقسام الكلمة، وكلّ قسم طولي من أقسام الكلمة الكلامية.

نعتٌ دوغميّة (ذات عيوب) يُعيّن كلّ قسم طولي من أقسام الكلمة الكلامية.

نعتٌ دوغميّة (ذات عيوب) يُعيّن كلّ قسم طولي من أقسام الكلمة الكلامية.

نعتٌ دوغميّة (ذات عيوب) يُعيّن كلّ قسم طولي من أقسام الكلمة الكلامية.

باء عامل تكوين القطع الكلامية

بعد تكوين القطع الكلامية المففلة، في السلسلة الكلامية، هو عملية نحوية معقدة تكون مظهراً من مظاهر تشكيل السلسلة الكلامية نفسها، وتدخل فيها عوامل نحوية - تركيبة متداخلة تعطلي دراستها من التجريد قدرأً ربما جاور طلاقتنا (طلاقتنا الشخصية على الأقل).

وأمام هذا الذي لاحظناه، يكتفى برأى الاكتفاء بمقابل هذه الإشارة للعاشرة إلى المسألة لولا أننا، وسط هذه العوامل، قد لمحنا عاملأً أسرى لنا عن وجهه، وحملتنا حملاً على أن تتوقف عنده نحاول وصفه. وكان بذلك عندنا سببان:

الأول:

إننا بهذه العوامل، نستطيع أن نكتشف بجانبها عن جوانب المسألة.

الثاني:

أن وصفنا النحوي لهذا العامل، فضلاً عن الغرض الذي يؤديه لبحثنا، إنما يشكل بهذا نظرياً موضوع قائم بذاته لا نعلم أن دارساً قد تناوله، موضوع «المركبات النحوية - الثانية»، أي موضوع العامل الذي يعنيها.

إننا، في قسم أول، نقوم بتوسيع الكلام على هذه المركبات.

وفي قسم ثانٍ، نتناول علاقتها بالقطع الكلامية المففلة، فنبين كونها عاملأً في تشكيل القطع.

أظهر لنا تأملنا لعلاقات الترابط النحوي - التركيبي - الشكلي^(١٠)، الجاري بين كلمات العبارة، أو عناصرها، أن بين أنواع الترابط المبين ترابطًا ثالثاً يجري بين كل عنصرين من هذه العناصر، وأن ورود أول العنصرين في الكلام يستدعي العنصر الآخر.

كما أظهر لنا التأمل أن مركباتنا هذه إنما تشكل، للعبارة، مقاصيلها النحوية التي لا تقوم العبارة إلا بها.

ولأن الترابط الذي يعنينا إنما يجري بين عنصرين اثنين، كما نرى، فإننا نعثنا مركباتنا بـ «ال ثنائية »، فقلنا: «المركبات النحوية - الثنائية».

على أن أبرز ما تبيّن لنا، مما يتصل بالغرض المباشر من موضوعنا، أن مركباتنا الثنائية هذه تنقسم إلى فئتين:

- فئة المركبات التي يتصل عنصراها اتصال تجاوز وتلازم، ونصلح على تسميتها فئة «المركبات النحوية - الثنائية - المتلازمة».

- فئة المركبات التي يتعاقب، على عنصريها، اتصال وانفصال ينتهي، بتعاقبها، التلازم بين العنصرين المترابطين. ونصلح على تسمية هذه الفئة فئة «المركبات النحوية - الثنائية - غير المتلازمة».

ثم نهيب من هذا التجريد إلى ما تفهم به مضمونه، إلى النظر في بعض نماذج الفئتين، وما يتطلبه بعضها من أمثلة موضحة:-

(١٠) رأينا هذه النوعات لنميز الترابط النحوي الذي يعنينا من الترابط الدلالي الذي لا يعنينا.

* في فئة المركبات النحوية الثانية المتجاوزة بتدخلها

+ الـ، والاسم المقترب بها.

+ الجار والمجرور.

+ أحرف العطف ومعطوفها، ما عدنا، أو، لأن، أو، هذه يمكن أن تُفهمَ عن معطوفها في نحو قولنا:

- التاريخ هو صورة الماضي، أو // بكلمة أدق // هو جغرافية الماضي.

فمثل هذا الفصل غير مُتيَّز مع أحرف العطف الأخرى.

+ المضاف والمضاف إليه^(١١)

الموصوف المعرفة وصفته:

. الأمر العظيم.

- لبنان الصغير.

(سيظهر لنا، في فئة المركبات الثانية غير المتلازمة، كيف يمكن الموصوف النكرة وصفته غير متلازمين) يرس

+ نواصب المضارع ومضارعها.

+ جوازِ المضارع ومضارعها.

+ ... الخ، ... الخ

فعنصرًا كُلًّا من مركباتها، ككلِّ فعلٍ في تلازم لا انفكاكٍ معه.

(١١) إن الشكل النحوي للإضافة العربية، هو نظام الإضافة في اللسان العربي، بما يكتفي هذا النظام من تجاوز التصاق مباشر بين المضاف والمضاف إليه، إن هذا النظام قد وُلد، بين المضاف والمضاف إليه، تلازمًا معروفاً أصبح به فعل أحدما عن صاحبه أمراً مستقبحاً، حتى ولو كان الفعل يضاف إلى ثانٍ، أي يضاف إلى مضافين اثنين إلى مضاف إلى واحد: شعب ورئيس لبنان، ومن طريف ما يذكر عن «حضر» هذه الإضافة ما دعا به النحاة على مستعملها، وما ضمّنوه دعوتهم من إشارة إلى هذا «المحظوظ» قوله: «كسر الله يند ورجلٌ من قتاله» (يُذكر أن يقال، في غير هذا السياق: كسر الله يند من قاتلا ورجله).

* وفي فئة المركبات النحوية الثانية غير المتلازمة، يدخل:

+ الفعل وفاعله الذي ليس ضميراً، أو اسمًا موصولاً خاصاً:

١ - تجاري // في مثل هذا اليوم من كيله عيام، ومن أجل عمل الأرض
الكافرين // احتفالات ترمي إلى تمجيد العمل والعمال.

٢ - إنما يصلاح // مثل هذه المهمة // من نذر نفسه لسواء.

+ الفعل المتعدى المقترب بفاعله، ومفعوله الذي ليس ضميراً:

٣ - سيرأ الشاعر // من بجموعه الجديدة // قصيدة تاسب المقام.

٤ - وقد خصص الشيخ عبدالقادر المغربي // في كتابه «الاشتقاق
والتربيب» // بحثاً وافياً للنحو.

....

+ «إن» واسمها:

٥ - إن // في الاتحاد // قوة،

٦ - «إن» // في خلق السعادات والأرض واختلاف الليل والنهار // آيات
لأولي الألباب، (آل عمران، الآية ١٩٠).

(نلاحظ هنا أن «إن»، إنما تفصل عن اسمها بخبرها، أو، بكلمة تائف مع
تصور النحوة، بقطعة كلامية مصدرية بخار ومحروم يتعلقان بمحذوف يعده هو الخبر،
أو بضرف كذلك).

+ اسم «إن» وخبرها:

٧ - وإن // وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

٨ - إن تلاميذنا // برغم الظرف القاهرة // قادرؤن على متابعة التحصيل.

....

+ «كان» واسمها:

- ٩ - «لقد كان // لكم فيهم // أسوة حسنة» (سورة المائدة، الآية ٣٨).
١٠ - «كان // لنا في هذه الحادثة // درس لا تنساه» (البقرة، الآية ٢٧).

... -

(نلاحظ أن الفصل بين «كان» واسمها، كالفصل بين «إن» واسمها، إنما يكون بقطعة كلامية يدخل الخبر في تشكيلها).

+ اسم «كان» وخبرها:

- ١١ - «وكان الله // بما تعملون // بصيراً» (الأحزاب، الآية ٦).
١٢ - «أصحت قراءة الشعر // في زمننا الغارق في سراب المدينة // أمراً يُستغرب

... -

+ المبدأ والخبر:

- ١٣ - «الإنسان // منها علا شأنه // صائم إلى رواه».«
١٤ - «النافع // في هذه الدنيا // ممثلون فوق خشبة متحركة».

... -

+ الموصوف النكرة وحياته:

- ١٥ - «وإنه لفسم // لو تعلمون // عظيم» (الواقعة، ٧٦).

... -

+ متعلق الجار والجار:

- ١٦ - «كان وقوف الشعراء // في ذلك العهد // على أبواب الخاتم من الأمور المأولة».

... -

نلاحظ أن في الشاهد الماثل أمامنا جارٌّين أثنيْن يتعلّق كلُّ شهادَيَا بالمتّعلّق نفسه، وقوفٌ، ومحِّ ذلك، فقدْ عبرتا الجارَ الثاني منصولاً عن متعلّقه بالقطعة الكلامية التي تسبّبه وتتضمنَّ الجارَ الأول.

لماذا؟

لأنَّ الجارَ الثاني ومحرورَه هما، في عبارة الشاهد، عُنصُر دلاليٍ - نحوِيٍّ أساميٍّ لا يقومُ الكلام إلا به، في حينِ أنَّ الجارَ الأول لا يشكُّل مثلَه هذا العنصر.

ونقفُ أمامَ الفئة الثانية التي تعينا مركباً ثانِيه، فتبيّن، باللاحقة المستقرة لتأذُّج الكلام، أنَّ العلاقة بين طرفي كلِّ مركبٍ هي علاقة متحوكة في السلسلة الكلامية، بمعنى أنَّ حالة الانفصال بين الطرفين، وحالة الاتصال، إنما تتحققان على المركب تعاقيباً متزحرِ كاً يتعلّق بحركة تشكُّل العبارة، وحركة تنوعها، الدائرة أبداً في فلك المعنى الذي تجسده، أو في فلك الإيقاع اللغوِيِّ - الدلالي^(١٢) الذي نطلبُه هنا في بعض مستوياتنا الفنية، دونَ أن يُفضي هذا الدوران، بحركة التشكُّل المليئة، إلى إفلاتها من الدوران في فلكها هي، أيِّ الفلك التحوكيِّ - الترجميِّ - الشكليِّ.

وهذه بعضُ التأذُّج:

+ يكون الفاعل منفصلًا عن فعله في نحو قولنا:

١٧ - «ويهمي» // في هذا المجال // أن آقول كلمة حق أريدُ بها حقاً،

(١٢) حقيقة الإيقاع، في تصورنا، أنه لفظيٌّ - دلاليٌّ ينبع عن لفظ الكلام ومعناه كلِّيَّا، وليس مخصوصاً في اللفظ دون المعنى، كما يمكن أن يكن، واعتبر ذلك بصرورةٍ بسيطةٍ تعمّمُ فيها، بل شاء، عبارة، أو عبارتين، أو أكثر، من الكلمات شكلاً خالية من المعنى، أي: كلمات مصوّحة كلِّها من مادةٍ في عالم التوزُّعِ بها الكلمات، وأتم ما تشتت من توازن بين أجزاء العبارة، أو العبارات، وسترى أنَّ هذا التوازن لا يتحدث عنهنَّ شيئاً، حتى إذا تزالَت معانيك في كلِّياتك المفرغة من معانيها، كان لكَ الإيقاع الذي تنشدُ.

فتشدّل من صورة كلامنا، ونجري فيه تقدیماً وتأخيراً، فنقول:

١٨ - ويعُمِّنَ أَنْ أَقُولُ، فِي هَذَا الْمَجَالِ، كَلْمَةً حَقًّا أَرِيدُ بِهَا حَقًا.

+ ويكون اسم «أن» منفصلاً بخبرها، في نحو قولنا:

١٩ - أَهْمَّ مَا فِي الْلُّغَةِ الْجَدِيدَةِ أَنَّهَا تَمْنَعُنَا سَاحَةً لِلتَّخَاطِبِ بَعْدَ عَشَرَ سَوْتَانِ

مِنَ التَّذَابِعِ.

فتعتمد، لأنّيات دلالية تتعلق بـ«أبراز بعض معاني الكلام»، إلى تقديم الفرض المتعلق بخبرها مع قطعته الكلامية (قطعة الفرض)، فيؤدي هذا التقديم إلى فصل اسم «أن» عن خبرها، فنقول:

٢٠ - أَهْمَّ مَا فِي الْلُّغَةِ الْجَدِيدَةِ أَنَّهَا // بَعْدَ عَشَرَ سَوْتَانِ مِنَ التَّذَابِعِ // تَمْنَعُنَا سَاحَةً لِلتَّخَاطِبِ.

+ ويكون الفعل المتبعدي (مع فاعله) منفصلاً عن مفعوله، في نحو قولنا:

٢١ - (سَتَنَاؤِلُ هَذِهِ الْزِيَارَةَ // الَّتِي مِنَ الْمُتَوقَّعِ أَنْ تَمْ سِرَا وَتَحْتَ سَتَارِ إِنْجَازِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ) // قَصْبَاهَا بِالْلُّغَةِ الْأَهْمَى.

فتجسّسُ أن ابتعاد المفعول عن فعله إنما يضعف العلاقة التركيبية بينها، فتقديم وتأخر، حتى تُقرِّبَ الفعل من مفعوله، فنقول:

٢٢ - هَذِهِ الْزِيَارَةُ، الَّتِي مِنَ الْمُتَوقَّعِ أَنْ تَمْ سِرَا وَتَحْتَ سَتَارِ إِنْجَازِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ، سَتَنَاؤِلُ قَصْبَاهَا بِالْلُّغَةِ الْأَهْمَى.

(لأنَّ القطعة الكلامية التي فصلتْ بها «الزيارة»، في عبارة الشاهد المعدلة هذه، عن الفعل الذي يُغيّرُ عنها، هي حديث عن الزيارة في من الكلمات المتصلة بها، المشيرة إليها، ما يُبيّنُ معناها مائلاً في الذهن حتى يبلغ ذلك الفعل. فكانَ الكلام الذي يُغَفَّلُ «الزيارة» عن الفعل المذكور هو امتداد للزيارة، أو اندماجٌ لغيرها الدلالي. كان «الزيارة»، التي هي مبتداً، متصلة بالفعل، «سَتَنَاؤِلُ»، الذي

هو الخبر.

أما الفعل، «ستتناول»، الذي نفعله، في عبارة الشاهد الأصلية، عن مفعوله، أي عن «قضائياً»، فإنه مفصول عن مفعوله بكلام غريب عن الفعل، أي بكلام ليس فيه ما يشير إليه، وليس فيه ما يُتيقِّن معناه حاضراً في الذهن حتى يبلغ مفعوله. وهذا يعني قولنا: إن ابتعاد المفعول، في عبارة الشاهد الأصلية، عن فعله يُضعف العلاقة بينهما).

+ ... الخ... الخ...

من النماذج المتقدمة، ومن كل نموذج مماثل نقوم بدراسته، يتبيَّن لنا أمور: أولها: أن مركباتنا التحويَّة - الثنائيَّة هذه هي، كما قلنا، في حركة اتصال وانفصال مرتبطة بحركة تشكُّل العبارة، وهي الحركة التي بينَ أساسها. ثانية: أن الفصل بين العنصرين، اللذين يقبلان الانفصال، إنما يكون، في غالب ما يكون^(١٣)، بقطع كلامية مُضطَّرة بـ«جار»^(١٤) أو بظرف. ثالثها: أن الجار والظرف إنما يشكلان، من هذه الناحية، مفاصيل تحويَّة باللغة الأهميَّة، تمثل جوانب بارزة من عملية إنشاء الكلام. رابعها: أن القطعة الكلامية التي تفصلُ لنا عنصرين تحويَّن غير متلازمين، كالفعل وفاعله، والفعل المترن بفاعله ومفعوله، والمبدأ والخبر، الخ...، ليست، في غالب حالاتها، مُفصَّلة عن أول العنصرين انفصلاً تحويَّاً. إنما متصلة بهذا العنصر اتصالاً واضحَاً. إلا أنَّه اتصال ثانويٌّ، أو ثانٍ، يدخل في باب الفصل التي ذكرها النحاة في كلامهم على أركان الجملة.

(١٣) نقول، في غالب ما يكون، لتشير إلى أنواع أخرى من الكلمات التحويَّة تتشكل بها القطع الكلامية الفاصلة.

(١٤) كما هو الحال في عبارتنا هذه.

شاند:

٤٣ - وَيُهْجِي / فِي هَذَا الْمَجَالِ / أَنْ أَقُولُ كَلِمَةً حَقَّ أَرِيدُ هَا حَقًا
 فَالْمَحَارُ وَالْمَجْرُورُ هَذَا يُرْتَبَطُانِ ارْتِبَاطًا وَاسِعًا بِالْفَعْلِ الَّذِي تَضَعِّفُهُ الْفَظْلَةُ • (١٥)
 يَهْجِي إِذَا وَهْدًا مَعْنَى تَعْلَقُهَا بِهِ

إلا أن ارتباط الفاعل بفعله هو ارتباط أول، أو «ارتباط عمدية»، بكلمة نقبس بعضها («عدمة») من قاموس النحوة، في حين أن ارتباط الجار والمجرور هو ارتباط ثانٍ في أيٍّ موضع وقعاً، أو «ارتباط فصلة»، بكلمة تشاكل كلمتنا الأخرى: يعني أن كلامنا، إذا تم، نحوياً (ودلالياً)، بالفعل وفاعله (مثلاً: «وي يعني أن أقل كلمة حق»)، فإنه لا يتم، لا نحوياً ولا دلالياً، بالفعل والجار والمجرور (وي يعني في هذا المجال...)

من هنا انطلقتنا في تصورنا لعملية الاتصال والانفصال التي تتناول عنصري المركبات التحورية - الثانية، وعلى هذا الاساس أقمنا المسألة، وهي من هذا مرئنا في تعقيبنا على الشاهد ١٦.

(١٥) تستعمل الكلمة **دلالة**، عضمون اصطلاحي جديد نطرحه للتداول: بسبب ما يؤتمنه لنا من وضوح في عملية التغزيل (إلى للضمون). وبسب **افتقاره** (الافتقار الضمون) إلـ.اسم **غير مفعلي** وبلوره.

، اللقطة ، بالمفهوم المطروح (هي بكل وحدة كلامية تتفصل ، في الكتابة ، عن بقيةها ، وعما يليها ، وت تكون :

+ إما من كلامه واحدة: **ذكرون الفلاحة بسيطة**. وحيثـت تراويف **الفنـاة**، والكلـمة، ونطـابـقـها.

+ وإنما من كلامتين فأكثر، وهذا ما نرمي إليه بصلة لغتنا المطروحة.

- من كلمتين: دور/نا، سور/تم، كـ/الكـرى، ...

— من ثلاث كلمات: فاجأ/ت/نا ب/زيارت/ك،...

- من اربع كلمات: ساخته / نبه /

- الخ

مختصر الش

وَنَجْعَلُ الْفَوْزَ عَلَىٰ الْفَقَاتِ، بِفَتْحَاتِ مَتَالِيَّةٍ، وَلَا يَسُرُّ عَلَىٰ الْأَفَاقَاتِ، الَّتِي هِيَ جَمْعُ الْفَوْزِ،

هذه هي «المركبات النحوية - الثنائية»، أو «هذا ما كشفه لنا الاستقراء منها». نذكر بأننا إنما قمنا بدراسة عاملٍ من العوامل النحوية - التركيبة التي تفسّر لنا تشكيل القطع الكلامية المففلة. فكيف تفسّر لنا هذه المركبات عملية تشكيل القطع، أو، بكلمة أدق، ما الذي تفسّر المركبات من القطع؟

★

٢/ بـ المركبات النحوية - الثنائية والقطع الكلامية المففلة

إن نظرة متأملة نلقيها على الشواهد التي تعرّفنا على القطع الكلامية المففلة من خلاماً، أو الشواهد التي تضمنتها بحثتنا للمركبات النحوية - الثنائية، تُظهر لنا بساطة:

- أن عملية تشكيل القطع الكلامية المففلة إنما ترتبط، في بعض غاذجها، بالمركبات النحوية - الثنائية غير المتلازمة.
- أن ما يتعاقب على عنصرى المركب النحوي - الثنائي من اتصال وانفصال هو، على التحديد، ما يولد لنا القطع الكلامية العائدة للنماذج المذكورة.

شاهد:

- ٢٣ - إن تلاميذنا / برغم الظرف القاهرة / قادرولن على متابعة التحصيل
فإن فصله اسم «إن»، «تلاميذنا»، وعن خبره، «قادروون»، هو الذي أتاح
القطعة الكلامية المففلة الواقعية بينها. أو، بكلمة أدق، هو الذي أبرز لنا هذه القطعة
لما أتاح لها أن تتحرك متقدمة في العبارة أو متأخرة.
ويمزيد من الإيضاح توضيف:

أَنْ وَرَدَ هَذِهِ الْقُطْعَةُ ثَانِيَّةً^(١٦)، فِي عِبَرَتِنَا الْأُولَى سَعْدَمْ، عِبَارَةُ الشَّاهِدِ، نَسْبَة
النَّفْصَالِ عَنْصُرَيِ الْمُوْكَبِ النَّحْوِيِّ - التَّثَانِيُّ الَّذِي يَدْخُلُ فِي تَرْكِيْبِهِ:

- ١ - ١ - إِنْ تَلَامِيدُنَا
- ٢ - بِرَغْمِ الْفَرْفَرِ الْقَاهِرِ
- ٣ - قَادُونَ عَلَى مَتَابِعَةِ التَّحْصِيلِ،

ثُمَّ وَرَدَهَا ثَالِثَةً فِي عِبَارَةِ ثَانِيَّةِ مُفْتَرَضَةٍ، نَسْبَةُ اتِّصَالِ الْعَنْصَرَيْنِ الْمُذَكُورَيْنِ:

- ٢ - ١ - إِنْ تَلَامِيدُنَا
- ٣ - قَادُونَ عَلَى مَتَابِعَةِ التَّحْصِيلِ
- ٤ - بِرَغْمِ الْفَرْفَرِ الْقَاهِرِ،

هَا^(١٧) الْلَّذَانِ أَبْرَزَاهَا لَنَا، وَأَظْهَرَاهَا لَنَا، إِبْرَازًا وَإِظْهَارًا هُنَّا، فِي إِحْسَانِنَا فِي
نَفْرِنَا الْمُحَلَّ، نَوْعٌ مِّنَ التَّوْلِيدِ.

وَمَا بَيْنَهُ مِنْ أَمْرٍ عِبَرَتِنَا هَذِهِ نَسْطَعِيْنَ أَنْ تَبَيَّنَهُ مِنْ أَمْرٍ عِبَارَاتٍ أُخْرَى تَشَكَّلُ
لِلْمَسَأَةِ شَرَاهِدُ أُخْرَى.

فَإِنِّصَالِ عَنْصُرَيِ الْمُرْكَبَاتِ النَّحْوِيَّةِ - التَّثَانِيَّةِ، بِمَا يُتَبَعِّهُ مِنْ تَبَاعُدِ بَيْنِ
الْعَنْصَرَيْنِ، أَوْ مِنْ حِجْرِ طَوْلِيِّ بَيْنِهِمَا، وَاتِّصالِهِمَا الَّذِي تَزَوَّدَ بِهِ ظَهُورًا حِرْكَةُ الْقُطْعَ
الْكَلَامِيَّةِ فِي الْكَلَامِ، هُنَّا، كَمَا نَرَى، مَا يُتَبَعِّي لِلْقِطْعَ الْكَلَامِيَّةِ أَنْ تَظَهُرَ بَيْنِ الْعَنْصَرَيْنِ
الْمُنْفَصِلَيْنِ الْمُتَبَاعِدِيْنِ.

عَلَى أَنْ وَاقِعَ الْكَلَامَ هُوَ، فِي رَأِينَا، أَغْنَى مِنْ هَذِهِ التَّبَسيِطِ، وَأَكْثَرَ نَبْضًا مِنْ حِرْفِهِ
السَّاكِنِ. ذَلِكَ أَنْ فِي وُسْعِنَا، مِنْ جِهَةِ ثَانِيَّةِ، أَنْ نَقُولُ: إِنْ حَاجَةُ التَّشَيِّعِ إِلَى التَّعْبِيرِ
عَنْ فِكْرَةِ ثَانِيَّةِ تَدْخُلِ عَلَى فِكْرَةِ الْمُرْكَبِ الإِختِدَارِيِّ، أَوْ فِكْرَةِ الْكَلَامِ - الْعَامَةِ؛

(١٦) هَذِهِ الْكَلْمَةُ مِنْ حَالٍ وَلَيْسَ طَرْفًا أَيْ أَنَّهَا لَيْسَ بِمَعْنَى: «مَرَّةٌ ثَانِيَّةٌ».

(١٧) أَيْ: وَرَدَهَا ثَانِيَّةً وَوَرَدَهَا ثَالِثَةً أَيْ: / «الْلَّذَانِ»، خَيْرٌ وَأَنْ وَالْوَادِيَةُ قَبْلَ قِسْمَةِ أَسْطِرِ...

لتوسيعها، لتعدها، لتلوّنها،... إن هذه الحاجة هي التي تُفضي إلى الفصل بين عنصري المركب النحوي - الثنائي، والمباعدة بينها، لتأخذ each مثلاً في الميراث الناشئ؛ أي أن دخول الفكرة الثانية على الكلام الآخر في التكون هو الذي يُوقف الكلام، يوقف المركب الإسناطي مثلاً، عند العنصر الأول من عنصري المركب النحوي - الثنائي اللذين يدخلان في تكوينه ويساهمان في تشكيل ذلك الفكر، وأن تتحقق بالانتهاء قبل أن يكتمل تكون الكلام.

يُبَقِّى أن نوضح أن أكثر الأحكام بعدها من التبسيط ربما كان أن نقول: إن عملية انفصال عنصرى المركبات النحوية - الثنائية، وعملية تكون القطع الكلامية بينها، هما، من النشاط الكلامي - الإنشائي، قطعاً يتدخلان في تعاملات، أو يتفاعلان في تداخلان، في حركة من الديالية^(١٨) التي يبلغ عنها درجة يُصبح بها سؤالنا مثلاً: «أي القطبين هو السبب، وأيهما هو النتيجة؟»، سؤالاً نظرياً - شكلياً منقطعاً عن عروق الكلام بفرزته اليومية، ورَاقِعةَ المشخص النابض.

ونخت قائلنا بأن تكون القطع الكلامية في الكلام هو عملية معقدة، باللغة الغنى، تحرّكها عواملٌ نحوية - تركيبية - متداخلة، وأن العامل الذي وسعنا الكلام عليه، عامل المركبات النحوية - الثنائية، ليس سوى عامل منها، ويبيّن للدراسة خاصة مركزة أن تجعلنا تحبّط بالعملية وتنحصر في جوانبها.

* * *

(١٨) ليست «الديالية»، تعريفاً لـ«الذبالكتيك»، كما قد يظن بسبب الشاب المظاهر في الماددة الصوتية الدالة في تكوين كل من الكلمتين، إنها ترجمة لها: أيه أنا جلوه كلمة عربية النهر، طرحوها الشاعر عبد الله العلايلي بعد أن انتهت بها من المادة التي اشتقت منها ككلمات «دال»، «داول»، «مدال»، «تدال»، «تدال»، «المغ»...، وظاهر أنها غبل إلى انتها الممطلع المطرد، ونفيضاته على مقابلته العربي المعرفة، والمجدية، أو مقابلة الاتجاه المتمثل بـ«الذبالكتيك».

لـ « المكونات المبادرة »، وهي تشير إلى المكونات التي تدخل في إنشاء الكلمة، وهي مكونات معرفية، وليست معرفة المكونات المبادرة، وإنما هي معرفة المكونات المتأخرة، وهي معرفة المكونات التي تأتي في آخر الكلمة، وهي معرفة المكونات المتأخرة.

جمع القطع الكلامية والمكونات المبادرة

الكتاب السادس عشر

ـ بين القولتين الكلامية المقفلة وبعض الحال ما يسمى « مكونات مبادرة »^(١٩)، في المصطلح الحديث عاملة، ومصطلح بلومفونية خاصة، شبه الكليل « ظاهري - خارجي » يعطينا نتائلاً،

ـ هل قطعنا الكلامية التي تعيننا هي مكونات مبادرة؟

ـ وأيّاً ما كانت النتيجة التي نبلغها بمحاولة الإجابة عن السؤال المطروح، فإن في هذه المحاولة ما يتبع لنا مزيداً من إدراك موضوع البحث، فضلاً عما تتبعه المحاولة من إطلاق على موضوع المكونات المبادرة نفسها.

ـ ومن الطبيعي أن أي تناول للموضوع لا بدّ له من قسم أوّل يمكن القاريء من التعرّف على « المكونات المبادرة » - التعرف عليها في اللسان العربي على الأقل.

ـ في مادة « المكونات المبادرة » / *Constituants immédiats* ^(٢٠)، من « قاموس الألسنية » لـ « دو بوا »، وآخرين^(٢١)، نقرأ، في معرض تعريف المصطلح، ما نصّه:

(١٩) « مكونات »، يكسر الواء الشدة، جمع « مكون »، اسم فاعل من « كون »، يفتح الواء الشدة.

(٢٠) ترجمنا بـ « مكونات »، التي فحّلناها على « مطرّفات »، وهي اعتمدها بهذه الموسى المذكور في حاشية تالية قوية.

Jean Dubois, Mathé-Giscard, Louis Osipov, Christiane Miralles, Jean-Baptiste Miralles, (٢١) Jean-Pierre Mérel, Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris 1970.

«إن نظرية تركيب العبارة (La phrase) من مكونات مباشرة تطرح مبدأ مضمونه: أن كلّ عبارة من عبارات اللسان، فهي مؤلفة، لا من تنافع بسيط للعناصر المقللة (éléments discrets)، بل من تمازج مركباتها تشكّل مكونات العبارة، وتتألف، بدورها، من مكونات أدنى مرتبة؛ وهكذا تصبح كُلّ عبارة مؤلفة من طبقات متعددة من المكونات»^(٢٢).

وفي كتاب «نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث»^(٢٣)، فصل يتناول الموضوع بعنوان «التحليل إلى المكونات المباشرة»^(٢٤)، نعود إليه نستأنس به، أو، على الأقل، نستuir منه الأمثلة التي أوردها، لنقدم، بعد ذلك، ما استوى لنا من تصور للمسألة.

إن النظر إلى المكونات المباشرة، واعتبار القطع الكلامية^(٢٥) الدالة في الكلام مكونات مباشرة، إنما يرتبط بمستويات التركيب النحوي المتعددة، في سلم ينتظمها، من الكلمة، إلى ما نسميه نحن «المركبات غير الإسنادية»^(٢٦)، إلى المركب الإسنادي بمستويه: البسيط، أو الجملة، والمركب، أو العبارة^(٢٧).

فإذا نحن اعتمدنا هذا المستوى أو ذاك، من مستويات التركيب في عملية التحليل إلى المكونات المباشرة، كان لنا من المكونات ما يرتبط نوعه بهذا المستوى أو ذاك، نعتمد مثلًا مستوى التركيب الإسنادي البسيط^(٢٨)، أي الجملة^(٢٩)، فيكون لنا:

(٢٢) نحن الذين ترجمنا هذا النص.

(٢٣) نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

(٢٤) صفحة ٢٥.

(٢٥) المقصود هو القطع الكلامية بمعناها المطلق، وليس القطع الكلامية المقللة التي تناولها دراستنا.

(٢٦) حول تعبير «الجملة» من «العبارة»، راجع حاشتنا الأولى، وراجع المقالة الثانية من الكتاب، أو قاموس المصطلحات.

في قولنا:

١ - العلم / نور،

مكونات مباشران هما: «العلم»، و«نور»؛^{٢٣}

وفي قولنا:

٢ - معرفة الحق / نور،

مكونات هما: «معرفة الحق»، و«نور»؛

وفي قولنا:

٣ - معرفة الحق / غاية العقل،

مكونات هما: «معرفة الحق»، و«غاية العقل»؛

وفي قولنا:

٤ - رغبة الناس في التعلم / عامل رئيس^(٢٧) في التنمية،

مكونات مباشران هما:

«رغبة الناس في التعلم»، و«عامل رئيس في التنمية»؛

وفي قولنا:

٥ - رغبة الناس المتزايدة في التعليم المهني / فلاح^(٢٨)،

مكونات هما:

«رغبة الناس المتزايدة في التعليم المهني»، و«فلاح»؛

الخ...

فكل مكون من هذه المكونات المباشرة، التي تضمنتها الأمثلة الخمسة المتقدمة، هو ركن من روكي مركب إسنادي ينعقد به الكلام. أول المكونين هو مبدأ،

(٢٧) صاحب هذه الأمثلة هو الذي استعمل الكلمة «رئيس»، بلا ياء، لأن عنـ

(٢٨) نحن الذين عدنا هذا المثل، فأخللنا الكلمة مفردة، الكلمة «فلاح»، فعل القطة الكلامية التي كانت فيه، أي فعل: «عامل رئيس في التنمية الصناعية»، ملتف يتشه القاريء.

والثاني خبر. وحكمنا على كل قطعة كلامية^(٢٩)، من القطع الواردة في الأمثلة بأنها مكون مباشر إنما يُسْتَند إلى كونها ركناً إسنادياً، مُسْتَنداً إليه أو مُسْتَنداً حتى الكلمة المفردة تصبح مكوناً مباشراً إذا كانت ركناً إسنادياً (راجع المثلين ١ و ٥).

وإذا نحن بطننا، في عملية التحليل، من مستوى المركب الإسنادي، إلى مستوى المركب غير الإسنادي^{*} بأشكاله المتعددة، كالـ**المركب الإضافي*** (قصيدة النثر)، والـ**المركب الوصفي*** (القصيدة المنشورة)، والـ**المركب البديلي*** (الإمام علي)، والـ**المركب التركبدي*** (الرجل نفسه)، الخ...، صار لنا مكونات من مستوى آخر، صار المكون كلمة مفردة، بعد أن كان قطعة كلامية مؤلفة من كلمات.

ففي قولنا:

٦ - قصيدة / النثر،

مكونات مباشران هما: «قصيدة» و «النثر».

وفي قولنا:

٧ - القصيدة المنشورة،

مكونات هما: «القصيدة» و «المنشورة»،

الخ...

إلا أنَّ واقع المركبات غير الإسنادية هو أغنى من هذا التبسيط.

فقد يكون المركب غير الإسنادي^{*} مركباً^(٣٠) يتداخلُ فيه مركبان غير إسناديين اثنان أو أكثر، وتُصبح عملية التحليل، مع مثل هذا المركب، عملية مركبة - إذا جاز أن يقال عن التحليل إنه مركب.

(٢٩) راجع الحاشية ٢٥.

(٣٠) إنَّ كلمة «المركب» هي موصوف، وكلمة «مركت» هي صفة. (ولَا يخفى أنَّنا هنا ننظر إلى الكلمتين خارج نطاق الاصطلاح الذي لا يعنى في سياقنا، أي أنَّ كون «كلمة» «المركب»، أنها لا يمكنُ، وكونه كلمة «مركت»، يعني أنها لا يعنينا في هذا السياق).

وفي قولنا:

٨ - رائد القصيدة المنشورة،

أربع مكونات مباشرة لا ثلاثة كما يبدو من ظاهر اللفظ.

فيه مكونان أولان طافيان على سطح التركيب هما: «رائد» و«القصيدة المنشورة»، مضارف ومضاف إليه.

وفيه مكونان آخران كاميان في طبقة ثانية من التركيب هما: «القصيدة» و«المنشورة».

وفي قولنا:

٩ - رائد الحداثة الأول،

أربع مكونات مباشرة أيضاً.

فيه مضارف هو: «رائد»، ومضاف إليه هو «الحداثة».

وفيه موضوع هو: «رائد»، وصفة هي: «الأول».

وكان في وسعنا أن نمضي في ما نحن فيه، فنتمثل بعوكلماته غير إسنادية أكثر تركيباً، ونخلل هذه المركبات إلى مزيد من المكونات المباشرة المتدخلة فيها، لولا أن مجالاً نحن فيه لا يتسع لهذا المضي، فاكتفينا بإشارتنا بهذه بعضها إلى المثلين اللذين عرضنا.

هذه هي المكونات المباشرة، أو هذا هو تصورنا لها. نذكر بأننا إنما عرضناها في نطاق الإجابة عن سؤال طرحتناه في هذا القسم من البحث: هل قطعنا الكلامية المقلدة هي مكونات مباشرة؟

إننا، بالعودة إلى تعريفنا للقطع الكلامية المقلدة، وما سبق التعريف أو تلاه من شواهد ووصف للمقطع، نتبين بسهولة أن القطع الكلامية المقلدة هي شيء مختلف عن المكونات المباشرة، على الرغم من الشبه الشكلي - الظاهري - المأرجني بين

القطع والمكونات في مستوياتها الترکيبية التي تعلو الكلمة المفردة - ونلاحظ هذا الشيء، مثلاً، إذا نظرنا إلى المخواج:

إلى: «رغبة الناس في التعلم» (الشاهد ٤ من لهذا القسم من البحث)، التي هي، كما رأينا، مكون مباشر.

وإلى: «لمثل هذه المهمة» (الشاهد ٢٠ من القسم ١/باء)، التي هي، كما رأينا أيضاً، قطعة كلامية مففلة.

ثم نأتي إلى عرض ما وقعا عليه من وجوه الاختلاف:

أولاً - إن المكونات المباشرة هي عناصر نحوية تدخل في تركيب الكلام على مستوياته نحوية كلها، من الكلمة حتى العبارة^(٢١)، في حين أن القطع الكلامية المففلة هي، من السلسلة الكلامية، أقسام طولية لا تقع إلا على مستوى العبارة.

ثانياً - إن المكونات المباشرة تدخل في كل كلام، فلا يخلو منها كلام، في حين أن القطع الكلامية المففلة لا تدخل في كل كلام.

ثالثاً - إن المكونات المباشرة التي تنتهي إلى مستوى تركيب معين من المستويات الواقعة فوق مستوى الكلمة المفردة، إنما تُحلل إلى مكونات مباشرة أخرى تقع تحتها في السلم، في حين أن القطع الكلامية المففلة لا تقبل مثل هذا التحليل: لأنها مففلة (Discrete) بطبيعتها.

رابعاً - إن القطع الكلامية المففلة تتحرك في العبارة متقدمة ومنأخرة، وينجم عن تحركها تغيير الصورة نحوية العامة^(٢٢) للكلام، في حين أن المكونات المباشرة لا تعرف مثل هذا التحرك ولا ما ينجم عنه.

خامساً - إن وعي المنشي، للحقيقة المبنية في البند السابق ربما أفضى به إلى إعادة

(٢١) راجع الملاحظة ٧ لندرك ما نقصد بـمصطلح «الصورة نحوية العامة».

النظر في هبّاته الكتابية التي تظهر على قرطاسه بدققتها الحدسيّة الأولى ، ربّما أفضى به إلى إعادة ترتيب ورود القطع فيها ، أي إعادة الكتابة ، في حين أنّ وعيّنا للمكونات المباشرة لا يغرس ، في ما نرى ، إلى شيء من ذلك . إنه يظلّ وعيًا نظرياً بصريًا .

* * *

المقالة السابعة

هوانب من شأن المغربي

نشرت في مجلة «الكافح العربي»، الباريسية في العدد ٣١٢ آذار ١٩٨٤.

جهانب من الشأن للغوي

إضافة اللغة، أي استضافة المعينين بها، أمرٌ قلل في ما نعلم، أن عرفة الصفحة التي تستضيفنا اليوم بترحاب من بياضها المصقلي.

والشأن اللغوي نفسه لا يوحّي، عادةً، بأنه داخلٌ في همومنا العامة التي تشغّلنا: كالمهم الوطني، والمهم الاجتماعي، والمهم الصحي، والمهم التربوي، والمهم الثقافي، الخ... وتصوّر الناس الشائع: أنَّ هذا الشأن هو نوع من القشرة الشكلية الطافية على سطح الأشياء، أو نوع من الوعاء المخاوي للتفكير، وأنَّ أهميته للفكر والأشياء شبيهة، شكلياً، بأهمية الوعاء لما يحيط به...

ونحن، على الرغم من ذلك، أو بسبـبـ منه، رأينا أن نظلـ على مستضيفينا الأكارم ، قراءـ هذه الصفحةـ والعاملينـ فيهاـ، إطلاـلةـ لغويةـ تغـرضـ فيهاـ جوانـبـ من المسـألـةـ: تعـنيـ جوانـبـ من تصورـناـ للشـأنـ اللـغـويـ الذـيـ ذـكـرـنـاـ، وـهـدـفـنـاـ مـنـ عـرـضـ هـذـهـ الجـوانـبـ أـنـ نـعـيـهـاـ، أـوـ نـعـقـمـ وـعـيـنـاـ هـاـ، وـنـصـعـ فـوـقـ حـرـوفـهاـ المـهـمـلـةـ^(١)ـ، مـنـ النقـاطـ المـوـضـحةـ، ما نـرـاهـ يـقـضـيـ إـلـىـ هـذـاـ الـوـعـيـ أـوـ إـلـىـ تـعـمـيقـهـ. عـلـىـ أـنـ نـضـيفـ، فيـ سـيـاقـ هـذـاـ المـدـخلـ، أـنـ الشـأنـ اللـغـويـ الذـيـ يـعـنـيـنـاـ هـوـ مـاـ عـادـ، مـنـ لـسـانـاـ العـرـبـيـ، إـلـىـ لـغـتهـ الـمـوـحـدـةـ، لـغـتهـ الـكـتـابـيـةـ الـمـعـرـوفـةـ بـ، الـلـغـةـ الـفـصـحـيـ^(٢)ـ.

وإذا كان كل جانب من الجوانب المكونة للشأن اللغوي الذي يعنينا يشكل موضوعاً لكلامٍ مستقل أو بحثٍ مُتَّسِعَ الجنبات، وكان لنا، من تلك الجوانب، ما

(١) المرووف المصلحة هي، كذا نعلم بالمرور المطلوبة من المخط، ولا يعني أنها تزوج بها حال بعض مشكلاتنا الفنية المفترضة إلى ما يوضحها

يجعل أبعادنا تتعدد أليها تعدد، فإن حيزنا هذا المحدود يتفرض علينا الالتفات على عدد بعيد من هذه الجوانب بختارها دون سائر أخواتها، ويفرض أن تكون إشارتنا إلى هذه الجوانب إشارة عابرة وهذه هي حقيقة ملخصه.

* * *

وأول جانب نقف عنده لتشير إليه: هو أن لسانَ شعب من الشعوب، مستواه المتعددة، أي بلغاته المتعددة^(٢)، المرتبطة بشؤون الحياة اليومية، هو وجهة من وجوه ذلك الشعب، أي مظهر من مظاهر تراثه المضاربي، الذي يميزه من الشعوب الأخرى، وأن المحافظة على هذا اللسان^{*} هي محافظة على الوجه والتراث جميعاً.

الجانب الثاني: أن لغتنا الكتابية، المعروفة بـ «اللغة الفصحى»، هي مستوى يعيشه من مستويات لساننا العربي، أو لغة من لغاته، وأن الانتقال، عندنا، من لغة التخاطب اليومي إلى لغة الكتابة، اللغة الفصحى، هو انتقال ضمن اللسان الواحد، وأن القول، على سبيل المثال، بأن اكتسابنا للغتنا الفصحى شبة باكتسابنا لسان أجنبى هو وليد عقلتنا عن مقوله أسلية عامة تفسر لنا بعض مظاهر اللغة أو بعض ظواهرها، مقوله المستويات، وخلافتنا عن حقيقة المستويات المثلثة تخصيصاً في لساننا، أو بخلافنا لها، أو تناقضنا عنها.

(٢) يلاحظ القارئ، أننا، في المتن الذي أثنا به حاشيتنا، نجعل اللسان كلاماً ولغة جزءاً، أو نجعل اللسان هو العام ولغة هي الخاص، بخلاف التراتب الاستلاغي المعروف بين الكلمتين. وهذا القلب في التراتب الاستلاغي، الذي يعرفه لساننا على الأقل، هو وجه من وجوه ما نسميه دينامية المدلل الدلالي الذي ينشأ بالكلمة وفيها وحراها. وهي الدينامية التي تجعل الكلمة، على الصعيد اليومي المأكوف وعلى الصعيد الاستلاغي، تجاوز ذاتها، أي تتجاوز إرادتها بالفظ أو المحدود، لتكون حقلها الدلالي الذي يندفع أبداً حول ثوانه، في حركة لا تعرف التوقف، لأنها في ارتباط مستمر بمجددة الأيام المتدفق. (راجع المقالة الثانية).

الجانب الثالث: أن لغتنا الفصحي هي لغة حية، نابضة، ذاتية، آتية في كل عصر، آتية لكل عصر، في رحمة من الاستعداد الطبيعي للتكييف:
• ما تجسده فيها استمرارية عجمية تجعلك تقرأ مثلاً لأمروى، القيس،
وليل كموج البحر أرخي سدّة، على بأنواع المسموم ليتلقي،

ثم تقرأ لسعد عقل:

أرى المتنهي أنا من الدهر شارداً توقف عند الجفن يتحمّل قلب،
فلا تحس، من الناحية اللغوية التي تعنيها، أن خمسة عشر قرناً قد انقضت بين
البيتين،
• وما تجسده فيها كفاية عالية تجعلها قادرة على مواجة الأيام بجديدها المتدق،

أما الشبحوخة التي يرمونها بها، أما المناداة بتسيطها، أو تيسيرها، أو ما شابه
من هذه الدعاوى، والدعوات، التي ظهرت من أخرين إلى حين، فليس لشيء من ذلك
أن يقتصر بغير الجهل بحقيقةتها، فهو إضمار العذاء، ثابتتها،

ترى دليلاً صارخًا على حيويتها، دليلاً لا يخلو من العراقة أو الغرابة؟
أنظر إلى أشدو أبئتها حقوقاً بعد طول وقاي، وأقواهم في معاواهم بعد طول
محبة، وأكثرهم مناداة بالتخلي عنها وإحلال لغة التخاطب اليومي محلها بعد أن طال
نسكهم بها. أنظر إليهم كيف عجزوا عن تطبيق ما ينادون به، وكيف راحوا،
مثلاً في إعلامهم المقصود والمسموع، يستعملون، من اللغة نفسها التي
يَتَهْمُونَها وينادون بإسقاطها، مشتوى بلغ حرصهم على سلامته خلا التزمر
القاموسي الجامد.

الجانب الرابع: أن لغتنا الفصحي هي لغتنا المميزة الذي عرفناها بين الناس،
فنـ الأدب بـ شـعرـه وـ نـثرـه، هي مـادـةـهـ التي صـيـغـتـ مـعـهاـ آـثـارـهـ الرـوـائـعـ وـ مـاـ تـرـأـلـ، وـ مـنـ

الشكل الذي يُطلّ به الأثر الأدبي على الناس، هيَ وجة لا ينافي هذا الشكل أن يكون شكلًا إلا به. بل لا ينافي له أن يكتمل خلقاً سوياً إذا نحن أهملنا العناية بوجهه اللغوي، ورَضِينا له بغير البهاء الذي منه استمد شاعرنا الشاب بعضًا منْ بهاء وجهه تجوي رسمة ذات يوم للناس بيت له مشهور:

وَوَجْهٌ كَانَ الشَّمْسُ أَلْقَى رِدَاءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَ اللَّوْنُ لَمْ يَتَخَدَّدْ

نَقِيٌّ إِلَى الْجَانِبِ الْأَخِيرِ الَّذِي تَبِعَهُ لَنَا فُسْحَةٌ اسْتِضَافَتْنَا. إن الثوب الذي ما زال لساننا يرتديه منذ عهده بالكتابة، وما زال يتناوله من التعديل ما يلائم بيته وبين الحاجات الطارئة عليه، هذا الثوب هو المفضل على جسد اللسان، المفضل لهذا اللسان، المستوعب لتحركه الطبيعي الجاري في الزمان والمكان.

أما القول بالقصور الذي رُميَ به، والنقص الذي يعبرون عنه بمقولة تمثيلنا بين الناس بأننا نفهم لنقرأ في حين أنَّ الناس يقرأون ليفهموا – وهذا، في رأيهما، ما ينبغي أن يكون – فهو طرحٌ تبسيطٌ أبَرَّ، مُعلَّقٌ في الهواء، قائمٌ على سكونية مثالية، أو مثالية سكونية تفاصُلُ النظرية في أرجائهما، وأنَّ الطرح الواقعي، الطرح العلمي للمسألة، هو الطرح الذي يكتنفه سياق عام مضمونه: أن القراءة الناجحة عن الفهم، المبنية عليه، المصوَّغة منه، هي القراءة المنشودة، التي يتطلع إليها كل قارئ، والتي يشكل التمثيل^(٢) أعلى درجاتها، أيَّاً مَا كان الحرف الذي كتبت به كلماتها.

... ...

... ...

* * *

(٢) التمثيل بمعناه الفني المعروف، كالتمثيل المسرحي وما كان من قبله.

the first time in the history of the world, the
whole of the human race has been gathered
together in one place, and that is the
present meeting of the World's Fair.
The whole of the human race has been gathered
together in one place, and that is the
present meeting of the World's Fair.
The whole of the human race has been gathered
together in one place, and that is the
present meeting of the World's Fair.
The whole of the human race has been gathered
together in one place, and that is the
present meeting of the World's Fair.
The whole of the human race has been gathered
together in one place, and that is the
present meeting of the World's Fair.

* * *

The World's Fair, Chicago, Illinois, U.S.A.

— 1 —

卷之三

الصلة المائية

صحيح مفتاح الستار

مقابلة أجراها معنا المسؤول عن القسم الثاني في مجلة «الكتاب العربي»، الفيروزية، ونشرت في هذه المجلة في عدد ٢٠١٣ - ٤٤/٧/٢٢.

صحيحناكتابنا الترمي المفتوح

+ في استضافة «الكافح العربي» لكم، بعدها ٢١٢، الاثنين ٦ - ٨ تموز ١٩٨٤، وفي ما قدّمتكم من حديث لغوي، يلاحظ القارئ أنكم تثرون قضايا تطرح أسئلة ربما كان في الإجابة عنها استكمالاً لتلك القضايا.

قلت، على سبيل المثال، إن الشأن اللغوي لا يوحى عادة بأنه داخل في همومنا العامة. هل تريدون، بكلمة «لا يوحى»، أن تقولوا إن الأمر هو أبعد من ذلك، وأن الشأن اللغوي هو هم من همومنا العامة؟

* أعتقد أن الإجابة عن هذا السؤال قد وردت في الجانب الأول من جوانب الشأن اللغوي التي تناولناها في الصفحة المضيفة التي أشرت إليها سؤالك.

إذا كان لسانُ شعب من الشعوب هو وجهاً من وجهاته، أو مظهراً من مظاهر تراثه الحضاري، وكانت المحافظة على هذا اللسان هي، كما قلنا في الموضع المبين، محافظة على الوجه والتراص جديماً، كان لنا من ذلك أن العناية باللسان لصونه من عبث الأيام، تصبح همّاً من همومنا الثقافية. وطبيعي أن المهموم الثقافي، وإن كانت هموماً عامة، فإن الإحساس بها يبقى عصوراً في نخبة من المثقفين، يدركون أبعادها ويدركون مدى ارتباطها بالهموم الأخرى التي يحسّها المواطن العادي.

+) للقلم إنما الإنبعاث من لغة التخاطب اليومي، إلى لغة الكتابة المعروفة باللغة الفصحى، فهو صدف، إنبعاث فصحى اللسان الواحد.

+) وربما انتبهتم إلى أنماط في هذه القول، أو في نطاقه، أن نطرح مسألة ما يسميه بعضهم **«العربية الحديثة»**، والمناداة بالحلال هذه العربية محل ما يفترض أن يسمى، بمعنطلق هذا البعض، **«العربية القديمة»**.

وإذا كان مقام الكلام لا يتسع لنا الوقوف أمام الجانب النظري من المسألة، أي لا يتسع لنا تعريف «العربية الحديثة»، كمستوىً من مستويات اللسان العربي، وتحديد موقعها في سلم المستويات ، أو سلم اللغات التي تدخل في تكوين هذا اللسان، وإظهار أن هذه اللغة ليست سوى مستوى من التشكيلات ، أو لغة من اللغات (لغات اللسان) ، وأن لها خصائصها ، وقاموسها معاوكيها ، وـ «عجاولاً جيبيواً» لا تتجاوزه ، الخ .، فإن مقام الكلام نفسه لا يحول بيننا وبين أن نقف من المسألة أمام جانبها العملي الذي يعني المختص وغير المختص من أبناء اللسان ، فننظر إلى ما يؤدي إليه تبني «العربية الحديثة» ، أي إحلالها ، كما يريد الحال ، محل لغة الكتابة ، أو اللغة الفصحى .

إننا، ياجالٍ يتسعه المقام، نرى أن إحلال «العربية الحديثة» محل «العربية القديمة» - ما نفترض أن الحال يسميه كذلك - معناه الواضح الذي لا تُنس فيه أننا نتنازل، بصورة طوعية مجانية، (كدنا نقول: بلهاه)، عن ثروة لغوية تكونت في زخم اللسان العربي عبر العصور، كما يتكون التلوك في زخم البخل عبر الدهور، ثروة تتناول، من مفردات هذا اللسان، أي من خواصه الدلالية الشبيهة

بالعدسات الضوئية التي ومن خلالها، تنظر إلى الأشياء)، ومن تراكيبيه التي تنازع بها المفردات، ما يرتبط بضميرنا اللغوري، وبنيتنا المذهبية، وما يؤدي التخلُّ عنَه إلى التخلُّ عن طاقة تعبيرية، أي تفكيكية، تظهر الطاقة البديلة أمامها، (أي «العربية الحديثة»)، كشمعة حيَّة أمام مصباح متوجه، ولو كان مقامنا يتبع لنا أن نتكلَّم عن المسألة بالشواهد المحسوسة الشخصية، بدلًا من الكلام عنها بالتجريح، لأنَّـرَقَ منها في حسناً ووعيناً خصوصاً ثابض يزيدنا تعلقاً بالثروة التي ينادي المذاي بالتخلُّ عنها.

على أَنَا، قبل أن نختِّم الكلام في المسألة، لا نستطيع إلا أن نعبر عن اندعاشنا من أن يكون هذا المذاي من الشعراًء، فالشاعر، كما نعلم، هو سلطة من سلطات اللسان؛ لأنَّـه أكثر الناس، أو من أكثرهم، إحساساً بثرواته (ثروات اللسان)، وأنفذهُم، أو من أنفذهُم، في رؤية الأحجار الكريمة التي تعلوِّي عليها مناجم اللسان.

+ وأين شُقَّ المذايَة بتحديث العربية من هذا الذي عرضتهُ؟

• فإذا لم تكون المذايَة بتحديث العربية، والمذايَة بـ«العربية الحديثة»، شيئاً واحداً، فإنَّـه بين المتألتين علاقة لا تخفى، على أَنَا لا تواجه سؤالكم المطروح من خلال هذه العلاقة، إثناً تتكلَّم عن المذايَة بتحديث العربية كمسألة قائمة بذاتها.

إِنَّـا، بكل بساطة، نرى أن المذايَة بتحديث العربية، أي المذايَة بتحديث لغة الكتابة، إنما هي شعارٌ من هذه الشعارات اللفظية التي تُطرح طرحاً ما أكثر ما يخلو من فلسفتهم، موظفوهم جاؤوا.

ما هو التحديث الذي يطلُّبونه هذه اللغة؟

هل اللغة زَيْ من أَزياننا، أو حاجةٌ من هنَّـه الحاجيات الاجتماعية المادية الملاصقة لرغباتنا، المتمثلة في منزل، أو ثوب، أو سيارة، ... فنطالب بتحديثها؟

وإذا كان المقصود بتحديث اللغة تكييفها مع الجديد العظاري، عليها، أي تطورها،
أفتراها تتغير مثل هذه المطالية لتكيف نفسها مع الجديد الذي تحمله الأيام؟

أنظر، من لغتنا العربي، إلى اللغة الإدارية التي تصوغ بها اليوم تعابيرها، أو
مذكراتنا الموجهة إلى موظفينا. هل هذه اللغة، على سبيل المثال، هي كلية تلك
الكتب الإدارية، التي كاينت على بن أبي طالب بوجهها، في القرن الأول المجري،
إلى عماله في الأقاليم (أي موظفيه)؟

ما الذي جعل لغة المذكورة الإدارية الراهنة تبتعد عن لغة الكتب القديمة،
وتحتفل عنها بعمر داعها والتراكيب (دون أن تغييرها توفرج من ملائكتها، أي دون
أن تكف اللعنان عن أن تنتسب إلى ليهان واحدة يعمها)؟

اللغة كائن حي يجري على الكائنات الحية من تكيف وبدل وتطور.
وهي، في تكيفها وتطورها، لا تستاذن أحداً، ولا تتطلب التغافل من أحد. التطور
شأن من شأنها الداخلية، الطبيعية المحتملة. فلتوفر على أنها مشكلة المقادرة به
والتفكير له.

التحديث المتاح والمطلوب هو تحديث العملية التعليمية التي تشمل، من اللغة،
مقررها الرسمي، والكتاب الذي يجسد المقرر، والمدرسة والمعلم والطريقة والوسيلة،
الخ... وهي، كلها، أمور لا تخسي أن من أوقى حدأً أدنى من الثقاقة والحسن السليم
يدعى أنها هي اللغة بحقائقها العامة التجسد بالشتها، وتواميسها المحركة لجزئيات
الكلام.

+ بعضهم يزتاب في هذه الدهوات التي تظهر، عندنا، من حين إلى حين،
كالدعاة إلى الخداعة التي اسمير ختم بعض جوانبها، والدعاة إلى إخلال العافية هن
الفصحي، والدعوة إلى كتابة اللسان العربي بالحروف اللاتيني، بلغ...، ويزتاب في
الأهداف السياسية الكائنة وراءها ويزرع عنها صفة الإصلاح العلمي المرضوعي
البرىء. فما رأيكم؟

• هنا حصلت أمني أنتصاراً للإيمان، المؤمن في هذه المسائل وليست من المؤمنين بجدوى الجدل الناجي، فيها، هذا المنطق، الذي يعني حفظ أن أنا أعيش، بتفكير بارد، المضمون لل موضوعي، بهذه الدعوات، أي أنه أتناول هذه الدعوات بعد تجربتها من ثوبها العاطفي الانفعالي إلى السياسي، إنه عندما عيد بيده

أنا مسألة العامة والفصحي، وأعتبر وجود لغتين في لساننا مشكلة تتطلب الحل، والمناداة بالتخليص من الفصحي وإحلال العامة محلها، والتذرع، مثلاً، بأن الفصحي هي لغة ميتة، شائخة، عارضة، تعيق مسيرتنا العلمية والحضارية والسياسية، وتسيء لنا، كلفافي أم كلثوم مثلاً، ضعفنا المتادين أيام إمبراطيل، وعجزنا الداخلية، الخ... الخ...، فإن طرح القضية على ضوء ما ذكرناه من مقولية المستويات، أو اللغات، التي يتضمنها لساننا العربي، وأي لسان، من شأنه (من شأن هذا الطرح) أن يظهر لنا أن وجود لغتين اثنتين في لساننا، أو أكثر من لغتين، هو وضع لغوي طبيعي لا تنفرد به بين الناس - وإن كانت له خصوصية هي قدر من أقدارنا - وأن كل ما يطرح حول الموضوع ينحل ويصبح غير ذي موضوع.

وأما الحرف العربي الذي ما زلنا نكتب به لساننا منذ ما يربو على خمسة عشر قرناً، والقول بعدم صلاحيته، والمناداة، مثلاً، بـاحتلال الحرف اللاتيني عمله، أما ما يُرمي به هذا الحرف من نقص، أما التخلف الذي يُعزى إلى اعتقاده، أو ما شابتة من أقوال....، فإننا، هنّا أيضًا، أمام دعوى قد أفرغت من المضمون الموضوعي المحادي الذي يضمنه أمام النقد المنهجي البارد.

لقد تبين لنا، شخصياً، أن الحرف العربي، بنظام الحركات الثلاث، أو الأربع، والضوابط الأخرى، التي تتعاقب على الكلمة المكتوبة، فتغفو على أحقرها، أو تسقط منها، كلهاً أو جزئياً، تنهى لنا، إذن، أن هذا الجحوف هو أكثر الأحرف المطروحة ملاءمة للبيانات العربية المغربية، بكلماته المفردة وعباراته.

^٢ وبما أن الدخول في جوانب المسألة وتفاصيلها يتجاوز، بكميّة، نطاقنا هذا بغاية بعيدة، فاتنا نكتفي بجانبين مهمتين اثنين تقف عند أولها ونشير إلى الثاني.

لأنها الجائحة الذي توقفت صحفه، في حين متى هذا التناقض الملاحدة الذي لا يخفى،
شغفني، بين أسرار لا يدخلن تحقيق العظام بغيرها، هنا له سروره،

- الأول: **تناوب الحرف والآيات** على حركات الأعراب وحركات البناء
ثناوياً يرتبط بطبيعة الأعراب وطبيعة هذه المركبات، كما يرتبط بطبيعة الوقف وما
يطلب من تشكينه. وهذا أمر حاصل بين الأسماء، مثلاً، في اللسان الفرنسي، بل لا
معنى له في هذا اللسان، أو ما شابه.

- الثاني: **حجم الحركات** (حجمها في الكتابة)، وشكلها، وموضعها من
الكلمة أو الحرف، وظهورها، كما يقول سعيد عقل، بمظهر النسب الفقير الذي قد
يدعى إلى المثابات الفائقة وقد يهمل - فهي، مثلاً، غير واجبة الوجوه - وما
يفضي كل ذلك إليه: من ثبوت في الكتابة أو سقوط منها، من ثبوت في النطق أو
سقوطه.

هناك، إذن، تناقض بين الأمرين المبين يتحققها نظام كتابة اللسان العربي
بالحرف العربي.

أما كتابة هذا اللسان بالحرف اللاتيني الذي ينادي به للنادون، القاضي يجعل
الفتحة والكسرة والضمة، أحرفاً عادية تدخل في جسم الكلمة المكتوبة، فإنها تغير
 علينا من المشكلات ما نحن في غنى عنه.

نعم إنها، بينما من المحال في تغافل عن حركات غير الثلاثي المضارع (ويمزوم) بضم
الذاء ليس كسره، (بتصير)، وبالضم أو الكسر، (بصير)، وبالضم أو الكسر،
ويجزء، (ويینفون)، (يشملون)، لكنه كمن ون الغافل عن حركات الأعراب المتداولة في
الكلام ما لا حاجة لنا به، لا في كتابتنا الإعلامية، ولا في كتابتنا اليدوية التي
تشتمل، في ما تشمل، رسائلنا، ولا في كتابتنا الإدارية، وما لا طلاقة لغافلستنا العاملة
في هذه المقول على إثبات أصولي لغير قليل منه.

خلو من الحرف العربي، لماينا كثيراً من هؤلؤن صحفنا،

وكتيراً من يحذرون معاملاتنا المرسية، وكثيراً من يكتبون رسائلهم، يعمون في مأزق العجز عن إثبات الحركة الإلزامية، ولظاهر من البلاة في صحافتنا ومعظمها وكتاباتنا اليدوية المختلفة ما يزيد طينة اختلافاتها ^{بأنه} نحن عنها بغي. هذا، ولم نذكر المشكلات الإعرابية المعقدة المعروفة للمنوع من الصرف، وتواضع المنادي، وتواضع اسم لا النافية الجنس، الخ... وكلها، أو جلها، حرفيات شكلية غير وظيفية، وهي، في ما لم يكن أدباً، لا تُعدّ جزءاً من التعبير.

- إنما، بتنظيمنا الحالي، وفي نطاق القراءة، إنما ننظر إلى الحرف الحالى من حركة الإعراب أو حركة البناء، أو ننظر إلى حركة الإعراب المائلة فوق الحرف لو تحته...، فنجده، بسبب من شكل الحركة وحجمها الكتائى، أنها شيء ثانوى لا يلزم.

فلو نحن اعتمدنا الحرف اللاتيني، للزمتنا من ذلك أن نلفظ جميع الحركات، ولترجم عن ذلك ارتباكنا في مسألة التسكين التي هي من صلب لساننا العربي.

نأتي، من مسألة الحرف العربي، إلى الجانب الثاني الذي قلنا إننا نشير إليه إشارة عابرة. إنه ما يرمون به نظام الكتابة بالحرف المذكور من قصور يظهر في ما يدعونه من أناجمهم لقراء، بدال أن هؤلاء نحتم، وأننا نتفرق بذلك بين الناس.

ولأن إيضاح هذه المسألة يتطلب توسيعاً يتجاوز هذا المقام، فإننا نكتفى، من هذا الإيضاح، بإشارة سبق لنا أن أوردناها في صفحةنا التي استضفتنا فيها، ومضمون هذه الإشارة أن طرح هذه المشكلة يمكن، في العادة، طرحاً نفرياً، أو طرحاً في المطلق. أما الطرح الذي نراه، فإنه الطرح الذي يكون من خلال سياق خاص للمسألة فيها مزيداً من التعقيد، ويوضح معناها: في هذا السياق، تحدد بموضعه لقواعد القراءة، أو مستوياتها، كما تحدد العلاقة الطبيعية العضوية المحكمة بين فهم النص وشكل أدائه، كثبت، بهذا التحديد، أن القراءة، بمعناها البعيد، أي بمستواها المتقدم الذي تتطلع إلى تحقيقه، (والذي يتلي درجه العليا في التشكيل الفني)، إنما تكون مسؤولة عن الفهم قائمته طبيه، أيها مكان الحرف المعتمد في

الكتابة... وهذا ، ببساطة ظاهرة معروفة أننا لا ننفرد بين الناس بل ننتم لهم لقرأ ...

اللغ ...

• هل للصحافة ، في رأيك ، من دور لغوي يضاف إلى دورها الإعلامي العام ،

وهل يدخل في الدور اللغوي هذا عدليّة تسهيل اللغة وتقريبها من الناس ؟

• الإجابة عن هذا السؤال تعمّل من الحقائق :

• **الحقيقة الأولى** : أن الصحافة ، بطبعتها الإخبارية ، وبالشكل المادي المخارجي للصحيفة أو المجلة ، هي كتابة هيروغليفية مفتوحة ، وهي ، بهذه الطبيعة ، تفسّر لك متضمن ما تكتبه ، مما يشير إلى التفصّل ،

الحقيقة الثانية : أن اكتساب اللغة يكون بالتمرّن بمتضمنها ، وأن التمرّن هو أعلم وسيلة من وسائل هذا الاكتساب.

الحقيقة الثالثة : أن الصحافة ، بوصفها كتاباً اليومي المفتوح ، تصبح أبرز وسيلة من وسائل ثورتنا بلساننا ، أي أبرز وسيلة من وسائل اكتسابنا لهذا اللسان ، وتحويدها لها.

الحقيقة الرابعة : أن لغة الصحافة ، أو اللغة الإعلامية ، هي ، بطبعتها ، لغة يومية ملائمة ، يسهل الانتقال بينها وبين لغة التخاطب اليومي ، وبينها وبين اللغة الأدبية ، دون أن تتحول إلى هذه أو تلك . كأن اللغة الإعلامية ، بهذا الواقع ، (كأنها) هذه «**اللغة الثالثة**» التي يبحث عنها أو ينادي بها بعض المعنيين عندنا بالشأن اللغوي ، الذين ينطلقون من تصوير تبسيطي للمسألة مضمونه أن الوضع الناجم عن وجود لغتين بلساننا ، لغة للتخاطب اليومي ولغة للكتابة ، هو وضع غير سوي ينبغي التخلص منه ، وأن من وجوب هذا التخلص أن نوفق ، بما يشبه تسوياتنا السياسية المشهورة ، بين اللغتين بلغة ثالثة تجمع بين اللغتين.

فإذا التقينا من تسجيل حملتها بهذه إلى الإجابة عن سؤالكم المطروح ، وكان لنا ،

باستثناء بسيط مصوّر من يربط المقال بالبيئة بعضها يبعضه، أن الصحفة هي أفضل مدرسة لاكتساب لغتنا الفصحى، أو تعميق هذا الإكتساب وترسيخه الذي يؤسس في المدرسة. على أن تُقيد حكمنا هذا المستخرج بأن يكون وعي الصحافة له، (لهذا الحكم)، وعياً تاماً يواكب باستمرار العمل الصحافى، أي يواكب ما يعيشه من هذا العمل، لغته التي نسيى على الدوام، (سيجيء كصحفين)، للمحافظة عليها في نطاقها الطبيعي المبين، فنحو بينها وبين ركاك ما كان تحتها من لغات لساننا، كاللغة الإدارية المرتجلة، ونحو بيتهما وبين اللغات جعلوها، كلّة المؤذنون ذات النحورية واللغة الأدبية، ثم تغير بوضوح قلّموكل لخطاب الإعلاميين من قاموس بكل لغة أخرى، وغير تراكم بهذه اللغة من تراكم بـ «اللسان» فاللسان تمثل باللغة الإعلامية، فهو ما هو دونها يوقعها في الضعف والركاكة، والإيمان به غير طلاقها فورتها يوقظها في التزرت. وكلها أمر مرفوض.

أما ما ذكرته في سؤالكم حول «تسهيل اللغو وتقربها من الناس»، فإن اللغة الإعلامية، سهل من سهولتها الطبيعية، وبسب من طابعها اليومي، وسبب، على الأخص، من دوراتها في تلك الحياة اليومية، وارتباطها بما يطرأ على هذه الحياة من جديد متفرق، تصبح، في ما بعد إزاماً لا انفكاك لها منه، مطالبة بمواكبة كل جديد، وتصبح هذه المواكبة، بواقعها المتحقق، مصدر تعميم ونشر لكثير من المفردات التي لا يعرّفها القاموس والتي لا تعبّر عنها المثلجة، ومصدر صور من الطواعية التركيبية لا يقتضي إتمامها «كتابي»، «أو قاموسي» بواجهها بعافية تظرفها يقف عند حرقها اللغو، أو لغضها الحرق، لا يجاوزه إلى روح هي في المسالة جوهر يحرك عرض المعرفة والاتصال؛ هذا فضلاً عن أن اللغة الإعلامية، بما هي لغة تشمي إلى لسانها، وتحشد، من هذه اللسان، قدر تشرق منه مع لسان آخر، إنما تساهم «بكتوبها، كما قلت، كتاباً يومياً مفتوحاً، في شهر» كثيرة من قاموس اللسان وتراكيبه، وتقرّب القاموس والتراكيب من الناس، وترسيخها في سلبيتهم.

+ لقلّ لم يقبل ما نفهم به أن نسأل، ما الذي يتعرّف إليه بأهميكم باللغة، وما

المجديد الذي تحاولون قوله على صعيدها؟

• إنني أطمح أن أكون جزءاً من كل، أو فرداً في جماعة. وما أرمي إليه باهتمامي اللغوية المتصلة بهذا الطموح هو، بطبيعته، جزء مما رمت إليه الجماعة وما لا تزال ترمي إليه: وصف اللسان العربي بلغاته الداخلة في تكوينه والكشف عن حقائقه ونواحيه، والمساهمة، بهذا الكشف والوصف، في أن نرسم لسلكنا اللغوي، على صعيد التعليم وعلى صعيد الكتابة، صراحتاً فريدة مستقيمة.

أما الجديد الذي تأسّل عنه، فإنني أعتقد أن المدف الذي بينا، إذا قدر له أن يتحقق، وكان منهجاً في العمل منهجاً علمياً، أي منهجاً لغومياً غير به اللغة من العقل والمنطق، أو، بكلمة أدق، غير به منطق اللغة من منطق العقل، فترفع عن اللغة من العقل سلطاناً ما أكثر ما أفسدها، بل ما أكثر ما يفسدها حتى في يومنا هذا. إذا قدر، إذن، لهذا المدف أن يتحقق، بالكيفية التي نصف، فإن ما يأتينا منه لا يمكن أن يكون إلا جديداً.

★ ★ ★

1920-1921 - 1921-1922

1921-1922 - 1922-1923

1922-1923 - 1923-1924

1923-1924 - 1924-1925

1924-1925 - 1925-1926

1925-1926 - 1926-1927

1926-1927 - 1927-1928

1927-1928 - 1928-1929

1928-1929 - 1929-1930

1929-1930 - 1930-1931

1930-1931 - 1931-1932

1931-1932 - 1932-1933

1932-1933 - 1933-1934

1933-1934 - 1934-1935

1934-1935 - 1935-1936

1935-1936 - 1936-1937

1936-1937 - 1937-1938

1937-1938 - 1938-1939

1938-1939 - 1939-1940

1939-1940 - 1940-1941

1940-1941 - 1941-1942

1941-1942 - 1942-1943

1942-1943 - 1943-1944

1943-1944 - 1944-1945

1944-1945 - 1945-1946

1945-1946 - 1946-1947

1946-1947 - 1947-1948

المقالة التاسعة

مشكلاتنا المعاصرة من نظار المسؤولين

محاضرة ألقاها في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في بيروت بتاريخ ٢١/١/٨٥
ثم نشرت في مجلة «الطريق» ال بيروتية في عدد آذار ١٩٨٥.

مُسْدِّخَل

مستويات اللغة، أو، بكلمة أدق، مستويات اللسان، مقوله ألسنتها معروفة، وحقيقة ثابتة من الحقائق اللغوية العامة التي تشرك بها الألسنة المختلفة اشتراكاً لا نعتقد أنه يبلغ حدود التطابق، نظراً لما يقوم بين الألسنة من فروقٍ طبيعية تشبه الفروق الفردية بين الأشخاص.

وما يعنينا مباشرةً، في حديثنا، من مقوله المستويات، أنا، على هذيهما، أو بمنقارها، نستطيع أن نواجه ببعضًا من قضايانا اللغوية، أو مشكلاتنا^(١)، مواجهةً واقعيةً وصافيةً تجنبنا الوقوع في المثالية والتبسيط والتعيم، وتمكننا من أن نطرح، لتلك المشكلات، حلولاً تقع في نطاق المعقول والمقبول.

وقد كان فهمنا لمقوله المستويات، وما آتستاه، بالتأمل الدائب لثني لساننا العربي، من انطباقها اللافت عليه وتتجسدُها به، وقناعتنا بما أشرنا إليه من مسألة اعتقادها في مواجهة ما يتعلق بها من مشكلاتنا اللغوية، كل ذلك كان دافعاً طبيعياً مباشراً لاختيار موضوعنا الذي جعلنا الكلام عليه بعنوان «مشكلاتنا اللغوية

(١) في حسنا أن القضية أكبر من المشكلة، أن القضية كل والمشكلة جزء من أجزائها. إننا، شخصياً على الأقل، نستعمل «القضية»، و«المشكلة»، بهذا المعنى.
ثم نشير، على هامش هذا التمييز، إلى تمييز آخر بين كلمة «مشكلات»، التي نرى أنها جمع «مشكلة»، وكلمة «مشاكل»، التي نرى أنها جمع «مشكل». ونفس أن «المشكلات»، إنما تطلق على المسائل اللغوية - الفكرية، كال المشكلات اللغوية، والمشكلات التربوية، ومشكلات النجد الحديث، الخ... أما «المشاكل»، ففي حسنا أنها إنما تطلق على النزاعات المادية اليومية. إلا أن الكلمة، بهذا المعنى، زرعة انتهى إلى مستوى يومي من مستويات الكلام.

بنظر المستويات .

على أن نوضح ، ونحن بعده في العتبة ، أمرين من هذا العنوان تزداد يايضاً أحاجها فيما للموضوع المطروح :

الأول :

أن صيغة التعريف التي ورد بها المركب الإضافي - الوضعي " في عنوان الحديث ، مشكلاتنا اللغوية " ، لا تعني أنها ستتناول مشكلاتنا اللغوية كلها بمنظار المستويات . إنما سنقتصر ، من هذه المشكلات ، على ما رأيناه يرتبط ارتباطاً واسعاً بهذه المنظار .

الثاني :

أن ثانية المنظار ، المفهومة من العنوان ، هي ثانية مشكلة ناجمة عن لفظه . نريد أن نقول : إن دراستنا لما أشرنا إليه من مشكلاتنا اللغوية بمنظار المستويات ستكون ، في الوقت نفسه ، دراسة للمستويات عينها ، لأن طبيعة الدراسة تُفضي إلى ذلك . حتى إذا سمعَ لنا باعتقاد ما نسميه " الغلو المنهجي " ، أضفنا : أن دراسة مشكلاتنا اللغوية بمنظار المستويات ، أي من خلالها ، ستكون ، في الوقت نفسه ، دراسة للمستويات من خلال هذه المشكلات . (ولا يخفى أن التعرف على حقيقة المستويات ، في لسان من الألسنة ، يمكن أن تشكل غرضاً يستحق أن نرمي إليه) .

ويعني هذا الذي بلغناه أن بحثاً يتكون من قسمين رئيين الذين يفهم مدخلنا بالإشارة إليها :

قسم أول نظري تفرد للتعرف على مستويات اللسان عامة ; ومستويات اللسان العربي على وجه المخصوص ، أو التعرف على المستويات من خلال اللسان العربي . وهذا ، كما قلنا ، مدار مهم من أهداف البحث .

وقسم ثانٍ عملي ، تقوم فيه بدراسة بعض مشكلاتنا اللغوية بمنظار المستويات .

الف مُسْتَوَاتُ اللِّسَانِ مِنْ خَلَالِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ

نحن نعلم أن في طبيعة كل لسان^{*}، وفي طبيعة العلاقة بين المعنى واللغة، أو، بكلمة أكثر تعبيراً، بين الجسد اللغطي للسان وحقله الدلالي، المنداخ أبداً حول هذا الجسد، ترابطاً عضوياً طبيعياً يُؤْخِذُ إلى التفاعل العفوي الطبيعي المحتم بينها؛ فيكون لكل مضمونٍ شكلٌ يلائمه يفرزه المضمون فرزاً، ثم يكون لكل شكلٍ يولده المضمون معنى مختلفاً عن معنى المضمون العاري، أي مختلفاً عن هذه النراوة الدلالية السديمية السابحة في الذهن قبل أن تتجسد باللغة، وتتحدد بالشكل اللغطي يرتديها وترتديه: لأن المعنى السوي، المعنى المكتمل، إنما يُعْثَمُ من المضمون الدلالي والشكل اللغطي جيداً.

على أن هذا الذي نقوله لا يستقيم له أن يكون، ولا يستقيم لنا فهُمْ، إلا إذا أظهرنا لـكلمة «مضمون»، من معانيها ما يخرجها من عموميتها.

إننا نُطلق كلمة «مضمون» على مدلول يتسع حتى يدخل السياق الدلالي وسياق المقام في تكوينه، وهو، في تصورنا، اتساعٌ طبيعي: لأن مضمون كلمة من الكلمات، أو عبارة من العبارات، أو نصٌّ من النصوص، لا يمكن أن يكون، بمعناه الحقيقي، مُعْلَقاً هكذا في الفراغ، ولا يمكن أن يُسلَّحَ هنْ سياقه ويظلُ هنْ إياه. السياق جسدٌ تعيش فيه الأعضاء، أو عضوٌ تعيش فيه الأنسجة، أو نسيجٌ تعيش فيه الخلايا. السياق هو العمق الدلالي للمضمون أو المعنى، هو، كما يحلو لنا أن نصوره، بُورَةٌ من النَّبَضِ لا يكون المضمون مضموناً حياً إلا إذا

وصلتْ عروقها بعروقها، فإذا قطعتَ العروق بينها، أثبتتْ نفسك أمام هنكل لغظي هامدٍ - باره ، يأتيك منه محنٌ مُحْمَدٌ ، أو معنى مبسوط لا تتبين قسماته، لو لا تكاد.

بهذا التصور للمعنى أو المضمون، نواجه الجلاقة بين اللغو والمعنى، بين الشكل والمضمون: فنلاحظ، من جهة أولى، أن مضموناً يومياً - رتيباً - مبتذلاً، في سياق من المقام يومي - رتيب - مبتذل، لا يمكن أن يفرز من اللغو إلا ما يجانبه يومية ورتابة وابتذالاً. كما نلاحظ، من جهة أخرى، أن مضموناً مميزاً، مرتفعاً عن اليومي المبتذل، لا يمكن، في غالب حالاته، أن يفرز من اللغو إلا ما يجانبه أو يدنو منه.

إنني، إذا حاورتُ يائعاً الخضار وحاورفي، في شأنِ من شؤون الخضار، في مقام من مقامات حياتنا اليومية، الجارية على مستوى أنفاسنا الربطية، لم تكن حاججي وحاججته، من الكلمات والتركيب، ما يجاوزُ مستوى الأشياء التي أحاوره فيها، وتكونُ كلامي وكلماته، وتركيبيه وتركيبه، وكأنها وجهة آخر للأشياء التي يتناولها التعبير، القابعة خارج اللغة؛ أي أن الكلمة والعبارة تصبحان وكأنهما شيءٌ من الأشياء، حتى تكونُ في وسعي أن أحرفَ كلامي، أو أختزل لفظها، أو أشوّه هذا اللغو، في حدودِ من التحريف والاختزال والتشويه، دون أن يترك ذلك من أثر محسوس في عملية التخاطب الجارية بيننا، ودون أن يثير ذلك نقداً ذا بال.

إذا وجدتْ نفسك في مقام فكري أو رسمي مُميّز، كمقامنا هذا، الفيتنى يحتاجاً، من الكلمات والتركيب، إلى ما يجانس المقام المبين.

حتى إذا أردتُ، في عملية تعبيري، أن أجاؤز مضموني هذا ومقامي، وأرتفع فوقها؛ حتى إذا طرقت باب الأدب، شعره ونثره، لم يكن لكتابي وتركيبيه مفرّ من مجانية المستوى الذي طرقت بابه ومواكبته، أي لم يكن لعباري متقدّ من نقاؤ وفرادة لفظية تجاهس الفرادى المضمنية - الساقية وتراثها، ثم تشاغم الفرادى وتنلاشيان في فرادى واحدة - مُوحّدة، لا يتميز فيها شكلٌ لغويٌ من مضمون دلالي، إلا باللغز المتأمل.

لحن إذن، من مستويات التعبير، أو مستويات اللسان، أو لغاته المتراكبة

(*Hierarchies*) ، أمام سُلْمٍ صَوْرَنَا طَرْفَتِهِ ، أَيْ دَرَجَتِهِ الَّتِينَ تَعْدَاهُ :
 درجة الدنيا ، التي تقع في نطاقها لغة تناطينا الجذرية في مقام يومي يحيط بها .
 ودرجته العليا ، التي تقع في نطاقها لغتنا الأدبية الإخارية في مقام أدبي - في -
 مُميَّزٍ يحيط بها :

إنه ، في تصورنا ، وضع طبيعي يجسّد لنا حقيقة من الحقائق الكلية للغة : أي من
 حقائق الألسنة التي تتجسد بها اللغة

وبين الدرجتين المبينتين ، أي بين لغتي اللسان هاتين ، نستطيع أن نقع على لغاتٍ
 أخرى تدرج معها صعوداً في السلم ، فتمر ، مثلاً لا حصرأ ، وبعده لغة التخاطب
 الشفهي - اليومي ، بلغة للتخاطب الشفهي - الثقافي ، بلغة للمعاملات الرسمية ، بلغة
 للتصرّفات المرتجلة (وغير المرتجلة) لرجال السياسة والإدارة ، بلغة للرياضيات ، بلغة
 للعلوم ، بلغة للإعلام الإخباري ، بلغة للنقد الأدبي ، حتى تبلغ لغة الأدب ، بشعرها
 ونشرها اللذين يكوّنان لغتين متوازيتين ، من طبيعتين فحويتين - تركيبتين مختلفتين
 لا تراثب ، في رأينا ، بينهما . (سنعود إلى هذا الجانب بتفصيل موضع في موضع آخر
 من بحثنا).

على أن نشير ، في هذا الموضع ، إلى أن لغات اللسان ما أكثر ما تتدخل ، وما
 أصعب أن ترسم الحدود بين ما يتجاوز منها . ونشير إلى أنه ، إذا صعبَ على المعرفة
 النظرية أن تُميّز لغة من لغة ، فإن المحسّ ، بظاهره التقادمة ، يبقى قادرًا على هذا
 التمييز .

ثم يتفرع عن ذلك حقيقة مهمة من حقائق المستويات ، أو اللغات التي يتفرع إليها

(٢) يلاحظ القارئ ، في هذا الموضع وفي سواه ، ما يتناول «اللغة» و«اللسان» من قلب للتراكب
 الاستلاغي الذي يقوم بينها في التصور العام المجمل . إنه القلب الذي تناولناه في بحث ورد في
 هذا الكتاب بعنوان ، مصطلحات للبحث اللغوي ،

اللسان عامة، ولساننا العربي خاصة: أنَّ قاموساً مشتركاً، وهي قرْكِبَيَّةٌ مشتركة تحدُّد، لمستويات هذا اللسان أو لغاته، مسألة انتهاها إليه، وتتوحدُ لها هذا الانتهاء، كما تحدُّد هوية هذه اللغات وتتوحدُ لها، يوضح لك ذلك ويدلُّك عليه نقاط ثلاث:

الأولى:

أنك، في نطاق استخدامك للغة التخاطب الشفهي مثلاً، ترى نفسك، بعقولية ظاهرة، تتنقل، أو تتنقل، من مستوى إلى مستوى، أو من لغة إلى لغة أخرى من لغات السُّلُم، سواءً على صعيد المفردات، أم على صعيد التراكيب، ويكون انتقالك، أو تنقلك، مرتبطة بتغير المضمون الذي تجري به عبارتك، أو تغيير سياق المقام الذي يندرج فيه كلامك. ويكون إحساسك، مع ذلك، إحساس من ينشئ في لسان واحد لا لسانين أو أكثر. من هنا، كان لك بطلان ما يذهب إليه الذاهبون من أجنبيَّة لغتنا المكتوبة، أو لغتنا الفصحى، وبطلان ما يرتبونه على هذه الأجنبيَّة من نتائج تتعلق بعملية اكتساب أبناء هذه اللغة لها، وعملية تعليمهم إياها. كما تتعلق ببدعة «العربيَّة الأساسية»، التي طلعوا بها علينا وجعلوها لأبناء العربيَّة لا للأجنبي. على أنْ تقيِّيَّ الأجنبيَّة عن لغتنا الفصحى أمر حاصل كذلك من النقطتين التاليتين، مدلولٌ عليهما.

الثانية:

أن جاهير الأميين، في شتى أقطارنا العربيَّة، يستطيعون، مثلاً، متابعة نشرات الأخبار، ويستطيعون أن يستمعوا إلى خطباء المساجد، وخطباء السياسة، وخطباء المناسبات. ويستطيعون أن يقيِّموا ما يستمعون إليه ويصنفوا له. كما يستطيعون أن يتابعوا التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية المكتوبة باللغة الفصحى.

الثالثة:

أنَّ تلاميذنا الذين يعانون، من رداءة التعليم، في كثير من مدارسنا، ما يعانون،

يستطيعون، يترجم هذه الرداءة، أن يحصلوا، من لغتهم الفصحى، مستوى مقبلاً - بمقياس الرداءة عمل الأقل - في حين أنهم لا يستطيعون، بسبب الرداءة إليها، أن يحصلوا، من اللسان الأجنبي، ما يحصلون من لغتهم الفصحى، إحدى لغتي لسانهم الرئيسيتين.

إنه، كما نرى، وضع طبيعي إذا تأملنا، على هذه، ما نعرفه من ألسنة أخرى، وقعا على ما يشبهه. ولقد بلغ ثبوت ذلك عند الآكسيين المحدثين أنهم جعلوا كلمة «مستويات اللسان» (*Niveaux de langue*) مُستطالحاً من المصطلحات قواماتهم المتخصصة. هذا، مثلاً، قاموس الألسنية مؤلفه دو بوا (Dubois) وأخرين^(٢)، يفرد مستويات اللسان، أي لسان، موضعًا كمواضع المصطلحات الأخرى، وإن كان يحصر المسألة في الجانب الاجتماعي، ويُعقل حدوث المستويات تعليلاً اجتماعياً مرتبطة بالشريحة الاجتماعية التي يجري إنشاء الكلام فيها، أي بالمقام الذي يجد المتكلم نفسه فيه. وظاهر أن العامل الذي اعتمدناه لحن تفسير حدوث المستويات - نقصد عامل المقام الذي ضممناه إلى عامل الموضوع، الذي يتجسد باللغز *فيتوون* به اللفظ ويكون - هو، في نظرنا، عامل لغوي - اجتماعي يرتبط بذات اللغة التي لا يجوز لطبيعتها الاجتماعية أن تصرفنا عن طبيعتها اللغوية، أي طبيعة العلاقة بين مضمون الكلام وشكل يفرزه المضمون. هل نحن في حاجة، بعد هذا، إلى أن نستنتج، بما يمكن أن يدخل في باب تحصيل الخاصل، أن تفسير حدوث المستويات بعامل لغوي - اجتماعي، أو اجتماعي - لغوي، يكون أوسع من تفسير بعامل اجتماعي لا تدخل اللغة فيه؟

هذه هي مقوله المستويات، وهذا هو تصورنا لها من خلال لسان بعينه، لساننا العربي. قد جعلناها، في بحثنا، زاوية للرؤية، واتخذناها منظاراً ننظر به إلى بعض مشكلاتنا اللغوية. فما هي هذه المشكلات، وما هي الرؤية التي زودتنا بها المنظار؟

Jean Dubois, Mathé Giacomo, Louis Gaspis, Christiane Marcollini, Jean-Baptiste Mayollet, (٢) Jean-Pierre Millev, Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris, 1973, Niveaux de langue.

باء مشكلات اللغة بمنظار المستويات

ما هي هذه المشكلات أولاً؟

مشكلاتنا اللغوية، بصورة عامة، مشكلات معروفة، تناولها المختصون بالدرس وما زالوا يتناولونها . وأغلب ظننا أنهم سيتطرقون في تناولهم لما دامت اللغة لغة ، أي ما دامت موضوعاً إنسانياً مُشرّها^(١) ، وما دامت أفواج الباحثين تفدي إلى هذه الدنيا مع الأجيال المتعاقبة عليها .

من المشكلات المطروحة التي تضررت في هذا السياق مذكرة:

- مشكلة العلاقة بين لغة التخاطب الشفهي، المعروفة بالعامية، ولغة الكتابة، المعروفة بالفصحي، وما يقوم بين اللغتين من فرقٍ طبيعيٍ يُبالغ بعض الباحثين في تصويره، أو قل: إنهم يتوجهون بهذا التصوير اتجاهًا يتكلّمون معه عن إزدواجية بين اللغتين، ثم يظهرون هذه الإزدواجية قطاراتً ملبيّة يُقدّمونها . . .

- مشكلة القراءات النظرية - المجزأة^٤ التي وُجِّهَتْ للعَدَةِ الكتابةِ مُنْذَ أَكْثَرِ مِنْ

(٤) في طبعة الموسوعات الإلسانية، التي مولدها مشرفة، يعني أن ما يصل إليه منها باحث من الباحثين، في زمن من الأزمان، لا يختلف باب الظرف فيها، جلاغف ما يُستخرج بـ «العلوم الحسنة» التي تعرف أبوابها مثل الاقفال الذي نشير إليه. (إنماكتشاف أرخيديس، في القرن الثالث ق.م.) للقانون المعروف باسمه، قد ختم البحث في ما يبلغه الرجل من المسألة، في حين أن كلام أرسطون عن الشعر وفي القرن الرابع ق.م، لم يختلف باب الكلام ككلية، حين لا تقوى به فتحها.

ألفٍ وما زالت، حتى يومنا هذا، معتمدة بجوهرها وكثير من أعراضها التي يحاول بعضنا أن يوهوا بها تغييراً للمجوهر.

- مشكلة تدريس هذه القواعد بصورة عامة، ومشكلة تدريسها في مرحلة التعليم الابتدائي بصورة خاصة، وما نراه شخصياً مع بعض المربين من انعدام الحاجة إلى هذا التدريس في المرحلة المذكورة، وما يتجمّع عن التدريس من هدر للوقت، وما يرتبط بالمسألة من مجازة الملاحة لقدوة التلميذ على تحصيلها.

- مشكلة الحرف الذي ندوّن به لساننا، وما يراه بعض الباحثين من نقص أو عيب لهذا الحرف، وما يرتبونه على استعماله من نتائج سلبية رجعاً ومتلاؤها إلى ربطها بـ «خلفنا»، أو ربط «خلفنا» بها.

- مشكلة النقر في لغة الكتابة؛ هل هي لغة - أم تكتسب اكتساباً طبيعياً كما تكتسب كل لغة - أم، أم هي لغة أجنبية يحصلها الطميم مثلما يحصل لساناً أجنبياً.

- مشكلة الإعراب الذي تتميز به لغة الكتابة من لغة التخاطب الشفهي، وما يفضي إليه اللحن الإعرابي الذي يكثر وقوعه في الكلام من دعواتٍ مرتبكة تراوح بين المنداداة باللغاء الإعراب، والمنداداة بـ «سيطه»، أو تسيهيله، أو تعديله، أو ما شاهد، فضلاً عن انشغال كتبنا المدرسية به، وغير المدرسية، انشغالاً صرفاً، وما زال، حين موضوعات تتجاوز عرض الإعراب إلى جوهر التركيب.

- مشكلة معاملتنا للساننا القرمي والوطني وال رسمي، هنا عندنا في لبنان وفي عدد من البلدان العربية، معاملة سوانا للألسنة الأجنبية، نعم، عدم استعمالنا للساننا في تدريس العلوم والرياضيات، واحتياج الألسنة الأجنبية في هذا التدريس.

- مشكلة ترتبط بالمشكلة السابقة وتداخل معها وتفيد مشكلة كفاية اللسان العربي، أي قدرته على استيعاب العلوم والرياضيات، وما يرافق هذه المشكلة، أو يتولد عنها، من تشكيك في هذه الكفاءة.

- مشكلة افتراضنا للبني الدلالية، ما نصيّه نحن «بني دلالية»، وسميه

سوانا «أساليب»، من نحو قولنا: «عقل أهمية»، «لعبة دوراً»، «ركز البحث»،
«ستور على مصلحته»، «في ضوء»، «ذر الرماد في العيون»، الخ...

هل يجوز هذا الاقتباس، أم لا؟

- أخيراً لا آخرأ، نذكر مشكلة مهمة لفت نظرنا شخصياً، وأفضى بنا تبيّنها
الدائب إلى وضع بحث عنها. إنّها مشكلة اللغة مع العقل، نقصد، بمزيد من
التحديد، مشكلة لغتنا المكتوبة مع العقل، وما يصيب هذه اللغة، برقة العقل لها
وسلطانه عليها، من منطقية تدقّع في سويتها التحوية وتشوب نقاطها اللغوي^(٥).

هذه، إذن، هي مشكلاتنا اللغوية المعروفة، أو هذا ما حضرّتا، في بحثنا، منها.

ما هي، على التحديد، المشكلات التي تعنى في بحثنا؟

نقصد: ما هي المشكلات التي ترتبط بقوله المختبرات؟

نقصد: ما هي المشكلات التي تستطيع دراستها على هذين المستويات، أي
بنظارها؟ أي على هذين الحقائق التي أظهرها لنا منظار المستويات؟

مشكلات أربع أربعينا المتضاد هل حلولٌ لها، أو على أشكالٍ تدور في ذلك من
الخلول، ومسألةٌ توضع بها مستوى من المستويات إيهما جائلاً يلامس مشكلة نظرية -
عملية مستثيرها.

أما المشكلات، فهي:

- مشكلة العامية والفصحي.

- مشكلة النظر في لغة الكتابة، أو «اللغة الفصحي»: هل هي لغة - أم لنا، أم
لغة أجنبية؟

(٥) راجع بحثنا لهذه المشكلة في بدخل الكتاب، أي في مقالته الأولى.

- مشكلة الإعراب.

- مشكلة الخطأ والصواب.

وأما المسألة، فإنها مسألة انقسام اللغة الأدية إلى لغتين اثنين متوازيتين، لغة الشعر ولغة النثر.

١/باء مشكلة المترافقية والمعضمية

أنت، بعذمة مُستلحة ساكنة، كنا ننظر إلى لساننا العربي، بما بنياه له من مستوياته المتعددة المتوعنة، المائلة أمامنا في النهاوج الكلامية^(٦) المشخصة، فلا ترى إلا ثمودجين اثنين، أو مستويين يختصران لنا المستويات كلها.

كنا، هكذا بتبسيط ظاهر، نرى لساننا ينقسم إلى لغتين:

- لغة التخاطب الشفهي اليومي، التي نطلق عليها اسم «اللغة العامية».

- لغة الكتابة التي نطلق عليها اسم «اللغة الفصحى».

وبسبب من ولبيته ظاهرة، أو ظاهرة، في المستويين، كما تُمثلُ فيها مستويات فرعية أخرى يتميز بعضها من بعض، ولا يحُلُّ بعضها محل بعض، ويفضي إغفالها إلى الوقوف منها موقفاً نظرياً يُوقننا في الارتباك أمام ما يعرض لنا من مشكلاتٍ لغوية، أو لغوية - تعليمية، نظرية وعملية.

كنا، بهذا التبسيط، وبثالثية تجانسٍ وتواكبٍ «وتعمق» سكونيته، كنا نرى، من جملة ما ترى:

(٦) «الكلامية، نسبة إلى الكلام» بمعناه الأسطلاحي الحديث، أ即 الأداء الفردي - ليس بـ «القواعد اللسان» (راجع: «مضطربات للبحث اللغوي»، في المقالة الثانية من هذا الكتاب).

أن بين اللغتين من التوازي (Parallelisme)، أو التغاير، أو التناقض، أو التعارض، أو الصراع، ما يثير جدل الباحثين، ويجعل لم من المسألة مواقف متباينة تنتقل فيها من المصادفة بحال الفصحي محل العامة (أنطون سعادة)، إلى المصادفة بحال العامة محل الفصحي (أنيس فريحة، سعيد عقل)، إلى المصادفة بلغة ثالثة تكون وسطاً بين اللغتين ويسماها بعضهم (لغة الثالثة)، (توفيق الحكيم)، وبعضهم (عربية هضبة)، (يوسف الحال)؛ إلى المصادفة بالخلص، فمن اللغتين كلتيهما، أي بالخلص من اللسان العربي كله، واعتماد لسان أجنبى يحمل محله (أمين الشميل).^(٧)

هذا ما كنا نراه بعدستنا الساكنة، البسيطة، المسطحة.

فليتأملنا المسألة بمنظار المستويات، بعدستيه المركبة المتحركة، إذا بنا نرى أن اللغتين الرئيسيتين، اللتين يتكون منها اللسان العربي، المعروفتين بالفصحي وال通用، هما لفتان رئيستان من لغات هذا اللسان، وليستا لغتين وحيدين، أن هاتين اللغتين تنفرعان، بدورها، إلى لغات أخرى يربط بينها تراتب ذكرناه، وتدرج جميعها في سلم أشرنا إلى كثير من درجاته، وتبثق كلها من أصل لغوي - اجتماعي بناء.

وإذا بنا نرى أيضاً، بهذا المنظار، أن انقسام اللغة بالمستويات المتعددة - أو قل: إن انقسام اللسان العربي الذي يعنيها إلى مستوياته التي فصلناها، أو لغاته، إنما يُشكّل وضعاً طبيعياً حتمياً تفرضه الألسنة إليه بما يقوم بين مادتها اللغوية وحقلها الدلالي من تفاعل هو، من العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، عنصر لا تقوم العلاقة إلا به.

هذا الوضع الطبيعي يعني أن النظر، في اللسان العربي، إلى لغتين متعارضتين - متصارعتين - تنتظر انتصار إحداهما على الأخرى، أو النظر إلى لغات تتجه إلى

(٧) راجع تفصيلاً لهذه الآراء ومناقشتها للموضوع في: أميل بدجع بعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملاترين، ١٩٨٢، ص ١٤٤.

التوحد، أو تتجهُ بها نحن إليه، برغباتنا التي تخسبها حقائق. هذا النظر هو نظر سكوني - مثالي - مستطع - ساذج، يخلو من مضمونٍ نابضٍ بموصولٍ بعروق الواقع.

ويعني، من جهة أخرى، أن كل لغة من لغات اللسان العربي، بما يقوم بينها وبين أخواتها من تداخلٍ أشرنا إليه، هي لنا لغة - أمٌّ ضاربةً جذورها في خلابانا، دون أن يعني ذلك بالضرورة تساويًّا أو تطابقاً بين لغة الكتابة ولغة التخاطب الشفهي، بين أيٍّ من لغات الكتابة، وأيٍّ من لغات التخاطب.

ويسِّلمنا هذا الذي بلغاه إسلاماً عفوياً إلى المجزء التالي من بحثنا.

٢/باء. اللغة الفصحى لغة - أم لغة أمثلية؟

فضلاً عن الدليل الذي فرغنا من إقامته على أن لغة الكتابة، أو اللغة الفصحى، هي لنا لغة - أمٌّ، نضيف هنا دليلين آخرين ورداً في نطاق كلامنا عن انتهاء لغات اللسان العربي إليه، ووحدة هذا الانتهاء، وهوية كُلّ لغة من هذه اللغات.

الأول:

ما تُظهره جاهير الأميين، في الأقطار العربية، من قدرة طبيعية على فهم المتن الفصيحة الواقعة في نطاق اهتمامها اليومي، وفي مستوى هذا الاهتمام.

الثاني:

أن ما يكتبه تلاميذنا، من لغتهم العربية الفصحى، في فنونٍ بعينها من مدارسنا، هو، على رَدَأَتِه النسبية، أفضلٌ بكثيرٍ مما يحصلونه من اللسان الفرنسي، مثلاً، على

الرغم من أن جزءة الرداءة، في عملية التعديل المخالفة لهم، هي درجة واحدة لكننا اللغتين.

أما ما يعنينا بيانه، بعد هذا، فهو الإشارة إلى ما يُفضي إليه اعتبار لغة الكتابة لغة - أمّا، أي الإشارة إلى الحلول أو الأفكار التي يُقدمها هذا الاعتبار مشكلات يطرحها الاعتبار الآخر.

ونقف، من هذه المشكلات والأفكار والحلول، أمام ما يعود منها إلى الجانب التعليمي - الثقافي الذي يمتد فوق مساحة واسعة من جسدنا.

إن التسليم بكون اللغة الفصحى لغة - أمّا، وبالانطلاق، في عدنا التعليمي المدرسي ونشاطنا الثقافي، من هذا التسليم، إنما يُفضي بنا إلى أمور:

أوّلها:

النفر إلى لغة التخاطب الشفهي، على أنها، لعمليّة اكتساب لغة الكتابة، معين و معين.

- معين؛ يعني أن تلميذنا يستمد منها، للمُنتَهٍ الفصحى، الآخذة عنده في التكron، مفردات وتركيب منها تكون هذه اللغة؛ لأن بين اللغتين من المفردات والتركيب المشتركة ما أشرنا إليه.

- ومُعین؛ يعني أن الانتقال من الكلمة عامية إلى كلمة فصيحة، من تركيب عامي إلى تركيب فصيح، إنما يجري في نطاق من التدرج الطبيعي بين شكلين متقاربين، أو بين شكلين اثنين لصورة واحدة، فيكون الشكل العامي - وهو شكل مكتسب صارب في أعماق التلميذ - يكون هو المُنطلق، أو هو الجذر الذي يمتد صاعداً فيفضي إلى الشكل الفصيح الذي تزيد له اكتسابه.

ولا يخفى أن هذا الذي بلغناه إنما يعني بوضوح بطلان ما يتوهّمه المتهمنون من أن اللغة العاّمية هي عائق يعرقل عملية اكتساب لغة الكتابة.

أما الإعراب الذي لا وجود له في لغة التخاطب، فإنه، في محل حالاته، لا يشكل من العبارة الفصيحة عنصراً جوهرياً، ولا يدخل في حساباتها التي غنمتها، ولا يشكل سقوطه من العبارة أو مخالفتها المعرفة لأحكامه، إخلالاً جوهرياً بخصوصيتها. وربما كانت العرقلة المتزمعة تمحضرة فيه، لدى هؤلاء المترافقين.

ثانية:

المبادرة إلى تدريس العلوم والرياضيات باللسان العربي: لأن مستوى التعليم في فئة كبيرة من مدارسنا، هو مستوى رديء لا يلوح في آفاقنا المنقرفة أدنى حموض في النهوض به، ولأننا إذا استطعنا، في نطاق هذا المستوى وبرغم رداءه، أن نحصل من لساننا العربي حداً أدنى تقليلاً، فإن تحصيل حدٍ أدنى مقبول من اللسان الأجنبي في نطاق هذا المستوى ورداهته، هو أمر متعدّر (ولا يخفى أن أبرز ما يفسّر به هذا الأمر هو أن لغة الكتابة هي لعلمنا لغة - أم) فاستمرارنا في تدريس هذه المواد بلسان أجنبي، على الأقل للامتد الفتحة المسنة من المدارس، من شأنه أن يتحقق الفخر بهؤلاء التلاميذ، ويعيق عملية تحصيلهم.

ثالثها:

استبعاد التفكير في مشاريع «العربية الأساسية» والوجهة لأبناء العربية، لأن المعين الذي أشرنا إليه يجعل التفكير في هذه المشاريع عيناً من العبث، ووضعها للأمور في غير نصابها.

٣/باء مشكلة الإعراب

تبرز مشكلة الإعراب، بصورة خاصة، في هذا اللحن الإعرابي الذي يكثر وقوعه في إنشاء الكلام وقراءة ما لم يحرك منه، كما تبرز، بصورة نراها أحسن، في أن

مِرَاعَاةُ الْإِعْرَابِ فِي الْكَلَامِ، تَقْتَلُ، فِي جَمِيلِ الْحَالَاتِ الْإِصْرَافِيَّةِ، حَسْلًا ذَعْبَرًا۔
إِدْرَاكًا وَاعِيًّا، وَلَا تَسْحُولُ، فِي جَمِيلِ الْحَالَاتِ أَيْضًا، إِلَى سُلُوكِ عَفْوِيٍّ أَلِيٍّ يَنْهَا
تَفْكِيرُنَا فِيهِ، كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي عَمَلِيَّةِ إِنشَاءِ الْكَلَامِ بِيَدِنَا التَّرْكِيبِيَّةِ۔

وَرَبِّا بَرَزَتِ الْمُشَكَّلَةُ أَيْضًا فِي وُجُوهٍ مِنَ الصِّبْعَوَيْةِ أَوِ التَّعْقِيدِ الْمُعْرُوفِ لِبَعْضِ
الْمُؤْخَوَعَاتِ الْإِعْرَاجِيَّةِ، وَوُجُوهٍ مِنَ النَّبَلَيْنِ فِي آرَاءِ النَّحَّاطَةِ حَوْلَ هَذِهِ الْمُؤْخَوَعَاتِ أَوِ
سُرَاها۔

وَنَسَارِعُ بَعْدَ هَذَا إِلَى إِيْضَاحِهِ: أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مُشَكَّلَةِ الْإِعْرَابِ مِنْ وُجُوهٍ لَا يَعْنِي،
بِسَاطَةً، أَنَّ حَلَّهُ يَكُونُ بِمَجْرِدِ أَنْ نَنْفَرُ إِلَيْهِ بِنَظَارِ الْمُسْتَوَيَّاتِ۔

ثُمَّ نَوْضَحُ أَنَّ الْإِعْرَابَ هُوَ، لِلْلَّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِلِغَتِهِ الْمُكْتُوبَةِ، وَاقِعٌ طَبِيعِيٌّ لَا مَقْرَرٌ
لَهُ، وَمُشَكَّلَيْتُهُ لَا تَكْمِنُ فِي ذَاتِ هَذَا الْوَاقِعِ، بَلْ تَكْمِنُ فِي تَصْوِرِنَا لَهُ وَمَوْقِفِنَا مِنْهُ،
كَمَا تَكْمِنُ فِي الْجَانِبِ الْتَّعْلِيمِيِّ الْعَائِدِ إِلَيْهِ، وَتَكْمِنُ، بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، فِي الْمُقْرَرِ الرَّوْسِيِّ
لِلْمَادَةِ۔

وَإِذَا كَانَ الْجَانِبُ الْتَّعْلِيمِيُّ مِنَ الْمَسَأَةِ لَا يَعْنِيُنَا فِي بَعْضِنَا، فَإِنَّ مَا يَعْنِيُنَا هُوَ:
تَصْوِرُنَا لِلْإِعْرَابِ، وَمَوْقِفُنَا مِنْ عَمَلِيَّةِ مِرَاعَاةِهِ فِي الْكَلَامِ. لَأَنَّ التَّصْوِرَ وَالْمَوْقِفَ أَمْرَانٌ
مُرْتَبَطَانِ بِمُسْتَوَيَّاتِ اللَّسَانِ۔

وَبِتَحْدِيدِهِ يَفْرَضُهُ سِيَاقُ الْعَرْضِ وَمَدَاهُ الْمَتَابِعِ، مَا هُوَ عَلَاقَةُ الْمُسْتَوَيَّاتِ الَّتِي نَحْنُ فِي
صَنَدِّهَا بِظَاهِرَةِ الْإِعْرَابِ؟ نَتَعَصَّدُ: مَا هُوَ، بِنَظَارِ الْمُسْتَوَيَّاتِ، حَكَمْنَا عَلَى
الْإِعْرَابِ مِنْ حِيثِ وَقْوَعِهِ فِي الْكَلَامِ، أَوْ خُلُوِّ الْكَلَامِ مِنْهُ، مِنْ حِيثِ إِظْهَارِهِ،
بِالنُّطُقِ، أَوْ إِسْقَاطِهِ بِالتسْكِينِ؟

تَلْكَ هِيَ الْمَسَأَةُ۔

حَقِّ النَّظَرَةِ السَّرِيعَةِ إِلَى اللَّسَانِ الْعَرَبِيِّ، بِلُغَاتِهِ الْمُتَرَابَةِ فِي سُلُرٍ يَتَفَلَّمُهَا، تُظَهِّرُ لَنَا
أَنَّ وَقْوَعَ الْإِعْرَابِ فِي الْكَلَامِ أَوْ خُلُوِّ الْكَلَامِ مِنْهُ، أَنَّ مَدْعَى إِظْهَارِهِ فِي الْكَلَامِ أَوْ

استقلاله، فهو إما ينبع عن مجرى تعلمها بغير مرجع، أي من غير العبارات التي يتعلّم بها، أو من جهته الأولى، أي من جهته المترافق معها، فيكون مترافقاً معها، أي من جهته الثانية، أي من جهته المترافق معها، من جهة أولى نلاحظ أننا، باتفاقنا من اللغة التخاطب الشفهي، المعروفة بالعامية، إلى لغة الكتابة المعروفة بالفصحي، إنما ننتقل من لغة مخالطة من الإعراب «أي ما كانت» المستويات الفرعية لفظية اللغة إلى لغة يُراعى في الأعراب فيها مراعاة كاملة، نظرياً على الأقل - أي ما كانت المستويات الفرعية لهذه اللغة.

ومن جهة ثانية نلاحظ أننا، في المستويات التي تتفرع إليها لغة الكتابة، والتي تمتد من لغة الإعلان إلى لغة بالولغة الأدبية، يظهر لنا أمران، بينهما ارتباط يوضحه العرض:

الأول: اختلاف نوع الإعراب الذي يدخل الكلام باختلاف المستوى، أي باختلاف اللغة التي يُشتمل الكلام إليها.

الثاني: اختلاف ما نظّره، نحن، من الإعراب في أدائنا المنطوق المسموع لكلام نتشهّد به، ومدى ما تسقطه منه بالتسكين في القراءة والأداء.

أما اختلاف النوع، فقد ظهر لنا أن الإعراب الذي يقع في اللغة الإدارية، واللغة الإعلامية، واللغة العلمية، مثلاً، محصور في ما نسميه «إعراباً شكلياً»، ليس له أي دور في أداء المعنى، في حين أن الإعراب الذي يقع في اللغة الأدبية إنما يتناول ما نسميه **«الإعراب الدلالي»**، أو **«الإعراب الوظيفي»**، الذي يساهم في أداء المعنى، والذي تولّده العبارة الفنية الناجحة خواصها، أو التي بلغت مرتبته.

وأما اختلاف المدى، مدى ما نظّره، نحن، من الإعراب في الكلام المنطوق المسموع، فقد تبين لنا أن إظهار الإعراب وإسقاطه بالتسكين إنما يرتبط بمستوى الكلام، أي باللغة التي ينتمي إليها.

ففي حين أنه، إذا قرأت إعلاناً تجاريًّا، أو نشرة أخوالٍ جموعة، أو نشرة

افتصادية، الخ...، أتعطمت أن لفقط وبالتحكيم محل حرفة يمكن استغلالها^(٤) من حركات الإعراب الواوهة في أي من هذه المتصlor من ملوكه ضار عنها في المستوى، فلينفي إذا قرأت مثلاً:

ـ قوله تعالى في **﴿يَسْتَعْجِلُهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾** **الملائكة** **القدوسون**
الغورل **الحكيم** **﴿نُورٌ مُّلِيسِنٌ مُّلَاقِيٰن﴾**

- أو قول طه حسين من داعل هامش السرة: «ويقتل الليل شيئاً شيئاً،
فيحيط أردية الود على ما يحيط بيكة من جبال وأكاماً، وما يزال يمتد في
هذه الأرضية حتى يغمر كل شيء، ويستقر كل شيء».

- أو قول أمين شفاعة حين يخترقه الزوافية: «ويعدُ بالليل صلبةً لمعديه الدارفة، في هذه الزاوية من الريف، كيف ثبَتَ بلا ختم؟ أفلَ يخشى الذي ترك القمصم السحريَّ بلا مدادٍ أنْ تبيح رائحته وتطير إلى أنوفِ الفلاحين؟»

(٨) إن تعريف الحركات التي يمكن إسقاطها، إنما يكون بتعريف الحركات التي لا يمكن إسقاطها، وبالحركات التي لا يمكن إسقاطها، نقصد، على سبيل المثال، حركات الكلمات التي تلجمتها الضابط المتصلاً من غير قولهما، خلاصك بذلك لا يهدنا.

على أن تتم مواجهة أخرى يتذرع فيها سقوط الحركات الإغريقية، أو يصعب، وذلك فهو حكمة الجر في الكلمة «دم» وكلمة «يد»، من قولهنا: «يقدم الأجراء لا يقدم العبد»، يهدى المحبين لا يهدى الأشرار، تبني الأوطان».

• حلقة موضوع بعنوان «علم دراسة تناول المصادر»

إذ تقولت شيئاً من قبيل هذه النصوص، لغير من مستواها، لم يكن لي إلا أن أغلب الإعجاب في ما أغمضه بالحركة بالظاهر قد من كلاماتها للغيرة التي تحمل التشكيل. ذلك أن الإعجاب الذي يكون، في اللغات الدنيا، شكلاً لفظياً، أو لفظاً شكلياً يمكن تسلكه، بدليل إيقاعه لو سقوطه يُفتح، في اللغة الكتابية العليا، لغة الأدب المميزة التي تبلغ مرتبة الأسلوب، يصبح داخلاً في لغة الشكل، ويصبح حين لجانب اللغوي من الشكل، وجهاً لا يمكن إيقاعه إلا بنوع من التشر المخل، الذي يبلغ، في الشعر الموزون، ذروته الحادة، تلك الذروة التي ينعدم عندها مجال التسامح الذي أشرنا إليه، أو مجال الخيار بكلمة أدق.

وإذا أردنا لكلامنا أن تصوغه بصيغة قانون أو قاعدة عامة، فلنا نسخة تناسب مطردة بين مستوى اللغة الكتابية والإعجاب الذي يدخلها، يعنى، أنها كلها أفرزنا، بلغتنا الكتابية، من اللغة الأدبية المميزة، أزداد الإعجاب في كلامنا، وتتنوع حالاته، أي كان فيه، مما نسميه «الإعجاب الدلالي»، (أو الوظيفي)، (وما نسميه «الإعجاب الجاهلي»)، ما يتاسب مع اقتراب العبارة من الدرجة العليا في السلم، أي من المستوى الأدبي الذي ينقسم الكلام فيه، كما يرد عليه جمجم، إلى ثقير، وغيفر، وقرآن.

٤/باء مشكلة الخطأ والصواب

مشكلة الخطأ والصواب في لغتنا المكتوبة، بمستوياتها المختلفة، هي مشكلة قائمة تظهر لنا بأمور أبرزها:

- هذا القدر من الأخطاء التي ظلالعنا بها خبارتنا الكتابية في بعض مستوياتها.
- هذا العدد من الكتب والمراجع المتخصصة المبنية على قاعدة بقل ولا بقل.

- هذا الجدل الذي يُطل علينا، من آن إلى آن، بين اللغويين، أو بين الكتاب، أو بين اللغرين والكتاب، حول وجوده من الاستعمال، أو حول وجوده من الخطأ والصواب.

- هذا الاختلاف بين المنشئين، أو بين الكتاب في بعض وجوده القول، ولا يخفى أن موضوع الخطأ والصواب موضوع شائك لا تسع له المساقات العارضة، فضلاً عن أن ما يعنيها منه في بحثنا، أي ما يتعلق منه بمستويات اللسان، هو جانب بعيته من جوانبه المتعددة.

ما الذي يرينا إيماناً إذن منظار المستويات من موضوع الخطأ والصواب؟

إننا نرى أن مسألة الخطأ والصواب في اللسان العربي عامة، وفي اللغة الكتابية خاصة، إنما ترتبط بالمستوى، أي باللغة التي يتناولها نظرنا.

إن ما يُعتبر صواباً في لغة التخاطب الشفهي، أو في أي لغة من اللهجات الواقعية، في السلم، دون لغة الإعلام الإخباري مثلاً، ما تتحمله هذه اللغات من صور صرفية، أو صور غلوية - تركيبة، لا تحتمله مستوى يعلو هذه اللغات في السلم.

إن نظرتي إلى لغة «على هامش السيرة»، لطه حسين، وما تتعلمه هذه اللغة من سلامة ونقاء يناسب مضمون الكلام ومقامه وبنائه الأدبي المميز، ويرتفع به إلى مستوى الأسلوبية اللهجوية، إن نظرني بهذه تجتذف اختلافاً بعيداً عن نظرتي، مثلاً، إلى لغة شكوى مُغفلة يُقدّمها «محمد صادق» لدى التفتيش التربوي حول سير العمل في مدرسة رسمية.

والذي نقصد باختلاف النظرة هو اختلاف المعيار الذي تقاس به اللغتين المتمتتين إلى مستويين مختلفين، أي إلى طبيعتين لغويتين مختلفتين في المفردات، والتركيب، والإعراب، لأنهما تختلفان في مضمون الكلام ومقامه. إذا كان لي، فعل مستوى المفردات، أن أقول «في لغة الشكوى»، كلامات لا تراعي قواعد المصرف مراعاة كاملة، أو كلامات يومية مبتذلة، فإن ذلك في كتاب «على

لما عُرض السينية، أمر مرفوضٌ بـ«إذا كان لي في المتن التراكيب»،
إذا كان لي في المتن التراكيب،

أن أقبل، في لغة الشكوى:

+ إضافة مضارعين اثنين، أو أكثر، إلى مضارب إليه واحد، كلما كان تجنب هذه
الإضافة أمراً ممكناً،

+ تعددية الفعل بحرف الجر «في»، بدل تعدديته بالباء، كأن يقال:

- الاهتمام في المسألة،

بدل أن يقال:

+ أن يتقدم الاسم على الفعل، أي أن يكون ثالث جملةً اسمية، في كل مركب
استاد يحيى شبيطه يكتوند الفعل أبعد في كثيير الألفاظين، ويكون التراكيب فيه متنبئاً فعل
شبه جملة، كأن يقال:

- بهذه المناسبة المدير أقام حفلة، بدلاً من هذه حفلة،

بدل أن يقال:

- وهذه المناسبة أقام المدير حفلة^(٩)،

+ أن ينبعجْ جمجم العصلو كجب والباقي، بدل لأن ينبعجْ بـ«اللوائي»، ولون يكون
في صلة بـ«لوائي» ضمير مستتر للمعنى ثم المفهوم المأبكي، فيقال في هذه حفلة

- المعلمات التي حضرت الحفلة...

بدل أن يقال في هذه الحفلة المأبكي، بدلاً من هذه الحفلة المأبكي،

(٩) إذا دخل الفعل كركن من ركبي المركب الاستادي المجرد من التواسع، واعتمد الكلام على شبه
جملة ككلامك هذا، تطلب فسيلة المهمة التي يدخل التراكيب الاستادي الملاكمون في تكوينها:
أمثال الموزون، فإذا تميّز لغتها بالشيء يمكن أن تدعى بـ«اللغة القافية القافية المطردة».

- + أن تُحتمل ، إذا ، أحد معاني «هل» ، فتشملها في التركيب محلها ، مشتبهين
- (إذا) العربية بـ (إذا) الفرنسية ، أي بـ «ا» ، فنقول :
- لا أدرى إذا كان هذا الأمر يدخل في صلاحيات المدير .
- بدل أن نقول :
- لا أدرى هل يدخل هذا الأمر في صلاحيات التفريض عَلَيْهَا بـ «ا»

+ المخ ... المخ ...

- إذا كان لي أن أقبل في لغة الشكوى هذا الذي قدمت وما ضارعه ، فإن ذلك
- أمر منفرض في كتاب «على هامش المعرفة» ، دواما كان من مستواه .
- : وإذا كان لي أن أقبل ، في الإحراط ، أن يقع اللحن في لغة الشكوى ، أو أي الله
- من اللغات الواقعة ، في السلم ، دون لغة الإعلام الإخباري ، فليس لي أن أقبل أن
- لحن الإعراب في لغة على هامش الصيحة ، التي يصبح الإعراب فيها جزءاً من الشكل
- اللفظي - الجمالي للنص ، أي جزءاً لا يتجزأ منه .

هذا الذي نلاحظه بين مستويين اثنين من مستويات لغتنا المكتوبة ، يستطيع أن

نعتذر حتى يكمل المستويات الأخرى ، وحتى يكون لنا منه نظرة عامة إلى المسألة

تنطلق من النظرة التي يجسدها المثل المضروب ، وحق يكون لنا من ذلك توجيه عمل

هذه نعالجه مسألة انتظام النصوص بمستوياته بتفصيله المتواتع بأموره اللغويم طبقاً

ال الطبيعي ، إلى أن تكون أدبية النص ، أو مذهبية العبارة التي تعنيه ، المحضورة في

النصوص الأدبية ، أن تكون يومية الكلام ، أو يومية العبرة ، محضورة في

النصوص اليومية ، أن يكون لكل مستوى ، أي لكل لغة من لغاتنا المكتوبة ، وجهاً

ال الطبيعي الذي لا يستغرب ولا يستهجن ولا يرفض . حيث إن ذلك عن المطاردة العمياء

لأخطاء الناس ، وتصبح نظرتنا إلى المسألة بنظرة واقعية ، هادئة ، تُميز حرفًا مهملاً

من حرف مُعجم ، وتضع النقطة المناسبة فوق الحرف المناسب .

لُغَةُ الشِّعْرِ وَلُغَةُ النَّثْرِ

نأتي إلى المسألة التي لم نر أنها تكون مهكمة حقيقة ببساطة خالها على مدخلنا اللغوي والعلمي، كالمشكلات التي فرغنا من تناولها، إنها مسألة انقسام اللغة العليا في العلم، اللغة الأدبية، إلى لغتين معروفيتين هما لغة الشعر ولغة النثر.

سأتناقشنا بمحاول هذه المسألة في سياقنا هنا، بسبب ما يطرسوه التصور السائد عنها من تبسيط ربما أفقى إلى إشكال نظري رأينا إيضاحه.

ونريد، على التحديد، أن نوضح، من مسألة العلاقة بين لغة الشعر ولغة النثر، ما نراه من توافق بينهما، لأننا نرى أن حقيقة اللغتين إنما تتجسد بهذا التوازي، وتتحقق على هذيه.

ليس لغة الشعر ولغة النثر اللغتين متراقبتين في حلم المستويات الذي يعنيها، وليس لهما لغة الشعري أعلى مرتبة من لغة النثر في هذه السلسلة ولا لغة النثر هي كذلك.

كل ذلك من العقدين، فهي، من جهة التراكيب الذي تتغير إلى اتساعاته من خلاله، كيان القوي، أو نظام المخوري المتغير، تتبدل العبارة فيه تشكلاً طبيعياً تتحوال عناصرها، أو بعض عناصرها يتفاعلان فيما بينها، وبختلاف بين اللغتين، عنصر المضمن، وعنصر الوزن، التوازن في الشعر، المنعدم في النثر.

هذا العنصران، اللذان لا يتيح لنا مجالاً للوغل في حقيقتهما، هما اللذان، متفاعلين متاغعين، يولدان لنا اللغتين اللتين نحاول التعرف على بعض جوانبها، دون

أن ينبع لغة منها، أن بين كيف يكون هذا التوليد.

إن ضمنون **الشعر المكتف والضغط البنيري** (*poésie structurale et poétique binnaire*)⁽¹⁰⁾ الناجم عن نظام الوزن يولدان لـ **عبارة الشعر**.

ومضمن **النشر المبسط المرسل**، و**تخليله البنيري**، يولدان لـ **عبارة الشعر**.

وطبيعي أن تختلف العبارتان، أن يكون كل منها علماً متميزاً، وإن كان بين الواحدة والأخرى، من العناصر التركيبة المشتركة، ما ولد التصور السائد عن المسألة.

هذا التصور، الذي يُسيطِّرُ المسألة، ويحصرها في الوزن ويفصل عنصر المضمن، يرى، فضلاً عن ذلك، أن المسألة محصورة في ضرورات يُضطر إليها الشاعر اضطراراً، وربما كان يرى أيضاً أنه، لو كان في وسع الشاعر أن يتتجنب هذه الضرورات، جاءه شعر أفضل. ومن يطلع على كتب الضرورات الشعرية، وينظر إلى مقدار الضرورات التي تعرضها هذه الكتب، يأخذ العجب من الإصرار على النظر إلى لغة الشعر بعنوان الضرورات، وعدم اعتبارها لغة مميزة، تقوم بمحاجات هو كيانها نفسه، لا بطلب هو هذه الضرورات.

وبكلام بسيط، نرى أن لغة الشعر ليست لغة النثر وقد أفيت إليها الضرورات والجوازات المعروفة، ولا لغة النثر، من ناحية ثانية، هي لغة الشعر وقد حذفت منها الضرورات والجوازات. هذا تبسيط يتبين بطلانه بما قدمنا.

لغة الشعر، أو عبارة الشعر، هي، كما قلنا، نتيجة طبيعية حتمية للضغط البنيري

(10) يطلق لايونز *Lyons* الكلمة **الضغط البنيري** بمعنى قدرة اللسان الطبيعية على التكيف مع نظامه النحوي العام، تكييناً ينافي إلى التخلص من الشذوذ، مما لا يعنينا في موضوعنا (*Théorie Lyonnaise de la grammaire générale* trad. D. Robinson, Larousse, Paris, 1970, p. 31).

وقد اقتبسنا هذه الكلمة فجعلنا لها معنى آخر يمكن فهمه من سياق المتن الذي تعود له هذه الماشية.

المكثف، الناجم عن جريان العبارة في حيز أيقاعي محدود بحدّه، يقع في نطاق واضح من الزمن والقافية، معيناً لا يمكن أن يتحقق لنا إلا بعبارة تحالفه، ولو كان مقام الكلام وبحاله يتihan لنا التمثيل بالشولهند المحسومة والأشيرى في ذهنا من المسألة صورة أكثر وضوحاً، ولكن انظر إلى وجده سبط، أي وجه لهم، من وجوه المسألة، هذا الفرق المائل بين الحيز الذي تشغله كل من العبارتين. حيز العبارة الشعرية حيز محدود مغلق: حدوده حدود بيت أو بعض بيت. وحيز العبارة النثرية حيز مفتوح يكاد يكون بلا حدود، ويمكن أن يبلغ، نظرياً على الأقل، مئات كثيرة من الكلمات. ولا يُعقل أن يكون هذا الفرق شيئاً «مجانيّاً»، كما يقول الفرنسون، سأجاً هكذا في الفراغ، لا يتسع لنا ثاراً ترجمته ملائمه.

ولمدة أخيرة نعم بها كلامنا عن المسألة، وجعلنا نعود لربطها يأخذى مشكلاتنا النظرية - العملية، مشكلة منهجية البحث اللغوي المتعلق بالتعييد أو النظر فيه، وبتأملنا لعملية الاستشهاد التي تدخل في عملية التعييد، نتبين بوضوح حجم الخطأ الذى وقع فيه القدامى وبعض المحدثين، عندما رأحوا، في عملية الاستشهاد، يخلطون بين اللغتين خلطا لا يمكن أن يفضي إلى نتائج مقبولة.

لهم انت أنت الباقي في كل الأوقات فلما أتيتني بكتابك العظيم
أنا أعلم أنك أنت رب العالمين فلما أتيتني بكتابك العظيم
أنا أعلم أنك أنت رب العالمين

خاتمة

خاتمة

هذه بعض مشكلاتنا اللغوية. وهذا ما تناولناه منها بعنوان *المستويات*. وهذه هي
النتائج التي أتفق بها (بالتالي) على هذا المنشار: إن المفهوم المقصود به هنا هو
إننا، بكل ما قدمنا، إنما نرمي إلى الأمور يمكن أن تتعارض، لبحثنا، إيجازاً ملخصاً إذا
أتيح لها: قناعة، وقبول، وتفعل، ومتابعة، بخلاف مفهوم اللاملاط، وهو مصطلح في صونه،
وئمه، وتقديره.

- وفهم هذه الأغراض ؟ . وبهذا يُثبت سائر المؤمنين أنَّا عدوهم
- بمحض النظر السكرينة - المطلقة إلى اللغة واللسان ، وإظهار قصور هذه النظرية عن رؤية الجوابات المختلفة للغة واللسان .
- إيضاح مفولة المستويات ، وما تفضي إليه إذا نظر إلى اللغة واللسان

- إبراز وحدة المسان العربي باللغة الـ*لوكسيفين*، وولادة الفرعية المتعددة، والسلم الذي ينتهي بكل مذكرة.
- إثبات حكم اللغة المكتوبة، المعروفة باللغة الفصحى، لغة أمّا للعواطف العربيّة، وللتلميذ العربي بصورة خاصة، وإعلهار ما يترتب على ذلك في حقل التعلم خاصة.
- توجيه المعينين باللغة والبيان العربي، الناشئين منهم والذين متضمناً بعيداً يمتدون في حقائقها، ويعتنون بقضاياها، توجيههم جميعاً، بما هو افتتاح يلامس

المعنى ويلائمه، إلى ما طرحته من أفكار تستحق عنایتهم، وخبرتهم، وأبحاثهم.

• توجيه المعنيين منهم بالشأن التعليمي من المسألة إلى ما طرحته من أفكار ترتبط بالجانب التعليمي للسان العربي بلغته المكتوبة.

• توجيه النشئين والكتاب، في أي لغة من لغات السلم، إلى إدراك حقيقة هذه اللغة، أي إدراك حدودها، وإدراك ما يعود إليها من قاموس وتراتيب، والحرص على التزام حدودها.

• إدراك حقيقة الإعراب، وتحديد مكانه في الممارسة العربية، وعلاقته بمستوى الكلام الذي يكون فيه، وتخلص الظاهرة من النقرة المثالية المسطحة.

• إدراك حقيقة الخطأ والصواب، أنه مشكلة حقيقة، وإنما ذلك علاقة بالخطأ والصواب بمستوى اللغة التي يكونان فيها.

• توجيه الأدباء عامة إلى أن يتمموا لغتهم - اللغة الأدبية - ويفكّنوا حقيقتها، المعجمية والنحوية - النثر كبيبة، ويدركوا منزلتها في سلم المستويات، ويفسّروا، بصورة خاصة، حدوداً تميز لغة الشعر من لغة النثر، في ما يجاوز جزئيات التركيب المعروفة بالضروارات والجوزات، إلى كلباته التي بها تكون للشعر الموزون لغة متميزة من لغة النثر.

• النظر إلى كلّ ما قدّمتاه على *لأنه أفكار مطروحة تتجه ذرّيّة إلى الاكتفاء والاحتكمان*، في كل ذلك، إلى مرجع المراجع، إلى *عن اللسان*، *السائل أبداً في قرب الحياة*، أي في درب التطور. وتمييز المتن من حواشيه أي ما كانت الأسماء المحفورة فوق الحواشى، لأن المتن وحده هو المتن، أي الثبات - وإن سار في مدارج التطور - والحواشى، في جانب محسوس من حقيقتها، هي آراء الباحثين وتصوراتهم التي لا تفتر فيها من ذاتية وقوى، والتي هي، من حاجتها إلى التعميق والتطرّف، التي يصرّ عليها ويتعرّف *التوقف*.

41. *Asplenium nidus* L. - *Nidus* = nest; *Asplenium* = spleenwort.

المقالة المعاشرة

ذائب الفاعل خوزه مارتن خالد اوفراي بيتر فلمنج المانع ويلفريد ليفيل

نشرت في جريدة «النهار»، بيروت، في عدد ٢٧/٩/٨٤.

نائب الفاعل جزءاً من نتائج الافتراض بين نظرية الفاعل ونظرية المقل

أبدأ بالاعتذار من القاريء عن اقدامي على معالجة موضوع «نائب الفاعل»، وأعبر له عن خجل من هذا «الإقدام» في ظرف حالي يلفّ البلاد ويحتاج العباد. ولا تبرح ذهني، وأنا أكتب سطوري، صور الجدل البيزنطي المعروف، الذي يقال إنه كان يدور بين علماء القسطنطينية حول جنس الملائكة: ذكور هم أم إناث، في غمرة الحصار الذي ضرب على المدينة قبيل سقوطها المشهور^(١).

ولكن ما رأيته من إفراح جريدة «النهار» في مجال مناقشة الموضوع لخمس مقالات نُشرت كلها في أثناء المجمعة الصهيونية الراهنة، أي في أثناء حصار قسطنطينينا وسقوطها، وما طلم به علينا أحد كاتبي المقالات، السيد حسن غرندشى، «رئيس مجلس إدارة المعرف الثقافي»^(٢)، من آراء ومقولات حول الموضوع، قد أثار عندي شعوراً بأن المشاركة في النقاش الجارى إنما تدخل في باب الأمور الواجبة.

ثم أشير، في هذا التمهيد، إلى أن ما أفضّلته بين يدي قاريء ليس بهذا منهجاً لموضوع «نائب الفاعل»، بقدر ما هُوَ ملاحظات تتناول أهم النقاط التي وردت في مقالة الأستاذ دندشى المنشورة في «نهار» الأربعاء ١٥/٩/٨٢، حول الموضوع، مع إيضاح أن هذه الملاحظات تنقسم إلى ملاحظة أولى رئيسية تتناول الأساس المبدئي للموضوع، وملحوظات ثانية تتناول نقاطاً بعينها وردت في المقالة.

* * *

(١) يذكرني مقالتهما في أثناء المجمعة الصهيونية في بيروت، ذلك المصطلح الذي تألفه اجتماع لبنان صيف ١٩٤٣.

(٢) ورد هذا اللقب في التوقيع.

وتناول **هلا حيلتنا الرئيبة** هذا التعلق الشديد الذي ينادي الرجل بـ **الغافر** والمنطق والحقيقة والواقع والمعنى، وينطلق منه كأساس لمعاملة الموضوعات اللغوية. وقد بلغ تعلقه من القادة أنه أشار إليه في عدد كبير من فقرات المقالة، وأعتبره، في إحدى هذه الفقرات، جالباً لسعادته. قال: «وانا يسعدني أن أكون اختلفت من منطق أسطو الفلسفى، لأن الفلسفة تشجد العقل،...»

ونحن نرى، ببساطة بريئة، أن الأستاذ حسن دندلحي، لو أراد أن يفيد من معطيات الألسنة الحديثة، لكان رفض هذا الأسلوب رفضاً شديداً، ولكن مير، بوضوح، منطق اللغة من منطق العقل والتفكير، فأعطي ما للغة للغة وما للعقل للعقل: لأن اللغة منطقاً إذا اتفق مع منطق العقل مزقاً فإنه يفترق عنه مرات.

ولو هو زاح يطبق هذا الذي يشير إليه على موضوع الفاعل، مثلاً، أو نائب الفاعل، لأدرك بوضوح لا لبس فيه:

• أن الفاعل، في اللسان العربي، لو في أي مكان غيره، هو ظاهرة تركيبية تخضع للشكل، في السياق التركيبي الذي يضمها، أكثر مما تخضع «للمعنى، والفكير، والمنطق، والحقيقة»،... الخ...

• أن نائب الفاعل، الذي هو، بشكله السانتاكسي المعروف، خصيصة من خصائص اللسان العربي، هو أيضاً ظاهرة تفاصح للشكل أكثر مما تخضع للمعنى والمنطق، الخ...

ولايوضح هذا الذي نقوله، نسأل،
ألا يرى صاحبنا أن الفاعل، فهو حق اللغة وفي فهو حق النظري، المجرد؟، وبتقى فاعلاً ولو أشيد إليه فعلٌ منفيٌ أو مسبوقٌ باستفهام؟ إن اللسان العربي، في قوانبه النحوية الكامنة في جسد العبارة، لم يعبأ بمنطقنا ومعانينا عندما تساوى، في الرفع مثلاً، بين فاعل مثبت يتصدر منه الفعل عن فاعله مصدراً حثيناً («سافر الرئيس»، بضم «الرئيس»)، وفاعل منفي لا يتصدر منه عن الفاعل أي فعل، بل

يُلْتَقِي هذَا الصَّدُورُ تَقْيِيَةً («مَا سَاقَ الرَّؤْبَينَ»، بِقَمْ «الرَّؤْبَى»، الْيَصَّا) (٢) أَلَا يُرَى مَعْنَاهُ الْبَدْ دِنْدُشِيَّ أَنَّ الْمَسَأَةَ، هُنَّا، هِيَ مَسَأَةُ إِسْنَادِ شَكْلِيِّ خَالِصٍ بَيْنَ الْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَأَنَّ الْمَعْنَى (وَالْمَنْطَقُ،...) لَيْسَ فِي هَذِهِ الْمَسَأَةِ عِجَالًا جَوْهَرِيًّا فِي الْتَّرْكِيبِ؟

فَمَنْ نَأَى إِلَى نَائِبِ الْفَاعِلِ الَّذِي يَعْنِي مَباشِرَةً، وَالَّذِي أَثَارَ مِنَ الْجَدَلِ بَيْنَ كَاتِبِ الْمَقَالَاتِ الْخَمْسِ، مَا سَيَقُوهُ إِلَى مُثْلِهِ الْمَرْحُومِ يُوسُفِ السُّودَا فِي «أَحْرَفِيَّتِهِ»، الَّتِي أَطْلَقَهَا فِي النَّاسِ سَنَةِ ١٩٥٩ (٣)

نَائِبُ الْفَاعِلِ هَذَا، مَا شَانَهُ وَمَا حَقَّقَتْهُ، وَلِلَّهِ أَثْلَاثُ الْجَدَلِ؟

إِنَّ نَائِبَ الْفَاعِلِ، يَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ الْكَلاسِيَّكِيُّ الَّذِي تَرَى فِيهِ مِنَ الْمَسَدَّاقَيَّةِ الْجَامِعَةِ - الْمَانِعَةِ، مَا يُغْنِيَنَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى تَعْرِيفِ سَوَاءِ، هُوَ:

ـ مَا أَمْسَدَ إِلَيْهِ فَعْلَ تَامَ عَجَهُولَ يَقْدَمُ عَلَيْهِ أَوْ شَيْئَهُ، لَهُوَ:

ـ حُوَصْرَتِ الْعَاصِمَةِ.

وَبِتَحْلِيلِ بِسِيطٍ لِلْبُنْيَةِ التَّرْكِيَّيَّةِ الَّتِي تَفْعِمُ نَائِبَ الْفَاعِلِ نَلَاحِظُ أَمْرَيْنِ:

الأُولُّ: أَنَّ فَاعِلَ الْفَعْلِ، فِي الشَّيْلِ الْمُبَيَّنِ، يَجْذُوفُ مِنَ الْكَلَامِ (وَرَسِيبُ الْمَذْفُوفِ هُنَا هُوَ شَدَّةُ مَعْرِفَتِنَا لَهُ).

الثَّانِي: أَنَّ نَائِبَ الْفَاعِلِ، («الْعَاصِمَةُ»)، هُوَ، مِنْ حِبْثِ الْمَعْنَى، مَفْعُولُ بِهِ (وَهُذَا مَا جَعَلَ سَيِّدُهُ، فِي أَوَّلَيَّ الْعَهْدِ بِالنَّحْرِ الْمَجْرُدِ)، يُسَمِّيُ نَائِبَ الْفَاعِلِ «الْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يَتَكَبَّرْ فَعَلَهُ»، وَمَمْ يَتَعَدَّ إِلَيْهِ فَعْلُ فَاعِلٍ (٤).

(٢) الاسمُ الْكَاملُ لِهَذَا الْكِتَابِ: الْأَحْرَقَيَّة، أَوْ التَّرَوَادُ الْمُجَدِّدَةُ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْمُؤَلِّفُ: يُوسُفُ السُّودَا.

(٤) كِتَابُ سَيِّدِهِ، تَحْقِيقُ وَتَرْشِيحُ مَهْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدِ فَلَوْزُونَ، دَارُ الْقِلمِ، الْقَاهِرَةِ، ١٩٦٦، الْجُزْءُ الْأَوَّلُ، صِ ٣٣.

وبخلاف ما قد يتوهم، نرى أن ما يشترك به الفاعل ونائب الفاعل لا ينحصري
بأعرابها، أي في الرفع، إنه، فضلاً عن الإعراب، إنما يتناول خصيصتين آخرتين:
- إن فعلًا تاماً، أو شبهه، ينسد إلىهما كل منها

- إن تقدم هذا الفعل على كل من الفاعل ونائب الفاعل أمر لا يكون الفاعل
فاعلاً، في نحو العربي المجرد، ولا يكون نائب الفاعل نائب فاعل، إلا به
على أن الإعراب المشترك بين الفاعل ونائبه، أي الرفع، إنما يبقى هو المظاهر
التركيبي المعوس الذي استوقف النحاة، وجعلهم يعتبرون المفعول الذي لم يتم
فاعله نائباً عن الفاعل المذوق، فكانت النهاية في مسألة شكلية خالصة لا علاقة
لها بالمعنى، بخلاف ما توهم السودا ومن تابعه من المعنيين بالمسألة، ومنهم صاحبنا
الدندشي.

والحقيقة المتصلة بموضوعنا هي: أن هذا التوهم، الناجم في رأينا عن عقور
ما... للغة عامة، هو الذي ولد للأستاذ دندشي، والسودا من قبله، تصورها
المغلوق لحقيقة نائب الفاعل، ولو لذا الجدل الذي تشن فيه كلاً ولد ارتباط المتجادلين
وتعقيدهم لمسألة هي غالبة في المسائلة.

وعزيزه من التأمل في تصور الرجلين المذكورين، يتبيّن لنا أن اعتراضهما إنما
يتناول التسمية أكثر مما يتناول المسمى.

ثم نضيف، مكررین، أن هذا الاعتراض إنما هو نتيجة انطلاق الرجلين من
معنى التركيب دون شكله، في الشكل، في المفهوم، ما أكثر ما يعتمد على
سواء. ألم يقل دو سوسيور (De Saussure) أن اللغة شكل لا مادة؟ أو قل: إنه نتيجة
انطلاقها من منطق العقل أكثر من انطلاقها من منطق اللغة، ومنطق اللغة
ومنطق العقل شيئاً جدًّا أكثر مما يفترض، وطبعي أن يفسر انطلاق المفهوم إلى ما
أفضى إليه: لأن نائب الفاعل، من جهة المعنى، لا يمكن أن ينوب عن الفاعل
المذوق؛ لأن صفة الفضوليـةـ المعنوية ملائمة للمفعول، سواءً أذكرـ الفاعـلـ فيـ

الكلام، ألم لم يذكر.

إن طرح الموصوع انطلاقاً من المعنى (وانطلاقاً من «المنطق والحقيقة والواقع»، كما يرى الدندشي)، هو، إذن، طرحٌ مزدهر في الشكل والأسماء، كما يقول رجال القانون، والثيابة المعنوية التي وقفَ عندهما الدندشي، والسودا من قبله، هي أمرٌ لم يخطر ببال النحاة عندما أطلقوا على المفعول الذي لم يُسمّ فاعله اسم «نائب الفاعل». إن النحاة، في تسميتهم «نائب الفاعل»، قد انطلقوا، ليس فقط من عنصرٍ شكلي، بل انطلقوا من أكثر العناصر الشكلية شكلية في نائب الفاعل، أي الإهراط. لقد لاحظوا، ببساطة التعمق، أنه إذا حذف الفاعل من الكلام، السبب من أسباب الحذف المفروضة، وتعوّل الفعل، لذلك، من صيغة المعلوم إلى صيغة المجهول، فإن الفرع، الذي يكون عادة في الفاعل، إنما يتقلّل إلى المفعول. واعتبروا أن المفعول، برفعه الطارئ هذا - وهو رفعٌ فرزه اللسان العربي بسلكه المغوي - «الطبيعي السابق لسيوريه» - إنما يتربّع عن الفاعل الغائب، فسمّوه «نائباً عن الفاعل»، أو «نائب فاعل»، كما هو متداول. ونحن نرى، بقناعة لا يشوبها ريب، أن باب «نائب الفاعل»، الذي أفضى مضايجه بعض المشتغلين في قضايا اللسان العربي، هو من أعمق أبواب التصوّر العربي وأكثرها توفيقاً، وأن مصطلح «نائب الفاعل» هو من أفضل المصطلحات النحوية عندنا، إن لم يكن أفضلاً لها.

* * *

نأتي الآن إلى ما اعتبرناه «ملاحظات ثانوية» تتراوّهُا يتسلّل بروءودها في المقالة.

• تعريف الفاعل:

يتمحيمتنا للنهاية المحسوسة، بيت لنا أن التعريف العلمي للفاعل هو التعريف الكلاسيكي المعروف، القائم على فكرة الإسناد («الفاعل هو ما أبتدأ إليه فعلٌ تامٌ معلومٌ مقدمٌ عليه، أو شبهه»). وهو، كما يقول المذلطة، «تعريفٌ جامعٌ مانعٌ

ولا مجال، ههنا، للتوسيع في هذا الأمر.

أما الأستاذ دندشي، فإنه طرح للفاعل تعريفاً قال إن أكثر كتب النحو الابتدائية تعتمده («الفاعل هو الذي فعل الفعل»).

إنه، في هذا التعريف التوتولوجي^(٥)، إنما ينطلق من مطلق المعنى والعقل...، كما كان شأنه مع نائب الفاعل. فلما رأى نفسه يصطدم بنهاية من التركيب لا يكون فيها الفاعل هو الذي فعل الفعل حقيقة (انكسر الزجاج، هطل المطر، ارتعش المريض، الخ...)، راح يخالو «إنقاذ» تعريفه، فورّط نفسه وورط القارئ، معتقداً في بدعة نحوية أنساب ما توصف به هو الغرابة. لقد عمد إلى قسمة الأفعال إلى فترين:

ـ فئة الأفعال الإرادية،

ـ وفئة الأفعال غير الإرادية.

واعتبر، هكذا، أن الفاعل لا يكون فاعلاً حقيقة إلا مع الأفعال الإرادية (سافر الرجل، عادت المرأة،...).

أما الأفعال غير الإرادية، كأفعال المعاونة (انكسر، تدرج،...)، والأفعال المسندة إلى الأشياء، أو الحيوانات (أمطرت السماء، باهضت الدجاجة،...)، فإن مرفوعها لا يكون فاعلاً حقيقة، وربما كان هذا المرفوع مفعولاً، فتأمل!...

لماذا طرح صاحبنا هذا التعريف، ورفض التعريف الكلاسيكي؟ هذا ما سنتناوله في الملاحظة التالية.

(٥) «توتولوجي» نسبة إلى «توتولوجيا»، و «توتولوجيا» تعريب لكلمة *Totologie* الفرنسية التي تعني ما يوصف بأنه تحصيل حاصل. وقد زأينا تعريفها لغة لغتها وحاجتنا إليها، ولأننا، شخصياً، لا نعرف الكلمة العربية لغتها.

• إفهام الناشئة:

رسبيان ونيسان اثنان يجهلا الأبياتاذ لهذويه بفرض التعريف الكلامي كي للفاعل، ويحل محله التعريف الذي عرضناه له

السبب الأول هو تعلقه بالمعنى، وانطلاقه من م نطاق العقل. وقد قيمنا هذا المنطلق وفندناه

والسبب الثاني: أن إفهام التعريف الكلامي للناشئة هو مسألة صعبة يتبين تجنبها. وهذا الطرح وفي تصورنا، مردود من ثلاثة أوجه:

١ - إن تعريف الحقائق العلمية شيء، وإفهامها إلى الناشئة شيء آخر يتعلق بالتعليم ووسائله. وقيامنا برفض التعريف العلمي للفاعل، وطرح تعريف آخر يفتقر إلى المصداقية العلمية إلا أنه يسهل فهمه على التلميذ، (ناقشنا التعريف المطروح وفندناه) يشبه، مثلاً، أن نقول للللميذ الابتدائي: «إن الأرض مستطحة»، إذا ثبت لنا أن كرويتها أمر يستعصي على فهمه.

٢ - إننا نرى أن التلميذ، حتى في بعض مراحل التعليم التي تلي المرحلة الابتدائية، إنما يدرك حقيقة الفاعل وغيرها من المواقف وعارات النحوة، إذ لا يكفي حدسياً مباشراً، أي هن طريق التعرف، وليس هن طريق التعريف، وأنه في مرحلة أولى، إنما يتصل من النموذج اللغوي الجزئي الشخص إلى نموذج ينشئه ويعاكيه دون أن يمر بالتعريف المجرد الذي تنقل به عقله إنقاًلاً لا طائل لعنه. وفي مرحلة ثانية، يتصل من النموذج الجزئي إلى قاعدة عامة يكونها هو لنفسه، في نطاق تكوينه لغامه النحوي الصمفي المتكامل، إلى نموذج جزئي آخر ينشئه تطبيقاً لقادته الصمفيّة التي نشير إليها.

٣ - إننا، شخصياً، نرى أن تدرس مادة النحو بتجملها، في مرحلة التعليم الابتدائي برمتها، عمل لا جدوى فيه ولا طائل لعنه، وكيس له، لا في عبارة التلميذ ولا في قراءته ولا في إملائه، أي مردود محسوس يساوي عناء تدرسيه ودرسه.

الفاعل في فعل الأمر

هل أن الغرابة في آراء الأستاذ دندشى تبلغ ذروتها عندما يتصدى لمعالجة الفاعل الفعل الأمر.

والمفهوم من كلامه غير الواضح في المآل: أن الفاعل الحقيقي لفعل الأمر يكون خارج الفعل نفسه، يكون في الذي يصدر الأمر. فإذا كان هذا هو المقصود فعلاً من كلامه، كما أمام هرطقة لغوية - تجوية حقيقة من شأنها إحداث البللة في أذهان غير المختصين.

الفعل المجهول

يرفض الأستاذ دندشى تسمية الفعل المجهول «فعلاً مجهولاً»، بمحة أن عدم ذكر الفاعل مع الفعل المجهول، أي مع الفعل المصوغ بوزن « فعل» أو وزن «يُفعّل»، ليس عصوراً في جهالتنا له. هناك وصفاً عن هذا المجهول لا أساس آخر للحذف تذكره كثيرون منها: شدة معرفتنا له (للتأثر)، تتوقفنا عنه، تتوقفنا عليه، الخ.. وهو يرى أن نطلق من هذا الواقع ليكون لنا شواهد من الفعل الذي لا يذكر فاعله:

- نوع الفعل الذي يجهل فاعله حقيقة، ونسميه «الفعل المجهول»، (سرقة *البيت*).

و نوع الفعل الذي يعرف فاعله إلا أنه يحذف من الكلام بسبب من أساس الحذف المبنية، ونسميه الفعل المجهول (بضم الميم وتشديد الماء وفتحها) مثل: حددت الجلسة، وقع المرسوم، ...).

وفي التعقيب على هذا التصور نطرح أموراً أربعة:

أولاً: أن عملية التسمية، في العلم وغيره، هي، في كثير من حالاتها، عملية تحكمية (Arbitraria) يرتبط فيها الاسم بسماء، ويُشحن بسماء، ويصبح دالاً على

مسماه، نتيجة اقترانه الدائم بهذا المسمى، دون أن يلتفت بالغورية، للمرجوه جوب
التطابق اللغظي - الاشتراط بين الاسر ومسماه.

ثانيها، أن تسمية الفعل المجهول «فعلاً مجهولاً»، يمكن أن تُعد من باب تسمية
الكل بـاسم الجزء (تسمية مختلف أسباب الحذف باسم الجهل)، ويمكن أن تُرد،
كذلك، إلى ما ذكرناه من مبدأ التحكم، ذلك المبدأ الذي تقوم عليه الألسنة
المختلفة بـستوياتـها التركيبة المتعددة المتراة.

ثالثها، أن قصة الفعل الذي لم يذكر فاعله إلى فعل مجهول وفعل مجهول، من
 شأنها أن تضيق مصطلحاً لغويًا جديداً، وتُعَد المسألة، ولا سُبْها في أذهان غير
المختصين، وفي أذهان الناشئة الذين ما زالت مناهجنا تُصرّ على تدريسهم على النحو،
حق في المرحلة الابتدائية، دون أن يكون هذا التدريس مردوداً محسوساً في عبارات
الתלמיד أو في قراءته (فضلاً عن أن القصة، برمتها، لا تقوم على أساس).

رابعها: أن ما يحمله الدينامي يقع في هذا الذي وقع فيه، من تعقيده للأمور
البساطة، هو، تکراراً، انطلاقه من المعنى، واحتکامه إلى منطق العقل، وكان من
حقه، كما يُسْأَى، أن ينطلق من اللغة ويوجهكم إلى منطقها.

* * *

وكلمة أخيرة نختم بها مقالتنا: أن الغاية الأولى التي رميـنا إلـيـها هي: إبراز
الأساس المبدئي الذي نرى أن كل بحث لغوي، وكل تعقيد، يتـخـذـونـ أنـ يـقـومـ عـلـيهـ
وينطلقـ منهـ. إنـهـ منـطـقـ اللـغـةـ الـذـيـ يـشـائـرـ إـلـيـهـ، وـيـسـتـأـنـدـ إـلـيـهـ إـلـاـنـ إـلـيـهـ.
أما المسائل الخاصة التي تضمنتها مقالتنا (الفاعل، نائب الفاعل، الفعل المجهول)،
فلم تكن، في الحقيقة، سوى غاذج تجسد الأساس المبدئي الذي ننادي به.

* * *

قاموس المصطلحات

- ١ - الاعراب الترکيبي ٢ - الاعراب المليلي ٣ - الاعراب الدلالي ٤ -
 الاعراب الوظيفي ٥ - انقلاب الترتيب الاصطلاحي بين اللغة والبيان ٦ - البش
 الترکيبيه ٧ - البش الدلاليه ٨ - البش المميتة والبنتية السطحية ٩ - الجملة
 والعبارة ١٠ - الحدس اللغوي ١١ - سلم المركبات النحوية / مشروبات
 الترکيب النحوی ١٢ - السورة اللغوية العقليّة ١٣ - السورة النحوية ١٤ -
 الصيغة اللغوي ١٥ - القطعة الكلامية ١٦ - القطعة الكلامية الطوبية العقليّة ١٧ -
 القراءد التعالية ١٨ - القراءد الصورية المجردة ١٩ - الكلافية اللغوية ٢٠ -
 الكلمات الصرفية والكلمات غير الصرفية ٢١ - الكلمات المكتسبة ٢٢ - اللغة
 والسان والكلام ٢٣ - المفظة ٢٤ - المركب الاستنادي ٢٥ - المركب الاسمي
 غير الاستنادي ٢٦ - المركب الاضافي ٢٧ - المركبات النحوية الشائنة ٢٨ -
 المركب الصرفی ٢٩ - مشروبات الترکيب النحوی / سلم المركبات النحوية ٣٠ -
 النصريات الترکيبيه ٣١ - النحو الصيغي والنحو المجرد، أو النحو النظري -
 المجرد ٣٢ - النحوية ٣٣ - النحوية النظرية أو النحوية المجردة، والنحوية
 المدرسية ٣٤ - النظام النحوی ٣٥ - النقاء اللغوي ٣٦ - الموصف الصرفی

三

فِي الْأَنْوَافِ الْمُهَبَّةِ

في قيامها الواضحة المطلقة، أن كل بحث علمي جاد يطلع إلى الحقيقة ثم يتعين إلهاه، التي فيمه
البيان المحتوى، أثبتها بذراً من التصريحات الجديدة، ما يزيد على ذلك ينزل من ميراث الحكمة والآدلة، وإنما

١ - الاعراب التركيبي / المتصورات التركيبية

الاعراب التركيبي هو اعراب بروظيفي يتجاوز حدود المتصورات الاسمية التي يكون للنصب فيها خصراً من مفاهيمه التركيبية التي تتقدم بها بنيتها النحوية.

يبرز من هذا الاعراب، مثلاً، صيغة كثيرة الدوران في كلامنا العربي بلغته الرئيسية كلتيها، لغة الكتابة المعروفة بـ «اللغة الفصحى»، ولغة التخاطب الشفهي اليومي المعروفة بـ «اللغة العامية»، صيغة سمتها، في دراسة لنا غير منشورة عن الاعراب، بعنوان «ويديني وأخواتها»، التي ينتهي مثلاً، فكريها، سياسياً، مالياً، لغويأً، عملياً، نظرياً، الخ... تقول: «ملائكة أنت لفناناً، وفكريأً، أنت في ذرك باش». وهي، لكنها لعلم، صيغة حديثة ولذتها لسان العربي ترجمة طبيعية، ناجحة لصيغة فرنسية ملوكولة من تحت تحصل بها الاحقة *ment*، من نحو *Politiquement* (سياسياً)، أو *Economiquement* (اقتصادياً)، الخ...

ويذكر منها من هذا الاعراب:

- بعض المفروعات المترتبة على المترقبة من نحو: خدأ، صباحاً، فوراً،...

- بعض خواص المفعول المطلق، مما يكثر استعماله غير مصحوب بعامله، من نحو: أيضاً، شكرأ، عفواً،...

- باب «اولاً»، وأخواتها.

- باب المفعول لأجله، ورقبة في الخدمة فقلتُ ما فعلتُ،...

٢ - الاعراب المترافق

هو اعراب العارة التي ترتفع، بقصدها اللفظي، إلى مستوى الأسلوب، هو ما يمكن ملحوظاً من مظاهر الجاذب اللغوي من شكل النص الأدبي، وما يساعده من هذه الناحية، في تكوين ما يسمى بالأشيق المأثور في جاك كوشن، أدبية النصوص.

٣ - الاعراب الدلالي

هو كل اعراض يسلهم مع السياق، في إظهار معنى الكلام (اقرأنا في الاعراب الدلالي في دراسة غير منشورة عن ظاهرة الاعراب).

٤ - الاعراب الوظيفي

نسمى «اعراباً وظيفياً» في اللسان العربي باللغة الفصحى، كل اعراض:-
- له وظيفة مَا في تكوين البنية التركيبية للعبارة العربية المغربية، كـ الاعراب التركيبى *،
- أو له دور في وظيفة التفاصيم بالكلام المغربي المقرب، وهو الاعراب الدلالي *،
- أو له دور في الوظيفة الفنية - الجمالية للعن الأدبي المكتوب باللسان العربي المغرب، أي له دور في أدبية النص، وهو الاعراب الجمالي *،
- أو له وظيفة أخرى، أو دور في وظيفة أخرى، مما يحدد وحيث موسم.

٥ - إنقلاب التراتب الاصطلاحي بين اللغة واللسان

تبين لنا، في اللسان العربي على الأقل، أن التراتيب الاصطلاحي بين اللغة واللسان، هو تراتيب متحرك، يمكن، في بعض الحالات، وفي اللسان العربي على الأقل، أن ينقلب فيصبح «اللسان» هو العام، أو الكل، ويصبح «اللغة» هي الخاص، أو الجزء، ويصبح للسان، من اللغات، بقدر ما تتميز فيه من المترابطات.

ويتحقق ذلك على اللسان العربي، يتبين أن لهذا اللسان لغة للتغاطب اليومي، أو لغة محكمة (وهي ما يعرف بـ «اللغة العامة»)، ولغة للكتابة (وهي ما يعرف بـ «اللغة الفصحى»).

ولغة الكتابة تجده، في سلبي صاعد متدرج، من لغة الاعلان التجاري، إلى لغة المعاملات الادارية، إلى لغة الاعلامية، إلى لغة البحث العلمي، إلى لغة البحث

الفكري، إلى لغة النقد، إلى لغة الأثر الأدبي التي تحمل ذرجة السلم العليا، والتي تُعتبر فيها اللغة للنثر، ولغة للشعر الموزون؛ ولغة ثالثة ميراثها على محسين من هاتين اللتين، وتحل محلهما، وهي لغة القرآن.

ثم نشير إلى أن مظاهر أولية من عملية ما سميته لغة انقلاب التراتب الاصطلاحي، قد لاحت للقدامي عندما استخدموها كلغة لغة دين عصيّ قرب من المعنى الذي أكسيته الكلمة بانقلاب التراتب الاصطلاحي بينها وبين المسان.

مثلاً:

قال ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، في كتابه المسمى «شرح ابن عقيل» (أي شرح ابن عقيل لأنفحة ابن مالك)، وفي سياق كلامه عن الأسماء الستة (المشهورة وبالأسماء الخمسة)؛ «فترفع بالواو، وتتصبّب بالألف، وتغير بالسهم... وعده من اللغة المشهورة... وسيذكر المصطفى لغة من آخرين».

ثم أورد قول الشاعر:

يأيه اقتدي عدي في الكرم ومن يشابة أبيه فا ظلم
وقال: «وهذه اللغة نادرة في «أب»، وتاليه...»، (يقصد «أبا»، و«أم»).

الخ....

٦ - البنى التركيبية (Les structures syntaxiques)

«البني التركيبية»، جمع مفرد «البنية التركيبية»، و«البنية التركيبية» هي شكل العلاقات النحوية (أو أشكال هذه العلاقات) التي تربط العناصر الدالة في تكوين العبارة، سواءً أكانت هذه العناصر كلمات، أم مركبات أسمية غير إسنافية، أم ما علا ذلك في سلم المركبات النحوية».

(للتوسيع في فهم «البني التركيبية»، راجع، في المقالة الرابعة من هذا الكتاب، القسم «دال - اقتباس البنى التركيبية»).

٧ - البنية الدلالية (Les structures sémantiques)

«البنية الدلالية»، الكلمة من الكلمات، هي مجموعة العلاقات التي يُكتسبها لسانه اللسان، بتركيب الكلام، بين ما نعتبره للكلمة معناها العام ومعانٍ آخرٍ لكلمات أخرى، ويولدون بها، من المعاني الفرعية للكلمة، ما يعني الكلمة، وما تُضفي به بنية دلالياً يُشع به إهابها اللغفي المحدود، وتدفع أمامه معالمها المحسوسة.

وتحتفل البنية الدلالية من لسان إلى لسان اختلافاً يمكن أن تؤدي إلى اختلاف الحياة الاجتماعية التي يعيش فيها اللسان ويعيش بها، ويملؤن بالوانها ويتكون.

وهذا يعني أنَّ من المتعدد، أو من الصعب في الكلمة متحققة، أنْ نعم، بين لسانين من الألسنة، على ما نسميه، باصطلاحنا الشخصي، «موازاة دلالية كاملة»، بين هذه الكلمة أو تلك من كلمات أخذها، وبين ما يمتهن مماثلاً لها من كلمات اللسان الآخر. فما أنشأ العربي من بنية دلالية، حول مادة «ضرب»، مثلاً، يختلف اختلافاً كبيراً عما أنشأه الفرنسي منها حول المادة المقابلة في لسانه (Papper).

ويكفي أن نذكر أنَّ العربي قد أنشأ، من مادة «ضرب»، معنى الضرب المعروف (ضربة على يده)، ومعنى إبراد الأمثلة (اضرب لي مثلاً)، ومعنى السفر أو التنقل في الأرض (﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ، فَلَا يُنْهَا كُنْجَاجٌ أَنْ تَفْصِرُوا مِنَ الصَّلَاة﴾) (سورة النساء، الآية ١٠١)، ومعنى الضرب الحسابي (جدول الضرب)، الخ...، (راجع توسيعاً للموضوع في المقالة الرابعة).

٨ - البنية العميقة والبنية السطحية

«البنية العميقة»، ترجمة للمصطلح الفرنسي *La structure profonde*، هي من مصطلحات الألسنيين المحدثين، في ما يسمى هندهم بـ «النحو التحويلي التوليدية». يرى التوليديون أنَّ كلَّ عبارة متحققة في الكلام، فلها، على الأقل، بنية، بنية سطحية هي البنية الفاتحة المشخصة (*Concrete*) في «كلام» الأقواء.

وبنية عميقة هي شكل نحوبي لغوي مجرد، يخلو من هذه الممتيلات النظرية للنحوالية التي تنقلنا من تجزيء البنية العميقة، إلى تشخيص البنية المطعنة.

(راجع «قاموس الألسنة» / *Dictionnaire de Linguistique*، تأليف دو بوا Du Bois وأخرين، منشورات لاروس).

٩ - الجملة والعبارة

«الجملة» و «العبارة»، في الاستعمال المتداول، مصطلحان متادفان، سواء على المستوى البوسي العادي، أم على مستوى البحث اللغوي. وقد رأينا، شخصياً، أن تجزيء بين الكلفين، فاقترن الكل منها بمعنى الشكل النحواني بمقابلة طرخته للداول.

«الجملة»، بهذا المضمون، مركب إسنادي بسيط ينعقد بعملية إسناد واحدة، ففي قولنا، مثلاً: «الشمس / ساطع»، إسناد واحد هو إسناد السطوع إلى الشمس.

و «العبارة»، مركب إسنادي مركب، ينعقد بعمليات إسناد متعددة - متراقبة - متداخلة، تبدأ بالثنين (الشمس // نورها // ساطع)، أو ثلاث (الشمس - التي // شرق كل يوم علينا // تعمّنا بطاقة // تهبنا الحياة)، وهيكن، نظرياً على الأقل، أن تنتهي إلى ما لا نهاية له، في حركة من التشكيل النحواني - الترمجي - السايكسي تجزيئي أبداً في مدار متحرك من معنى آخر في الاتذياج.

«العبارة» كل، و «الجملة» جزء يدخل في أجزاء هذا الكل، أو يمكن أن يدخل فيها.

«العبارة»، في مصطلحنا المقترن، تقابل الـ *Phrase* في المصطلح الفرنسي، و «الجملة»، تقابل الـ *Proposition* عندهم.

ولا يأس، في هذا السياق، من الإشارة إلى أن أول اعتقاد للمضمون الاصطلاحي المطروح قد عثرنا عليه في كتاب مدرسي اسمه «البلغ في القراءة والأدب»، صادر عن «دار المعاشرة الإسلامية للتأليف والطبع والتوزيع»، بيروت، سنة ١٩٨٥.

(نشرنا، نحن، بضموننا الاصطلاحي المترجع ١٩٨٣) / راجع المقالة الثانية من كتابنا
هذا).

١٠ - الحدس اللغوي (Intuition Linguistique)

هو ما يُعرف، عادةً بـ «السلقة اللغوية»، ومعلوم أننا، بالسلقة اللغوية، أي بالحدس اللغوي، نستطيع أن نشيء كلامنا إنشاء تغلب عليه المعرفة والأالية غالباً يتفرغ بها ذهتنا للتفكير في موضوعات الكلام. وبالسلقة اللغوية إياها نستطيع أن نفهم كلام سوانا فيهاً عفويًا طبيعياً يمكّنا من أن تكون مطرقاً من طرق الحوار، أو من أطراقه.

١١ - سُلُمِ المرَكبات النحوية لِمستويات الترَكيب النحوِيِّ.

التركيب النحوي هو التركيب المفاضع للنحو بمبادئه الكلية، ونواحيه العامة، وقواعد المطردة.

ومستويات التركيب النحوي التي عرفها اللسان العربي، أو التي عرفناها، نحن، له، هي من الأدنى فما أعلى:

- الكلمة بألوانها النحوية المعروفة.

- المركب غير الاستادي^{*}، مثل «المركب الإضافي»، (مضافٌ و مضافٌ إليه)، و «المركب الوصفي»، (وصفٌ و موصوف)، و «المركب العطيفي»، (معطوفٌ و معطوفٌ عليه)، و «المركب التوكيدِي»، الخ ...

- الجملة^{*}، المكونة باسناد بسيط و تقابل كلمة Proposition، في المصطلح الفرنسي.

- العبارة^{*}، المكونة باسناد مركب تدخل فيه الجملة، والمركبات غير الاستادية، والكلمات.

هذه المركبات المترابطة، تشكل ما نصطلح على تسميته «سلم المركبات النحوية»،
(للتوسع في درجات هذا السلم، راجع المقالة الثانية من الكتاب).

١٢ - السوية اللغوية العقلية

السوية اللغوية التي يتحققها أبناء اللسان - الأم، والتي ينشدُها مهضو هذا اللسان
من غير أبناءه، هي سوية تخضع فيها إنشاء الكلام لسلطان الحدس اللغوي^{*}، أي
سلطان الكفاية اللغوية^{*}.

ونصطلح أن نسمّي هذه السوية «السوية اللغوية الطبيعية».
أما «السوية اللغوية العقلية»، فأننا، شخصياً، نطلقها على السوية اللغوية المشوّبة
بالمنطق العقلي وسلطانه وجسانته التي، إذا جازت حدوداً معينة، أفهمت الكلام.
(لا يخفى أن المقالة الأولى من الكتاب إنما تتجه حول هذا الموضوع).

١٣ - السوية النحوية

«السوية النحوية»، مركب من المركبات النحوية، المبنية صعداً من الكلمة إلى
العبارة^{*}، هي خصوص المركب للأصول النحوية، أو للقواعد العائدة للمركب
خاصة، المتدروجة في نطاق نظام نحوي^{*} عام يمثله اللسان، ويحده كلام الأفراد
الخاري بشؤونهم اليومية أو بشؤون الفكر العامة.

وربما عَبر عن «السوية النحوية» بمصدر صناعي يدل عليها هو كلمة «النحوية»،
التي تقابل كلمة *Grammaticalität*، والتي قد ترافق كلمة «الأصولية» المفردة، أو
«الأصولية النحوية».

١٤ - الضمير اللغوي

الضمير اللغوي لأبناء اللسان هو وعيهم المشترك للقواعد الضمنية^{*} للسانهم،

وقدرتهم، بهذه الوعي، على التخاطب الظريحي بهذه اللسان، وإصدار الحكم بسوية ما يتلقونه من عباراته أو عدم سويته.

الضمير اللغوي، بهذا المعنى، قريب من المذهب اللغوي^{*}، أو السلبية اللغوية، أو الكفاية اللغوية^{*}.

(تبين لنا، بعد طرح المصطلح، أننا قد سبقنا إليه، أنه من مصطلحات الألسي السويسري الرائد فرديناند دي سوسور / Ferdinand De Saussure).

١٥ - القطعة الكلامية

القطعة الكلامية، بمعناها البسيط، هي كل قسم طولي (Segment linéaire) من السلسلة الكلامية، فـ / كل قسم طولي / قطعة كلامية، وـ / السلسلة الكلامية، / قطعة كلامية، وكلمة / هي، / قطعة كلامية، الخ ...

وتحتفل القطعة الكلامية، بهذا المضمون التركيبي البسيط، عن «القطعة الكلامية المففلة»، التي تناولناها في المقالة السادسة من هذا الكتاب، ووصفناها في موضعها من هذا القاموس.

١٦ - القطعة الكلامية الطولية المففلة

هي كل قسم طولي (Linéaire) من أقسام العبارة، أو من أقسام السلسلة الكلامية، يمكن تحريكه فيها، بالتقديم والتأخير، أو تحريك سواه، وقطع علاقه التجاور بينه وبين سواه، فلا يُمسَّ بهذا التحرير وخدته، ولا تُنْدَل صورته التحوية - التركيبية، ولا يتغير، بهذا التحرير، ما للكلام من معنى محمل.

ففي عبارة:

«في تلك الليلة من كانون الأول / كانت غرفة المطبع في بيت الحملاوي / كعادتها في كل ليلة / نهر على ضوء قنديل شاحب»،

نفع على أربع نفع كلامية مطلقة يتحققه فلديه أن تقدمها وتأخرها في السلسلة الكلامية للعبارة، ونستطيع، بالتقدير والتأخير، أن نغير المضورة التحويية العامة - المخارجية للعبارة، فتحصل على خصي صور تحويية عامة دون أن يتغير للعبارة معناها الجمل. (لمزيد من التوسع، راجع المقالة السادسة).

١٧ - القواعد النحوية

«القواعد النحوية»، أو «قواعد النحو»، هي قواعد مجردةٌ من نسبة تسبّبها إلى النحو. وقد أردنا، بهذه النسبة، أن النحو قد استخرجوها من تصوّرهم هم للحالة المقعدة، ومن منطقتهم هم، أكثر مما استخرجوها من متن اللسان ومنظقه ونواحيه الكامنة في جمله. وقد حفلت إراثة التحويي بعشرات من هذه القواعد التي من شأنها أن تُقدِّم اللسان، وتحدث فيه لطبعاً مشوب تقدماً.

(راجع مزيداً من بحث هذا المصطلح في المقالة الثانية من الكتاب).

١٨ - القواعد النحوية المجردة

(راجع «النحو الضمني والنحو المجرد»).

١٩ - الكفاية اللغوية (La compétence linguistique)

الكفاية اللغوية، لأنباء لسان من الألسنة، أو لمحصلي هذا اللسان من آنباء لسان آخر، هي النظام النحويٌّ المتكامل (Le système grammatical intégral)، الذي أتيح لهؤلاء، أو هؤلاء، أن يكتسبوه أو يستحقّوه، نتيجة تعرّفهم الطبيعي ببنادج اللسان الكلامية المشخصة، والذي عنه تصدر عبارتهم، وبه يفهمون عبارات سواهم، وإليه تعود أحکامهم، الضمنية المواكبة لعملية الفهم - المشوحة معها، والصريحة التي يُندونها كلما دعت الحاجة إلى إبدالها، حول تحويتها ما يسمعون أو يقرأون من عبارات اللسان المكتب أو المطبّن.

٢٠ - الكلمات المصرفية والكلمات غير المصرفية

تطلق مصطلح «الكلمات المصرفية» على الكلمات التي يستطيع المصرف أن يبيّن هيبتها وأوزانها القياسية من نحو: اسم الفاعل، اسم المفعول، المصدر القياسي، الفعل الرباعي بأشكاله الثلاثة: فعل، يُفْعَل، فُعْلَل، الخ... .

ويقابل «الكلمات المصرفية»، ويزيدنا فهماً لها «الكلمات غير المصرفية»، التي ليس لها هيبات عامة وأوزان قياسية، من نحو: حروف المجر، أدوات النصب، حرف الاستفهام، الأسماء غير القياسية، الخ... . فكل كلمة من كلمات هذه الفئة، فلها، من هيبتها أو وزنها المخاص، ما يغاير وزن أخواتها في الفئة أو يغایر هيبتها. إن وزن حرف المجر «في»، مثلاً، مغایر لوزن «إلى»، لوزن «حق»، لـ «وزن» اللام، لوزن «من»، الخ... . وهذا يعني أن ما يتجمع كلمات الفئة الواحدة من هذه الفئات إنما هو عملها النحوية لا وزنها أو هيبتها.

٢١ - الكلمات المكتبة

الكلمات المكتبة، بكسر السين، أو الأسماء المكتبة، هي كلمات أو أسماء، في طبيعتها المصرفية - الدلالية: أنها تقبل اكتساب الجنس، أو العدد، أو صفة الجمع، أو ما شابه، مما تضاف إليه، وذلك ككلمات: كل، بعض، جميع، مختلف، أفعل، التفضيل، معظم، ...

(للتوسيع، راجع، من المقالة الأولى، القسم ٢ - ٣ - ٤ - ٥ / جم).

٢٢ - اللغة واللسان والكلام

إذا كانت كلمات «اللغة»، (La langue)، «واللسان»، (La langue)، و«الكلام»، (La parole)، في قاموس الحياة اليومية، هي من الكلمات المتراوحة، فانها، في القاموس العلمي، قاموس الألسنية الحديثة، مصطلحات فنية مختلفة - متميزة، كل منها يعبر عن مضمون يخصه، وينفرد بحقل دلالي يستقل به، وإن كلان بين الثلاثة من التداخل

ما لا يُخفي ما يُظهره سياقُهُ غَيْرَ فِيهِ.

علَى أَنَا لَنْ تتناول هذه المصطلحات بالتعريف الجامع المائع، بل سترى على إلَّا
من خلال العلاقات الدلالية القائمة بينها، والفرق الذي تميز بعضها من بعض.

اللغة كيانٌ نظريٌ مجرّدٌ، يتحقق، أو يتمثّلُ، في الألسنة المختلفة المعروفة،
المتشرّبة في بقاع الديمَنْيَا.

والألسنة المختلفة، وإن كانت أنظمةً لغويةً عديدةً (*Systèmes Linguistiques* déterminés)، وكان كلُّ منها نظاماً نحوياً متكاملاً، إلا أنها لا وجود لها خارج
الكلام، بناذجه المحسوسة المشخصة، التي يُنشئها الأفراد للتعبير عن شؤونهم اليومية،
أو شؤون العلم والفنون والأدب التي يعبرون عنها.

الأفراد، إذن، هم الذين يُجسّدون اللسان. ومن خلال اللسان، يجدون اللغة،
أيَّ أنَّ مبادئ اللغة الكلية، وقواعد اللسان العامة، تتحول معهم إلى كلام عوسوس
مشخص، نابضٌ بالزمان والمكان، وإن كنا، بكلمة أخرى ومن زاوية أخرى،
نستطيع أن نقول عن «اللسان»: إنه تجريدٌ لناذج الكلام المشخص، وعن «اللغة»:
إنها درجةٌ التجريد العليا التي تختتم فيها الحقائق الكلية للألسنة المختلفة.

٢٣ - اللفقة

نستعمل، شخصياً، كلمة «لفقة»، بعضُونَ اصطلاحياً نظره للتداول، بسبب
ما يؤمّنه لنا من وضوح في عملية النظر إليه (إلى المضمون)، وبسبب افتقاره
(افتقار المضمون)، إلى اسرٍ يرتديه ويبلوره ويحددُه، ويُهلّك استخدامه في البحث.

«اللفقة»، بالمضمون المطروح، هي كلٌّ وحدةٌ كلاميةٌ تنفصلُ، في الكتابة، عما
يسبقها، وعما يليها، وتكون:

+ إما من كلمة واحدة، فتكون لفقة بسيطة، وحيثُنَّ يكون بين «اللفقة»،
و«الكلمة»، ترادفٌ يصلحُ حدَّ التطبّق.

- + وإنما من كلمتين فأكثر، وهذا ما نرمي إليه بصلة هنا المطروح.
- من كلمتين: دور / نا، سُرِّز / ت، كَبَر / الكبيري؛ إلخ / ...، ...
- من أربع كلمات: سَأَلَ / تَرَى / نَبَّهَ / ...، ...

وتجتمع «اللغة» على «اللغظات»، بفتحات متواالية، وليس على «اللغاظ»، التي نرى أن تكون جمع «لغظ».

٢٤ - المركب الاستنادي

المركب الاستنادي، كما تدل التسمية، هو كل مركب ينعقد بالاستناد، ويدخل في تكوينه مُسند نتكلم به، ومسند إليه نتكلم عنه، منها يمكن الشكل النحوي - السانتاكسي للكلام.

وإذا كان المسند إليه، في اللسان العربي، هو أبداً اسمًا، أو ما يتعور اسمًا في خوننا النظري * المعتمد، فإن المسند يمكن أن يكون اسمًا:

- الشعب منتظر.

ويمكن أن يكون فعلًا:

- في البلدان المتحضرّة، ينتصر الشعب على الحاكم.

ولا يخفى أن «المركب الاستنادي» إنما سُمي كذلك لأنّه يقوم على الاستناد.

• المركب الاستنادي البسيط والمركب الاستنادي المركب:

إذا تضمن المركب الاستنادي عملية إسناد واحدة ينعقد بها الكلام، سمي «مركباً استناديًا بسيطًا»:

- في البلدان المتخلّفة، ينتصر الحاكم على الشعب.

(عملية إسناد واحدة اتّعّد بها الكلام).

فإذا تضمن أكثر من عملية واحدة، سمي «مركباً استناديًا مركباً»:

- إذا بلغ الشعب مرحلة حضارية متقدمة، استطاع أن ينتصر على حكامه،

ويتحقق أهدافه.

(أربع عمليات إسناد انتقد بها الكلام).

المركب الاستادي البسيط هو: الجملة*.

المركب الاستادي المركب هو: العبارة*.

٤٥ - المركب الاسمي غير الاستادي

هو ما ترکب من كلعتين فأكثر، ولم يخرج به التركيب عن حالة الأفراد، أي عن كونه عنصرًا يدخل، مع عناصر أخرى، في تكوين المركب الاستادي، ويقع في أحسن موقع من موقع الاسم، موقع المسند إليه.

للمركب الاسمي غير الاستادي أشكالاً متعددة منها:- المركب الإضافي: رئيس البلاد - المركب الوصفي: (الرئيس المهاجر - المركب العطفي: المحاكم والمحاكم، - المركب البديلي: الإمام علي، - الخ...)

(المزيد من الاحاطة بالمركب غير الاستادي، راجع المقالة الثانية).

٤٦ - المركب الإضافي

هو شكل من أشكال «المركب الاسمي غير الاستادي» (راجعه).

٤٧ - المركبات التحوية - الثنائية

«المركبات التحوية - الثنائية» جمع مفرد: «المركب التحوي - الثنائي».

و «المركب التحوي - الثنائي» هو كل عنصرين متراقبين من عناصر السلسلة الكلامية، كالجهاز والمحرر، كأدلة التصب والمضارع الذي يليها، كال فعل والفاعل، كال فعل والمفعول به، كالبتدأ والخبر، كـ «كان» واسمها، كـ «كان» وغيرها، كاسم «كان» وغيرها، كالطرف و متعلقه، فـ «...».

والسلسلة الكلامية (*la chaîne parabolique*)، بمعنى أنها الت構ية - التركيبة البعيدة، إنما هي سلسلة من العناصر الت構وية - الثانية، تتبع فيها وترتبط، وتحضى، في تتابعها وترتبطها، لِنَوَامِسَ كُلْيَّة أو قواعده عامة، تكون ما نسميه «النظام الت構وي - التركبي - السانتاكسي للسان».

وتنقسم المركبات الت構وية - الثانية إلى فئتين رئيسيتين:

- فئة المركبات المتلازمة، أو المتصلة، التي يتجاوز عنصراها ويتلاصقان، ولا يفصل بينها فاصل، وذلك مثل: الجار وال مجرور، «أَلْ»، والاسم الذي يقتضي بها، توافق المضارع وأفعالها، المضاف والمضاف إليه، الموصوف المعرفة وصفه، الخ... .

- وفئة المركبات غير المتلازمة، أو المنفصلة، التي في طبيعتها الت構وية - التركيبة أنّ فصل أيّها عن ثانيتها أمر ممكن، وكثير الواقع في الكلام، وذلك مثل: الفعل وفاعله، الفعل ومفعوله، المبدأ والخبر، الموصوف النكرة ووصفه، اسم «كان» وخبرها، اسم «إن» وخبرها، حرف الجر ومتعلقه، الخ... .

إن أبرز ما يشار إليه من حقيقة المركبات الت構وية - الثانية المنفصلة: أنّ سرّاً مهمّاً من أسرار تشكّل الكلام إنما يكمن في حركة انفصال هذه المركبات أو اتصالها، وأن هذه الحركة هي عنصر مهم من عناصر ما نسميه التركيب الإيقاعي للكلام (*La structure rythmique de la parole*).

(لمزيد من التوسيع، راجع المقالة السادسة، القسم ١ / باء).

٢٨ - المركب الوصفي

هو شكل من أشكال «المركب الاسمي» هو الاستنادي (راجعه).

٢٩ - مسوّمات التركيب الت構وي / سلم المركبات الت構وية.

(راجع سلم المركبات الت構وية).

٤٠ - التصريحات التركيبية

(راجع «الاعراب التركيب»).

٣١ - النحو الفصني والنحو المجرد، أو النحو النظري، أو النحو النظري - المجرد، ...

«النحو الفصني»، *La grammaire implicite* (للساز من الآلة)، هو نظام متكامل من القوانيين أو القواعد التي يخضع لها ذلك اللسان بمستوياته التركيبية المختلفة، التي تحرّك جزئياته اليومية الطافية على سطح الكلام* المشخص، سواء أتيح لأبناء اللسان ادراكها أم ظلوا بها جاهلين.

و «النحو المجرد»، مجموعة من الصيغة النظرية الواصفة للقواعد أو القواعد النحوية، وصفاً كلياً مجرداً يستخرجها النحاة من جزئيات اللسان، أي من شواهد الكلامية المشخصة، استخراجاً علمياً يُشبه، من حيث الشكل، استخراج الترميس الطبيعية من ظواهر الطبيعة.

هذا النحو، يطلق عليه الفرنسيون مصطلح *La grammaire explicite* في مقابل ما يُسمونه، هم، *La grammaire implicite*.

إننا، بعد أن ترجمنا كلمة *Implicite* بكلمة «فصني»، لم نجد، بين الكلمات العربية المقابلة لكلمة *Explicite*، ما يناسب المضمون الاستدلالي الذي يعنيها، فاعتمدنا كلمة «المجرد»، لأن استخراج القوانيين الطبيعية من الطبيعة، واستخراج قوانين اللغة من اللغة، هو، في حقيقته، عملية تحرير، والنحو الذي تحرر منه من اللغة، بعملية «وصف النحوية»، هو، بكل بساطة، *نحو مجرد*.

وإما أن النحو المجرد هو، بطيئته، نحو نظري، فقد استعملنا، كذلك، لوصف النحو المجرد، الكلمة «نظري»، المقى تستعملها وتحدها، فنقول: «النحو النظري»، أو نضئها إلى الكلمة «مجرد»، ونجمع الكلمتين بخط صغير، فنقول: «النحو النظري -

المجردة، أو «النحو المجرد - النظري»، وربما أخللنا كلمة «غيريدي»، محل كلمة «مجرد»، الخ...»

ولا يخفى أننا نتعلق بما تقدم، فنقول: «القواعد النحوية المجردة»، أو «القواعد النحوية النظرية»، أو «القواعد المجردة»، أو «القواعد النظرية»، الخ... كما نقول: «القواعد النحوية الضمنية»، أو «القواعد الضمنية»، الخ... (المزيد من التوسيع، راجع المقالة الثانية من الكتاب).

٣٢ - النحوية (راجع السوية النحوية في الرقم ١٢).

٣٣ - النحوية النظرية أو النحوية المجردة، والنحوية الحدسية

النحوية النظرية للسان من الألسنة، أو النحوية المجردة، هي نحوية إدراكية يعيشها عقلنا من خلال مجموعة القواعد المجردة* التي يُتاح لها تخصيلها على مقاعد الدرس، أو في الكتب المختصة.

والنحوية الحدسية (grammaticalité intuitive) هي نحوية عنوية تُحيّتها كفايتنا اللغوية*، أو ضميرنا اللغوي*، ونكتسبها اكتساباً طبيعياً عن طريق التمرس الطبيعي بنصوص اللسان.

النحوية النظرية تكون، في العادة، للراشدين من غير أبناء اللسان، الذين يكون اكتسابهم للسان الأجنبي عن طريق القواعد المجردة، أكثر مما يكون عن طريق التمرس بالنصوص، وتكون كذلك لأبناء اللسان الذين إنما يحصلون على القواعد المجردة للسانهم ليتعلّموا، نفريّاً، ما يمتلكونه جديدياً.

والنحوية الحدسية تكون، في العادة، لأبناء اللسان الذين يكتسبون لسانهم ويستبطئون نظامه النحوي* عن طريق التمرس بنصوصه، وربما كانت كذلك لغير أبناء اللسان إذا أتيح لهم، في مبكرة، تمرسًّا طبيعياً بنصوصه.

النحوية الخدبية ، بطبعتها ، تفهلي مجموعة القواعد التي يتكون منها النظم النحوي للسان.

والنحوية النظرية ، بطبعتها ، لا يفهلي إلا مساحة محدودة – محدودة يستطيع العقل المحلل استخراجها من تبخر القواعد الفضمية التي يتكون منها النظام النحوي للسان.

٣٤ - النظام النحوي

النظام النحوي للسان من الألسنة (*Le système grammatical*) هو مجموعة متراقبة متكاملة من التواميس الكلية ، والقواعد العامة ، التي تحرك اللسان بحركاته المتعددة ، صعداً ، من الكلمة التي تخضع تكوينها لتواميس صوتية أو قواعد تدرج في النظام النحوي ، إلى العبارة* التي تخضع تشكيلها لقواعد تركيبة ونواتيس تجسد الجانب المحسوس من ذلك النظام.

٣٥ - النقاء اللغوي

نطلق مصطلح «النقاء اللغوي» على كون العبارة* خالية خلواً تماماً ، أو شبه قائم ، من آثار العقل ومتطهقه وحساباته ، أي كونها خافتة ، بغير ذاتها ، وبذاتها التركيبية ، والصور النحوية – التركيبية العامة لعباراتها ، لقوائينها هي ، أي لقوائين لسانها ، خصوصاً إجمالياً غالباً ، وليس لقوائين العقل وحساباته التي تكون الألسنة عُرضة للخصوصي لها في بعض لغاتها ، أو في حالة كون اللسان أجانبـاً.

٣٦ - الوصف النحوي

الوصف النحوي ، للسان من الألسنة ، هو ، كما تدل الكلمة ، وصف للنظام النحوي العائد لذلك اللسان ، أي وصف للتواتيس الكلية ، والقواعد العامة الفضمية* ، التي تخضع لها المركبات النحوية المتعددة ، صعداً في اللسان ، من الكلمية إلى العبارة . وربما أطلقت كلمة «التععبد» مرادفاً لكلمة «الوصف النحوي» .

2000-01-01 00:00:00

10. *Leucosia* *leucostoma* (Fabricius) *leucostoma* (Fabricius)

Journal of Health Politics, Policy and Law, Vol. 29, No. 4, December 2004
DOI 10.1215/03616878-29-4 © 2004 by The University of Chicago

¹ See also the discussion of the relationship between the two in the introduction.

The Journal of Health Politics, Policy and Law

¹ See also the discussion of the relationship between the two in the introduction to this volume.

2a 2 - 1000

¹ See also the discussion of the relationship between the two in the Introduction.

¹ See also the discussion of the relationship between the two in the section on "Theoretical Approaches" above.

فِرْسَةُ الْفَرَسِيَّةِ بِلِي الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَاتِ

¹ See also the discussion of the "new" or "revised" version of the theory of the firm by Williamson (1975).

توضیح: هدایا فخر و الاعلام (۱)

زنگنه اینستاگرام

جعفر بن سریج داشتم و از همین

- جعل الاملاك العقارية التي تصنفها الامم المتحدة والاجزاء والفقارات،

- يحمل الفواعد التحورية التي فرزها السوق.

- بعض المصطلحات الجديدة المطر وحة

المقالة الأولى / مدخل الكتاب

اللغة ليست عقلًا

٧ صحفة

٨

١ - تمهيد

كون هذه المقالة إشارة مروعة إلى خطير دقيق يربط مقالات الكتاب

٩

٢ - اللغة ليست عقلًا

السوية اللغوية - العقلية، النقاء اللغوي (الخاشية ١)، الصور الخاصة للعقل في عبارة المنشدين؛ معيار شواهد الظاهرة دلاليتها، المركب الإضافي المكون من الكاف الإسمية وما تضاد إليه في ما يقابل *comme* الفرنسية وما تتركب معه (قاعدة في الخاشية ٣).

١٠

٢ - ١ - الكفاية اللغوية

استيطان قواعد اللسان (الخاشية ٥)، سلم المركبات النحوية، حدود الوصف النحوي، دور التدنس في الحكم على النحوية، النحوية النظرية والنحوية الحدسية.

١٥

٢ - ٢ - الظاهرة من خلال ثلاث صور نحوية - تركيبة

التعرف بعل غودج من قاعدة التضمين النحوي (قاعدة في الخاشية ٧)، هيئات من الصور التصورية - التركيبة لبيان سلطان العقل مع الشوامد عليها، نظام تتابع همزة الاستفهام روا و العطف، لا يكاد ≠ يكاد لا ، لم يتعذر ≠ لم يرق ، لام التقوية، اكتساب المفهوم من المفاصف إليه يتحقق صفاتي القراءة، بين المغير وجواب الشرط.

٢٦

٢ - ٢ - ١ - الصورة النحوية الأولى: نعم الآثنين بمفرد

القاعدة المطروحة للصورة، إياضها، جواز أن تكون لغة الباحث الذي يدرس لسانه - الأم منأ من المتون التي يستقرها (الخاشية ٢٠)، تحول الصورة من السوية اللغوية إلى السوية العقلية من خلال الشوامد، سبب آخر للتمت بالمعنى؛ الاحتكاك بالأسنة الأجنبية.

٢٨

٢ - ٢ - ٢ - الصورة النحوية الثانية: اكتساب المفهوم من المفاصف إليه جنسه أو عدده

تمهيد: الهدف منتناول الصورة أفضى إلى التوسيع فيها، اندراج مسألة الأكتساب في مسألة المطابقة، عدم إيلاء مسألة الأكتساب، قدماً وحديثاً، ما تستحقه من اهتمام وتركيز.

- ٤٠ - ٢ - ٢ - ١ - قواعد الأكتساب:
- الاكتساب بمعنىه العام؛ الأساس العام للأكتساب؛ الأكتساب بمعنىه المحدد المطلوب في البحث.
- ٤٤ • اكتساب التعريف
 - ٤٥ • اكتساب الاختصاص
 - ٤٧ • اكتساب الجنس أو العدد
- كون هذا الأكتساب ظاهرة محددة محددة، وعدم كونها قانوناً عاماً، أو قاعدة مطردة، كما توهם النحاة قد يفهمونها ويفهمونها في أسلوب اللامفهومي أسلوبها بمثابة نسخها الأسماء المكتسبة.
- ٥١ • الأسماء المكتسبة:
- الأسماء التي تكتب التأنيث، الأسماء المؤنثة التي تكتب التذكير، الأسماء المفردة التي تكتب الثنائي، الأسماء المفردة التي تكتب جملة الجميع:
- ٥٤ • قواعد أولية لاكتساب الجنس والعدد
 - ٥٦ • التفاوت بين الأسماء المكتسبة في لغالية الأكتساب
 - ٥٩ • ارتباط الأكتساب بسباق الكلام
- الاضافة إلى مفرد والأضافة إلى جمع، الاضافة إلى معرفة والأضافة إلى نكرة، الاضافة إلى ظاهر والأضافة إلى ضمير.
- ٦٣ • خذالية الأكتساب
 - ٦٣ • تلخيص واستنتاج
- ٢ - ٢ - ٢ - آثار العقل في الظاهرة
- ٢ - ٢ - ٣ - الصورة النحوية الثالثة: بين الخبر وجواب الشرط
- ٧٠ • رسم الصورة وعناصرها النحوية
 - ٧٣ • آثر العقل في هذه الصورة، ووصف النقص التركيبي في نماذجها

* السمة التركيبة المشتركة بين شوادر الصورة
السلسلة الكلامية (*la chaîne parlée*)، وقواعد ترابط المثلقات، العلاقات المصلحة
والعلاقات المفصلة، الترابط على مستوى القطع الكلامية.

٣ - اللغة لغة
كون دراستنا دراسة مختزلة عن المدى المحتمل للدراسة الكلية، تميز، التوايس، من
«القواعد» (الخاصة ٥٢)، مزيد من الإطلاع على الموضوع في هذا القسم

٣ - ١ - حديبة اللغة
البقاء في لغة «المخبرين» (*les informateurs*)، فهمنا الشخصي للبقاء في لغة المخبرين
والكتاب.

٣ - ٢ - شبهة الأجنبية للغة الكتابة وما ينفي إليه
حديبة اللسان - الأم، وحدية اللسان الأجنبي الذي يحصل كلسان أجنبي، ما
ينجم عن نسبة الأجنبية إلى لغتنا الفصحي، الأساس الذي تراه لشبهة الأجنبية،
دور الإعراب في هذه الشبهة

٣ - ٣ - دخول العقل في اللغة وتدخله فيها

٣ - ٣ - ١ - دخول العقل وتدخله في المفردات
التقعيد الصري، الكلمات الصرفية (الخاصة ٥٦)، تحويل الدخول إلى تدخل،
قاموسي الكلمات التي تدخل الكلام، مثل على التضمين التجريي، الاحتكام الأنفي
إلى القاموس (الخاصة ٥٨)، أمثلة على تدخل العقل في المفردات.

٣ - ٣ - ٢ - دخول العقل وتدخله في البنى التركيبة
تدخل العقل يظهر في التقعيد وتطبيق القواعد، مثلاً: مسألة التمازج ومسألة
اكتساب المضاف من المضاف إليه تذكرة وقائمة

٣ - ٣ - ٣ - دخول العقل وتدخله في الإعراب
معاملة الجم المضموم إلى مفرد معاملة المثنى (الخاصة ٦٢)، تميز الإعراب من
البني التركيبة والمفردات، الإعراب مظاهر تركيبية، الإعراب التركيبية، والإعراب

الدلالي، والإعراب الجمالي (المashieh ٦٦)؛ مع التقييد بتحول دخول العقل في الإعراب إلى تدخل، تماذج من الموصوعات الإعرابية التي تحول دخول العقل في تقييدها إلى تدخل.

١٠٧

٤ - خاتمة

ما للغة للعقل وما للعقل للغة، الموضوعات التي ثرينا أن اللغة ليست عقلاء،
القاموسية المقلقة، المذهب الوصفي وأنية قلائق، المذهب المعياري وما يفتش عنه.

* * *

المقالة الثانية

مصطلحات للبحث اللغوي

١١٣

مدخل

١١٤

١ - المركب الأسماني غير الإسناطي
لم المركبات التحورية الصاعدة (المashieh ١)، الغمام الكلمات إلى بعضها يوصل فتن
من المركبات، التضمين النحوي (قاعدة في الماشية ٢)، المدلول المفرد، المدلول
المركب، تعريف المركب غير الإسناطي، ستريان رئيان للمركب الإسناطي:
المركب الإسناطي البسيط، أو الجملة، والمركب الإسناطي المركب، أو العبارة.
أشكال المركب غير الإسناطي: المركب الإضافي، المركب الوصفي، المركب
التوكيدي، الخ...، انقسام المركب غير الإسناطي إلى مركب بسيط، ومركب
مركباً، تركيب المركب غير الإسناطي المركب لا يخرج من مرتبة المفردات،
الشبيه الجزئي بين المركبات الأساسية غير الإسناطية والمكونات المباشرة.

١٢٦

٤ - الجملة والعبارة

المجدة باللفظ والمجدة بالدلالة (المashieh ١١)، الجملة، بالدلول القائمة
(العبارة)، الكلمات بالمعنى الاستلاغي المطروح، عملية الإسناط نواة تركيبة
يمكن أن تؤخذ إلى ما يشتمل عليه هيئة، البنية العميقية والبنية السطحية (المashieh
١٥)، البنية الكلامية (المashieh ١٦)، القدامى ومضامون، العبارة، المطروح، لماذا

اعتمدنا كلمة «العبارة» للمصمون الاصطلاحي المطروح؟، العبارة جزء من الكلام؛ لغوية الكلمة واصطلاحيتها (الخاتمة ١٨)؛ حدود الوصف النحوي؛ انطلاق العبارة من نواة نحوية محددة لا تثبت أن تفتني؛ استقلال العبارة عما يبنتها وعما يليها استقلالاً تركيبياً، النص تتبع عبارات لا شكل نحوئ لها (الخاتمة ٢١).

١٣١

٣ - **الكلام**
معيناً اصطلاحيان، الثاني للكلمة «كلام»، الكلام بالمعنى الاصطلاحي المحدث؛ المبادر اللغفي من الأسلوب (الخاتمة ٢٤)، معنى كلمة *performance* المعتمدة في قاموس تشومسكي؛ الكلام الكتابي ودور العقل فيه؛ قلب التراتب الاصطلاحي بين «اللغة» و«اللسان» (الخاتمة ٢٨).

١٣٨

٤ - **اللغة واللسان**
سبب تناول هذين المصطلحين؛ تعليل استعمال «اللغة» بالمعنىين، هلة تسمية هذا العلم بـ«الأالية»؛ انقلاب التراتب الاصطلاحي بين «اللغة» و«اللسان»؛ لغات اللسان العربي؛ متى تصبح لغة الفرد أسلوباً؛ مدلول اللغة كجزء من اللسان عند القدامي؛ خلوا القرآن من كلمة «اللغة»؛ أولى استعمال الكلمة؛ تعليل استعمال «اللغة» في موضع «اللسان».

١٤٥

٥ - **قواعد النحو**
معاني كلمة «النحو»؛ النحو تماماً من القراءين التي يخضع لها اللسان؛ النحو الصمفي؛ و«النحو المجرد»، لماذا التسمية بـ«النحو الصمفي» (الخاتمة ٣٧)؛ المونيم والمورفيم (الخاتمة ٣٥)؛ وحدة النحو الصمفي وتعدد الأسماء المجردة («الأسماء»، جمع «نحو»)؛ أمثلة على التععدد؛ معنى «قواعد النحو» خاضل من معانٍ «النحو».

١٤١

٦ - **كلمة «نحوي»**
ثلاثة معانٍ اخترناها للكلمة؛ المعنى الأول هو معنى «نحوي/صرف»؛ المعنى الثاني يمكن أن يرادف معنى «تركيبي»، أو «شكل»، أو «شكلٌ - تركيبي»؛ الخ...؛ المعنى الثالث هو: معنى «أصوبي»، («أصوبي» هذه مضادٌ إليه).

٤ - القواعد النحوية

الشبة بين استخراج توطيد للسان واستخراج توسيعات الطبيعة، بعض عوامل مخاتلة القواعد العربية.

* * *

المقالة الثالثة

نظريات في نظام الكتابة بالحرف العربي

الف - المضمون الواقعي لشرع الاصلاح المقترن

باء - حالات عدم المطابقة التي تظل خارج الشروع، ونظرتها إلى عدم

المطابقة

مخالفة المفروض للمكتوب أمر طبيعي، عموم الصوريات الإملائية في الكتابة العربية خاصة، في تحملها، لقواعد عامة، في حين أنها ليست كذلك في الكتابة الفرنسية أو الانكليزية؛ مخالفة المفروض للمكتوب أمر طبيعي، عموم استعماله صور الأداء الشفهي المتطرق على التدوين، الكتابة المختزلة، والكتابة المختصرة، والكتابة المشوهة، هي وجه بارز من وجوه عدم المطابقة؛ الكتابة بلا «كتابية»، العلاقة بين الصورة الكتابية للكلمة ومعنىها علاقة متخصصة ذات اتجاهين.

جم - مسألة توحيد الألفين

كتابة الألف المتطرفة ألفاً مقصورة أو ألفاً قائمة مسألة تخضع لقاعدة صرفية عامة.

DAL - هل مسألة نظام الكتابة تشكل قضية جوهرية؟

العبارة ليست كياناً صوتياً سكونياً مسطحاً، الذي استطاع الإنسان أن يدونه من أبعاد العبارة هو بعدها المسطح. أما الأبعاد الأخرى، فقد تركت للقارئ، ظلام الكتابة لا يكون فرعاً من فروع الألسنة ولا يعني عالم اللغة مباشرة؛ الاملاء القرآني ودلالة في المسألة؛ حافظة الغرب على إملائه ودلالة هذه الحافظة.

هام - متفرقات

واو - هل الوضع الراهن للإملاء العربي يكون مشكلة حقيقة؟

المقالة الرابعة

الاقتباس اللغوي بمستوياته الثلاثة من خلال تجربة التعریب ١٧٩

١٨٠ مدخل؛ اعتماد اللسان بالاقتباس؛ دوافع البحث

١٨٢ ألف - تعريف حصول الاقتباس
نداخل الألسنة؛ قدم الاقتباس؛ قواميس الاقتباس والمحصاراتها في مستوى المفردات

١٨٥ باء - انتباش المفردات
اقتباس ، في ضوء ، (المادة ٣)؛ حجم الكلمات المقيدة؛ طبيعة انتباش المفردات؛ تعريف اندماج المفردات المقيدة في اللسان الذي يُتقبس؛ تعريف الاقتباس المفردات، هوية الكلمة، قائمة لاقتباس المفردات؛ مستوى تطبيق الكلمة المقيدة بالشكل الجديد؛ منعيان في الشابس الأعلام

١٩٢ جم - انتباش البني الدلالية
تحديد البني الدلالية؛ الكلمة كيان دلالي منفتح؛ خصائص البني الدلالية؛ في البني الدلالية يتكون جانب الحياة الاجتماعية لأصحاب اللسان؛ تحكمية ارتباط الكلمة بمعانيها؛ هل تقبس البني الدلالية؛ تعريف مقاومة انتباش البني الدلالية؛ تعريف جواز انتباش البني الدلالية؛ حدود انتباش البني الدلالية؛ نتاج من البني التي يُرفض انتباشها، ضابط جواز الاقتباس على مستوى البني الدلالية.

٢٠٠ هاء - انتباش البني التركيبية
تحديد البني التركيبية؛ هل تقبس على مستوى البني التركيبية؛ من نتاج البني التركيبية المقيدة؛ تعريف الاختلاف بين انتباش البني التركيبية من جهة، وانتباش المفردات والبني الدلالية من جهة أخرى.

٢٠٧ واو - كلمة «الاقتباس»
تعريفها؛ التطابق بين المحتوى المحتوى للكلمة بمفهوم الامثلة والمعنى والاعتبار

• الاقتباس، يعندها الاصطلاحى هو خصيصة عربية «محكماة المصطلح الفرنسي»
بالصطلاح الفرنسي.

★ ★ *

المقالة الخامسة

٤١١ «من ينقدُ عليكَ هو كمن يُؤلف معاكَ»

٤١٢ مدخل

• حدود الاستشهاد بالشعر في مسائل النحو، وتمييز «لغة الشعر» عن «لغة النثر»، ومن «لغة القرآن»، في هذا الاستشهاد؛ التركيب الإيقاعي للعبارة القرآنية.

• للتثبت بالمتون القديمة والتطرق فيها بعْرَفَتْنا للانزلاق إلى ما نسبه «تاريخية» لسان العربي وأجيبيته.

• معاملة الأعلام العربية، المنصرفه وغير المنصرفه، معاملة الأسماء المبنية في كثير من لغات لساننا، كاللغة الإعلامية؛ ارتباط تنوين الأعلام المتنوعة من الصرق بالمعنى الذي يشارك التنوين في أدائه؛ تعليل سقوط الإعراب من الأعلام.

★ ★ *

المقالة السادسة

٤٢٣ تحليل العبارة العربية إلى قطع كلامية مقلدة

٤٢٤ مدخل

• انطلاق التراث النحوي العربي من الإعراب إلى التركيب؛ انشغال بعثنا كلباً بالعبارة.

• جدّة الموضوع؛ حذفية تشكل العبارة؛ كتابية العبارة المكتوبة.

٤٢٨ الف - التعرف على القطع الكلامية وتعريفها
الشكل النحوي؛ التواه الدلالية؛ العمق الدلالي؛ تكوين الكلام وتكونه (المجازية).

باء - عوامل تكون للقطع الكلامية

٢٣٦ ١/باء - المركبات النحوية - الثانية

المركبات النحوية - الثانية المتلازمة، والمركبات النحوية - الثانية غير المتلازمة؛ تعليل للازم المضاف والمضاف إليه (الخاصة ١١)؛ حقيقة الإيقاع؛ المركبات النحوية - الثانية هي، في العبارة، في حركة اتصال وانفصال؛ كلمة «لفقة»، يضمون اصطلاحي مطروح (الخاصة ١٥).

٢٤٥ ٢/باء - المركبات النحوية - الثانية والقطع الكلامية المقللة

الديالية (الخاصة ١٨).

٢٤٨ جم - القطع الكلامية والمكرمات المباشرة
وجوه الاختلاف بينها.

* * *

المقالة السابعة

جوانب من شأن اللغوي

• لسان الشعب وجه من أوجهه المضاربة.

• اللغة الفصحي مستوى من مستويات اللسان العربي.

• اللغة الفصحي لغة حية - آنية - مستمرة.

• اللغة الفصحي هي، لفتنا الذي عرفنا به، خادمه الذي غيّبه، بها آثاره.

• المرف العربي هو التوب المفضل للسان العربي.

* * *

المقالة الثامنة

صحيفتنا كتابنا اليومي المفتوح

• كون الشأن للغوي هما من المعلوم العامة، وشأنًا ثقافيًا مميزاً.

- «العربية الحديثة» و «العربية القديمة».
- «العربية الحديثة» اسم جديد لسمى قديم، ما ينفعني إليه اختهاد العربية الحديثة لغة للكتابة.
- تحدث العربية:

 - التحديث حرارة طبيعية يعرفها اللسان؛ التحدث المطلوب هو التحدث التعليمي.
 - حقيقة الدعوات الإصلاحية:

 - العافية والفصحي: مستويان رئيسيان للسان العربي.
 - الحروف العربي: أكثر الأحرف ملائمة للسان العربي.

- الدور اللغوي للصحيفة:

 - الصحيفة أفضل مدرسة لإكسابنا لغتنا الفصحي والاتجاه بها نحو ملائمة الحياة اليومية.

- الجديد الذي نتعلم إليه من أبحاثنا اللغوية:

 - وصف للسان العربي يرسم لمسكنا اللغوي صراطًا مستقىً.

* * *

المقالة التاسعة

- مشكلاتنا اللغوية بمنظار المستويات**
- ٢٧٣ مدخل
- ، القضية، و المشكلة، و المشكل، (الخاتمة ١).
- ٢٧٤ ألف - مستويات اللسان من خلال اللسان العربي
- الترابط المضري بين اللفظ والمضمون؛ المضمون الماري؛ النواة الدلالية السيدعية و معنى «المضمون»؛ السياق الدلالي؛ سياق المقام؛ السياق عام؛ الأشياء القايمية خارج اللغة؛ الفراددة اللفظية والفرادة المضمية - السياقية؛ لغة الشعر ولغة النثر لغتان متوازيتان؛ تداخل اللغات في اللسان الواحد؛ بطلان دعوى «أجنبيّة لغة الكتابة»؛ مستويات اللسان؛ مصطلح «النبي» عام؛ عاملان لتفسير حدوث المستويات.

٢٨١

باء - مشكلاتنا اللغوية بمنظار المستويات
 تعدد مشكلاتنا اللغوية؛ مشكلة العامة والفصحي؛ مشكلة القواعد وتدريسيها؛ مشكلة الحرف العربي؛ هل لغة الكتابة هي لغة أم؟ مشكلة الإعراب؛ مشكلة لغة العلوم؛ اقتباس (البني الدلالي)؛ مشكلة اللغة مع العقل.

٤٨٤

١/باء - مشكلة العامة والفصحي

- بالنظرية السكونية إلى اللسان العربي: لغتان اثنان - متزامنان - متماثلان.
- بالنظرية المتحركة: لغتان رئيستان تنفصلان إلى لغات أخرى.
- انقسام اللسان إلى لغات هو وضع طبيعي.
- هذا الوضع: كل لغة من لغات اللسان العربي هي لغة أم.

٢٨٣

٢/باء - اللغة الفصحي لغة - أم لنا أم لغة أجنبية

- ما يغطي إليه اعتبار اللغة الفصحي لغة - أم؟
- الانطلاق من لغة التخاطب لتعلم لغة الكتابة.
- تدريس المعلوم باللسان العربي.

- إسقاط مشروع «المرتبة الأساسية» من أن تكون لأنباء العربية.

٤٨٥

٣/باء - مشكلة الإعراب

ما يبرز في تكوين المشكلة؛ الإعراب واقع لغوي طبيعي؛ حكمتنا على الإعراب بمنظار المستويات؛ اختلاف الأعراب، بنوعه وبمقدار ما يظهر منه، باختلاف اللغة التي تكون فيها، والقاعدة التي تحكم المسألة.

٢٩٢

٤/باء - مشكلة الخطأ والصواب

مظاهر المشكلة؛ اتساع الموضوع؛ ارتباط الخطأ والصواب بالمعنى، أي باللغة التي تنظر إلى الموضوع من خلالها.

٢٩٦

*** لغة الشعر ولغة النثر**

طرح الموضوع: إشكال نظري بين اللغتين؛ حقيقة المسألة؛ التوازي بين اللغتين؛ العلة الكامنة وراء كل من اللغتين؛ تصورنا للضرورات الشعرية؛ الفرق بين حيز العبارتين.

* خاتمة *

الأغراض التي يرمي إليها البحث؛ ما تقدم في البحث؛ الكثار مطرودة، الأحكام
إلى مرجع المراجع، أي من اللسان.



المقالة العاشرة

نائب الفاعل، نموذجاً من نماذج الافتراق بين منطق اللغة ومنطق العقل

٣٠٢

تمهيد

• ملاحظة رئيسية حول التعلق بالمنطق في معالجة الموضوعات اللغوية:
وجوب تبييز منطق اللغة من منطق العقل؛ بمنطق اللغة: الفاعل (ك나سب الفاعل)
ظاهره تركيبية تخضع للشكل أكثر مما تخضع للمضمون؛ إسناد الفعل إلى فاعله
أو نائب فاعله هو إسناد شكلي؛ ما يشترك به الفاعل ونائب الفاعل؛ النيابة هي
نيابة شكلية خالصة؛ النيابة المعنوية التي وقف عندها «الدندشي» و«السودا» لم
تفطر ببال النحاة عندما سموا نائب الفاعل.

• ملاحظات ثانوية:

- تعريف الفاعل:

التعريف العلمي هو التعريف التقليدي القائم على فكرة الإسناد؛ نقض التعريف
المطروح.

- إفهام الناشئة:

إقامة تعريفاتنا العلمية على عملية إفهام الناشئة وما يفهي إليه ذلك من نتائج
مرفوضة؛ إدراك التلميذ للحقائق النحوية؛ مناداتنا بعدم تدرس النحو في
الابتدائي.

- الفاعل في فعل الأمر:

هرطقة لغوية - نحوية غريبة.

- الفعل المجهول:

فكرة غريبة : نوعان من العمل المجهول؛ إيهال هذه الفكرة؛ تسمية العمل
المجهول.

★ ★ *

